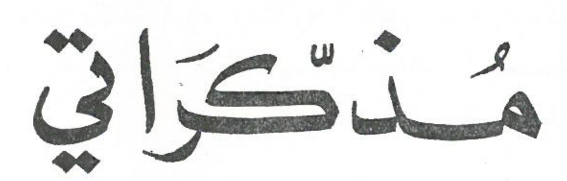
كميل شمعون



كميل شمعون



الجزء الأول

بيروت ١٩٦٩

توطئة

قد يحسب بعضهم ، عندما يطالعون هذه المذكرات عن الصراع الطويل ، الشاق، الذي خضناه مع البعثة العامة لفرنسا الحرة، بانها مجموعة حملات تستهدف فرنسا . مع انها لا تتضمن ، في الواقع ، أي هجوم على فرنسا او اي بلد آخر ولا تنطوي على اي ثنـاء لأي بلد . فهي وصف صادق ، دقيق ، للحوادث كما وقعت او كما اتصلت بي وسرد مخلص لانطباعاتي وشعوري الخاص بصفة كوني رجلا سياسياً عزم ، بايمان ، على الذود عن استقلال لبنان أيا كان الثمن . وان كان من الطبيعي ان تحفل بانتقاد مرن حيناً ، ولاذع آخر ، نتيجة للخلافات التي تنازعت لبنان وفرنسا بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٦ .

ولست ابتغي تحديد مسؤولية اي فريق . لكني اود ان استعيد انطباعاتي وشعوري عن تلك الفترة ، فاسأل : هل نفد ، آنذاك ، صبر اللبنانيين وكان عليهم ان يرقبوا تنفيذ الوعود التي قطعت لهم دون الالتفات الى المضاعفـات والمفاجآت التي قد يخلفها الانتظار ؟

وهل كانوا قادرين على تأخير ساعة التحرر والانعتاق ، بعدما دقت ، دون ان يجازفوا بالمستقبل فيفقدوا كل احترام وشعور بالعزة والكرامة ؟

وهل أعوز المنطق لجنة التحرر الفرنسية ففاتها ان سنّة التطور عند جميع الشعوب تنبثق ، بصورة عفوية ، من التوق الى الحرية والاستقلال ومن الرغبة في احرازهما ، وانه لا يمكن لاية قوة ان تحد من هذا التطور ؟

فلو خلت الوعود التي قطعت في ٨ حزيران ١٩٤١ من القيود التي ارادت ان تجعل استقلالنا صوريا .

ولو خاطب ممثلو فرنسا الحرة اللبنانيين في عام ١٩٤٣ بلغة العقل والقلب وقالوا لهم : « انتم اصدقاؤنا . فالتقاليد العريقة اوجدت بيننا روابط وطيدة من الاحترام والثقة المتبادلين . فاحصلوا على استقلالكم كاملا دون اي قيد » .

لو فعلوا ذلك لكانوا جنبوا البلدين حوادث وتطورات عقبت شهر تشرين الاول ١٩٤٣ ، ووفروا المناقشات التي شهدها مجلس الامن الدولي ، ولكانت فرنسا قد وفقت الى صيانة مكانتها المميزة عند اللبنانيين .

وهنا لا بد من القول ان الصداقة بين لبنان وفرنسا وكذلك العلاقات الثقافية التي ازدادت رسوخا في الاعوام المنصرمة ، كما تثبت المعاهد والمؤسسات الكثيرة المنتشرة في العاصمة والجبل ، يرعاها لبنان المستقل الذي يعي رسالته الثقافية ويقدر اهميتها ، ويحرص على استمرارها .

لقد كنت احد الابطال الرئيسيين في معركة الاستقلال ، وربما البطل الاساسي . فناضلت باخلاص وبوحي المصلحة الوطنية واستجابة لنداء الكرامة كانسان حر لاحقق لبلدي الاستقلال . كما حرصت على صيانة قيمتين معنويتين وادبيتين مهمتين هما الرأي والثقافة الفرنسيان اللذان كانا ، ولا يزالان ، حقائق حية للبنان .

على دروب الاستقلال

استهوتني ، منذ حداثتي ، السياسة . فدأبت على نشر مقالات صحفية تعالج الاوضاع العامة في البلاد ورحت اتأهب لخوض المعترك السياسي الذي يؤهلني للقيام بدور فعال في معركة الاستقلال .

وما أن اعلن المفوض السامي الفرنسي الكونت هنري ده جوفنيل ، خليفة الجنرال سراي في ١٣ ايار ١٩٢٦ لبنان جمهورية دستورية تتمتع بهيئاتها التشريعية وحكومتها التي تجسد الارادة الوطنية ، حتى بدأتُ استعد لجولة قريبة . ورأيت في الانتخابات التي جرت في عام ١٩٢٩ فرصتي الاولى . وهي الانتخابات التي جرت على مرحلتين : فالمواطنون الذكور الذين بلغوا الحادية والعشرين كانوا مؤهلين لاختيار مندوبين ينتخبون ، بدورهم ، نائبهم في المجلس. فخضت المعركة وسط صراع عنيف ، باسم غالبية سكان دير القمر التي كانت تناوئ عائلات قديمة ، نعمت منذ مدة باوضاع اجتماعية ممتازة. وواكبني النجاح ، وضمن لي هذا الفوز مكانة مرموقة مكنتني من الاتصال بالشخصيات النافذة وأشرع أمامي آفاقاً رحبة ساعدتني على خوض جميع المعارك الانتخابية التالية بنجاح ، وعلى المشاركة في تحقيق الحلم الكبير الذي راودني طويلاً : استقلال لبنان .

لكن الجمهورية الأولى ، اذا جازت التسمية ، واجهت في عام ١٩٣٢ أزمة مصيرية حاسمة . فولاية رئيس الجمهورية شارل دباس ، قاربت نهايتها . وبما أن منصب رئيس الجمهورية يعود للموارنة ، فقد تنافس عليه أميل اده والشيخ

بشاره الخوري وهما محاميان وحدت بينهما المهنة وباعدت ، نهائياً ، السياسية .

ونجح كل من المرشحين في اكتساب بعض المؤيدين في الاوساط النيابية والصحافية ، فخاض ضد منافسه معركة عنيفة جداً لم توفر الاشخاص والعائلات والحياة الشخصية الخاصة ، مما حمل المراقبين الحياديين على الاعتقاد بان هناك محاولة لتقويض النظام الجمهوري والقاء تبعة ذلك على مؤسساتنا السياسية .

وسط هذا الصراع الحاد ، وبعدما أحس اميل اده بضعف مركزه ، لجأ الى خطوة افقدته المعركة .

فقد وعد رئيس مجلس النواب الشيخ محمد الجسر بمساندته في معركة الرئاسة اذا وافق مع انصاره على سحب تأييدهم للشيخ بشارة الخوري . فأفاد المفوض السامي من هذا الموقف وعمد الى تعليق الدستور وحل مجلس النواب ، ثم عين شارل دباس رئيساً للجمهورية يتمتع بسلطة اصدار مراسيم اشتراعية يجب أن تقترن بموافقة المفوض السامي لتصبح نافذة .

ونشط الرئيس شارل دباس ، فوراً ، لتطهير الادارة. فأمر باجراء تحقيقات ادت الى توقيف بعض الموظفين الكبار في الاشغال العامة والزراعة والصحة العامة . لكن هذه الاجراءات السريعة الحاسمة ، خلقت ردة فعل قوية واحتجاجات شملت مختلف الاوساط التي راحت تتهم المسؤولين بالظلم والدكتاتورية والتجني على الموظفين . فاضطر رئيس الجمهورية عند ذاك ، الى تعليق التدابير القضائية وتجميدها . الا انه تمكن من اعطاء لبنان ادارة طبيعية ونظيفة ارتكزت على أسس سليمة وثابتة ايام الانتداب ، وبعدما ظفر لبنان باستقلاله بوقت طويل .

في منتصف عام ١٩٣٣ أحسست بان النظام السياسي في البلاد مقبل على تبدل محتوم. وهذا الشعور نتج عن كون الفرنسيين لا يمكن ان يتحملوا ، لمدة

طويلة ، نظاماً رئاسياً شاذاً في غياب الهيئات التمثيلية التام لانه يحصر جميع المسؤوليات بسلطات الانتداب ويحتم عليها ان تعنى بكل شيء وان تتعرض ، بالتالي ، لكل انتقاد . كما ان الكونت ده مارتل الذي عين مفوضاً سامياً ، وهو الذي اشتهر بتفكيره الواقعي ، لا يمكن ان يرضى باستمرار هذا الوضع. ولمست ايضاً اتجاهاً لاجراء الانتخابات على درجة واحدة ، اي ان يتم انتخاب النواب مباشرة من الشعب .

لذلك ، فقد أعددت في صيف ١٩٣٣ معركة انتخابية منظمة زرت خلالها القرى واتصلت بالناخبين لأتعرف الى مطالبهم واقف على حاجاتهم. والجولة كانت شاقة لانها شملت محافظة جبل لبنان ، وناجحة بفعل عاملين اثنين : اولهما ذكرى والدي الذي خلف ، في كل مكان اصدقاء واخواناً ، لأن اللبناني المحافظ في الجبل لا يمكن ان ينسى او ينكر خدمة او مساعدة اسديت اليه . وثانيهما : الفراغ الذي كانت تعاني منه منطقة الشوف بالنسبة الى تمثيلها في مجلس النواب . فآخر نائب لها كان اسكندر البستاني . وهو رجل شريف ، تعوزه الجرأة والمبادرة . لكن الرأي العام كان ينشد مزيداً من الحيوية والاهتمام بأموره الشخصية وبقضايا المنطقة

وصدق حدسي . فاهدى الكونت ده مارتل لبنان في رأس السنة دستوراً جديداً يبدأ تنفيذه في كانون الثاني ١٩٣٤ ، وينص على انشاء سلطة تنفيذية تتكون من رئيس للجمهورية يساعده امين سر عام مسؤول امامه ومن مجلس للنواب يضم ٢٥ عضواً بينهم ١٨ ينتخبهم الشعب مباشرة و ٨ تعينهم السلطة . وهكذا اخضع تشكيل اللوائح الانتخابية لعملية مشتركة تنفذها السلطات الفرنسية واللبنانية من جهة والمرشحون من جهة اخرى ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذه السلطات كانت تؤيد بصورة عامة– وباستثناء حالات تمليها المصلحة العامة او الاحقاد الشخصية – اكثر المرشحين شعبية لان نجاحهم يجنبها متاعب كثيرة . فاشتركت في لائحة جبل لبنان منافساً جورج عقل ، وهو

خطيب لامع اضحى ، فيما بعد، من اوثق اصدقائي السياسيين واخلصهم ثم انتخبت نائباً في كانون الثاني ١٩٣٤ .

وبقرار من المفوض السامي عين حبيب السعد رئيساً للجمهورية وعبدالله بيهم سكرتيراً عاماً . وبذلك اصبح المديرون العامون رؤساء للاقسام المختلفة مرتبطين بالسكرتير العام وفصلت الادارة العامة، الى حد كبير، عن السياسة .

اما مجلس الخمسة والعشرين نائباً فقد انتج بفعالية . وهو افضل مجلس عرفه لبنان . فعدد نوابه كان كافيا لمعالجة شؤون البلد ومشكلاته ، ووفر مناقشات طويلة ، متشعبة ، عميقة . اضف الى ذلك ان السكرتير العام لم يكن مسؤولاً امامه ، لذلك منعت المناصب الوزارية عن النواب الذين لم يجدوا أية ضرورة آنذاك لارضاء كبار المسؤولين ومسايرتهم بغية الظفر بمقعد وزاري .

ومع ذلك ، ظل الحكم الجديد تائها ، غير قادر على اثبات وجوده وعاجزاً عن التجاوب مع آمال رجالات السياسة وأمانيهم التي تتجسد في توفير حريات عامة اكثر واخضاع الحكومة لرقابة مباشرة اكبر والحد من تسلط الانتداب وعبث الموظفين الفرنسيين ، وزيادة واردات الموازنة بعدما اقتطع منها جزء كبير شمل العائدات الجمركية التي انفقها الكونت ده مارتل ، كما قيل ، على بناء الحوض الثاني لمرفأ بيروت مع ان الاعتقاد الذي ساد الاذهان آنذاك ، هو ان تمويل هذا المشروع جرى بواسطة الاموال المجمدة في صندوق المصالح المشتركة .

في سوريا كانت الاوضاع مضطربة . فالبلاد اعلنت الاضراب احتجاجاً على السلطة المنتدبة ، والسياسيون طالبوا بالغاء الانتداب وبانسحاب فرنسا الكامل او اعتماد نص يضمن لسوريا حقوق السيادة التامة .فولدت في فرنسا،عندذاك، فكرة اللجوء الى معاهدة تضبط العلاقات الفرنسية - السورية ، افاد منها اللبنانيون ليطالبوا بالخطوات التحررية نفسها التي تتمتع بها الدول المجاورة .

وقررنا مقابلة المفوض السامي لنعرض عليه مطالبنا ، لكن حادثاً عادياً كاد ان يفسد علينا كل شيء .

كنا قد انتخبنا شارل دباس رئيساً لمجلس النواب بعد تعيينه نائباً دون ان نفطن الى ان الجفاء مستحكم بينه وبين الكونت ده مارتل مما اهاب بخصومنا السياسيين الى ايهام المفوض السامي باننا تعمدنا مناصرة رئيس المجلس تحدياً له ، لذلك عزمنا في اجتماع عقدناه في منزل الشيخ بشاره الخوري ، على تبديد هذه الاتهامات ومصارحة المفوض السامي بمطالبنا . وقابلناه : ميشال زكور ، الشيخ فريد الخازن، وانا، في جو بدأ عاصفاً ثم استحال هادئاً تخللته مناقشة منطقية للنقاط الاساسية التي انطوت عليها مذكرتنا وهي :

- عودة لبنان الى الحياة الدستورية والنيابية .
- الغاء الانتداب .
- الاعتراف بسيادة لبنان وعقد معاهدة صداقة مع فرنسا .

منذ ذلك الحين ولدت الكتلة الدستورية التي حققت منجزات رائعة . وما لبث عددنا ان ارتفع بسرعة . فانضم الينا الامير مجيد ارسلان وحميد فرنجية وصبري حماده وسليم تقلا وبعد ستة اسابيع الشيخ بشاره الخوري .

اولى الكونت ده مارتل مذكرتنا قدراً كبيراً من الاهتمام. فاعاد الحياة الدستورية الى البلاد . وبعودتها واجهت مجلس الخمسة والعشرين مهمة انتخاب احد المرشحين التقليديين : اميل اده وبشاره الخوري رئيساً للجمهورية . وكانت المهمة شاقة برز خلالها نواب ابوا إلا ان يستأنسوا برأي السلطة المنتدبة ويهتدوا به عند اختيار رئيس الدولة العتيد ، وتجلى فيها حرص المفوض السامي على ان يحظى الفائز بغالبية ضئيلة جدا . ففاز اميل اده بثلاثة عشر صوتاً فقط بينما نال منافسه اثني عشر صوتاً .

وهكذا ولدت في عام ١٩٣٦ ، الجمهورية الثانية لتلتقي ، في كل شيء ، مع الجمهورية الاولى .

ورحبت الحكومة الفرنسية بالمطالب الاخرى : الغاء الانتداب واستبداله بمعاهدة صداقة واعدت مشروعاً ، بهذا المعنى ، سلمته الى الحكومة اللبنانية ينطوي على الشروط نفسها التي تضمنتها المعاهدة البريطانية – العراقية ويمنح فرنسا الامتيازات التالية :

– الاحتفاظ بقواعد فرنسية بحرية وبرية وجوية في الاراضي اللبنانية .
– الاستعانة بالخبراء الفرنسيين فقط ، في مختلف دوائر الدولة .
– للسفير الفرنسي حق التصدر على رؤساء البعثات الدبلوماسية الاخرى .
– مدة المعاهدة خمسة وعشرون عاماً .

المعاهدة المقترحة كانت تعتبر ، في ذلك الوقت ، خطوة مهمة لأنها حققت تقدماً كبيراً في طريق الاستقلال التام وحددت ، بجلاء ووضوح ، علاقات لبنان بفرنسا . لكن التوقيع عليها اصطدم بعقبات . فقد عمد فريق من اللبنانيين ، اخطأ في تفسير اهداف الحكومة الحقيقة ، الى اعلان الثورة ، وانطلق المتظاهرون في ساحة الشهداء يحاولون اقتحام السراي واحتلاله . فتصدى لهم رجال الامن والحقوا ببعضهم اصابات قاتلة . وكادت الاضطرابات تتحول الى حرب اهلية هددت العاصمة ، طوال ثلاثة ايام ، بالانفجار .

الا ان التوقيع على المعاهدة ما لبث ان تم في جو هادىء . ثم صدقها مجلس النواب اللبناني ، بعد اسابيع قليلة . اما مجلس النواب الفرنسي فقد تباطأ في مناقشتها ، ولم يفرج عنها الا بعد اشهر ، وبعدما اوصت لجنة الشؤون الخارجية برفضها . وقيل آنذاك ، ان كبار موظفي الانتداب الذين عز عليهم ان يفقدوا وظائفهم ، لعبوا دوراً رئيسياً في الرفض. وبذلك كتب على المعاهدة ان تظل مطوية لتبعث في مناسبة اخرى .

وشهد عام ١٩٣٧ انتخابات نيابية جديدة جرت بموجب قانون جديد للانتخاب قضى برفع عدد النواب الى ستة وستين نائباً بعد ما زعم ان عدد الخمسة والعشرين غير كاف لتعزيز الحياة البرلمانية ولان الحكومة التي نالت الثقة باصوات قليلة اضحت رهن غالبية مائعة .

اما رئيس الجمهورية فقد لجأ ، فور تسلمه السلطة ، الى اسناد رئاسة الحكومة الى خيرالدين الاحدب وراحا يخططان معاً للاتيان بمجلس نيابي يتسلطان عليه . فاتسمت المعركة الانتخابية ، لذلك ، بطابع من العنف انذر بكارثة ، خاصة في منطقة الشوف ، وفي دير القمر والباروك بالذات حيث ظهر السلاح وارتكب مؤيدو السلطة وبمساعدتها حوادث شغب دامية هددت بعواقب وخيمة لو لم يتدخل المفوض السامي لانقاذ الوضع واعتماد حل وسط قضى باقتسام المقاعد النيابية بين الحكومة وخصومها .

وكنت من الفائزين . وفي عام ١٩٣٨ تسلمت وزارة المال في حكومة خالد شهاب ثم عينت ، بعد مدة ، وزيراً للاشغال العامة .

وهنا اود ان اعلن اني رغبت منذ ذلك الوقت، وبموافقة رئيس الجمهورية ، في انشاء مكتب للقمح يتولى تشجيع زراعة الحنطة من جهة ويؤمن ، من جهة اخرى ، تموين البلاد بالقمح فلا تتعرض عند اول خضة دولية لنقص في التموين ولمجاعة شبيهة بما حدث في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨ . لكن رغبتي لم تتحقق لان الكونت ده مارتل خشي ان يثير هذا المشروع السوريين الذين يضيمهم ان يخسروا زبوناً كلبنان ، فاقنع رئيس الجمهورية برفضه .

دعش مجلس النواب الجديد طويلاً . فما ان أعلنت الحرب العالمية الثانية في أول ايلول ١٩٣٩حتى علق المفوض السامي الدستور وحل مجلس النواب دون ان يتمكن احد من ادراك حقيقة هذه الاجراءات التي تمس حرياتنا او ان يحاول مناقشتها او انتقادها . فالجميع اتفقوا على وجوب التغاضي عن تصرف سلطة

الانتداب التي انصرفت الى قضايا اكثر اهمية ، ومساعدتها عـــلى القيام بدور اكثر فعالية في الحرب اعتقاداً منهم بان فرنسا اقوى من ان تقهر وبان الجيوش الالمانية غير قادرة على اقتحام خطوط الدفاع الفرنسية .

غير ان الجيوش الفرنسية اخفقت في التصدي لقوات هتلر وبـدأت تتقهقر امامهـا ، بينما كان اللبنانيون يتابعون بحرقـة ولهفة اخبار القتال . وفي احدى الليالي صمت راديو باريس بصورة مفاجئة . فادرنا جهاز الراديو على اذاعة لندن لنستمع الى النبأ ، الصاعقة : احتلت القوات الالمانية مدينـة النور . وفي هـذه الاثناء سمعنا فرقة فرنسية من ابنـاء المستعمرات تطوف احد الشوارع القريبة من منزلنا في الاشرفية وتطلق الاناشيد والاهازيج ابتهاجاً بانتهاء الحرب .

اما كبار موظفي الانتداب ، فقد اعلنوا تمرداً عابراً عـلى سلطة فيشي ثم جهروا بالطاعة للمارشال بيتان . لكن اللبنانيين رفضوا الاقتداء بهم . فالدعاية التي زودتنا بها السلطات الفرنسية عن النظام الهتلري منذ نشوئه ، اوثقتنـــا بالديمقراطيات التي تمنينا لها ، بحرارة ، الفوز . ونأمـل ان نتابع السير في هذا النهج السليم .

ظلت بريطانيا ، بعد استسلام فرنسا ، وحيـدة في الميـدان . والتفتت الى هذه المنطقة توليها قدراً كبيراً من الاهتمام بعدما استقرت في بيروت عام ١٩٤٠ بعثة هدنة ايطالية التحق بها ، بعد مدة ، عـدد من العملاء الالمان انضموا الى عملاء وجدوا في العاصمة اللبنانية عند انفجار النزاع الدولي ، اعتقلتهم السلطات العسكرية الفرنسية ثم اعتقتهم . وقد نشط هؤلاء ، نظراً لامكاناتهم المـادية الضخمة ، الى اثارة الرأي العام العربي ضد بريطانيا التي خشيت من تحرك الماني باتجاه لبنان وسوريا والعراق حيث تختمر ثورة رشيد علي كيلاني . فعزمت على تطويق اية مضاعفات وقررت ، خلافاً لرأي الجنرال ديغول الذي اصر على ان تتولى قوات فرنسا الحرة تحرير لبنان وسوريا ، تنفيذ مشروع يرتكز عـلى النقطتين التاليتين :

– تسند المهمة الى قوات بريطانية تقوم ، تحت امرة قيادة بريطانيـة ، باحتلال لبنان وسوريا تساندها قوات فرنسا الحرة .

– التشديد على ان الحلفاء لن يأتوا كغزاة او سادة ، بل كمحررين ، وذلك تجاوباً مع الروح الوطنية التي بدأت تتجلى عند الشعبين اللبناني والسوري ، ولكي تنجح الحملة العسكرية باقل جهد مستطاع بعد الاطمئنان الى صـدق عاطفة اللبنانيين والسوريين وتعاونهم مع الحلفاء .

هذان العاملان حمـلا رئيس الوزارة البريطانية ، ونستون تشرشل ، في ٦ حزيران ١٩٤١ على توجيه البرقية التالية الى الجنرال ديغول :

« اسعدتني موافقتك على اعطاء لبنان وسوريا وعداً بالاستقلال . واعتقد ان الضرورة تحتم دعم هذا الوعد بكل طاقاتنا . انا اقرك بانـه يجب ان لا نعرض الاستقرار والتوازن في الشرق الاوسط لأي خطر من خلال أي حـل مرتقب للقضية السورية . لكن علينا ، بصرف النظر عن هذه القضية ، ان نفعل كل ما نستطيع لارضاء اماني العرب وعـدم اثارة شكوكهم . واني واثق بانك تقدر أهمية ذلك » .

بدأت قوات الحلفاء زحفها في ٨ حزيران بعدما تم التمهيد له باعلان مزدوج. فأطلق وزير الدولة البريطاني في القاهرة البيان الاول الذي يعـترف باستقلال لبنان وسوريا . ووجه البيان الثاني باسم الجنرال ديغول ، الجنرال كاترو ، الذي كان يمارس سلطات حكومة فرنسا ما قبل الحرب عام ١٩٣٩ وصلاحياتهـا . وبهذه الصفة الغى الجنرال كاترو الانتداب واعلن استقلال لبنان وسوريا على ان يتوصل الفريقان ، في الوقت المناسب ، الى معاهدة تضمن هذا الاستقلال وتحدد علاقات لبنان وسوريا بفرنسا .

قال الجنرال كاترو في بيانه :

أيها اللبنانيون ، أيها السوريون .

في هـذه الساعة ، وبعد ما دخلت قـوات فرنسا الحرة المتحدة مع قوات بريطانيا العظمى ، حليفتها ، الاراضي اللبنانية ، اعلن اني تسلمت جميع السلطات والمسؤوليات التي يمارسها ممثل فرنسا في الشرق ، وذلك باسم فرنسا الحرة وباسم قائدها الجنرال ديغول .

واني بصفتي هذه ، الغي الانتداب واعلن لبنان حراً ومستقلاً .

أيها اللبنانيون والسوريون .

هذه فترة مجيدة من تاريخكم . وباسم فرنسا ، التي تناضل من أجل حياتها وحرية العالم ، اعلن استقلالكم .

وفي اعقاب هذين البيانين ، نشرت رسالة وجهها وزير الدولة اوليفيه ليتلتون الى الجنرال كاترو بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤١ جاء فيها :

« اود ان اغتنم هذه المناسبة لأؤكد لكم باننا نعترف بمصالح فرنسا التاريخية في الشرق . ان هدف بريطانيا الوحيد من اهتمامها بلبنان وسوريا هو الانتصار في الحرب ، وليس لها اية رغبة في الحد من مكانة فرنسا في هذين البلدين . وقد تعاهدت فرنسا الحرة وبريطانيا العظمى على تحقيق استقلال لبنـان وسوريا . ونحن عـلى استعداد للاعتراف بوضع فرنسا المميز بالنسبة الى الدول الاوربية الاخرى فيهما بعد ما نجتاز المرحلة الحالية المهمة » .

وفي رده الصادر بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٤١ تجاهل الجنرال كاترو الالتزامات البريطانية ، فقال :

« تسلمت كتابك المؤرخ في ٢٤ تموز . يسعدني ان آخذ علماً بالتأكيدات والتطمينات المتعلقة بعدم اهتمام بريطانيا بسوريا ولبنان ، وبان بريطانيا تعترف مسبقاً باوضاع فرنسا المميزة وبمكانتها المفضلة في هذين البلدين عندما يستقلان » .

الرسائل المتبادلة هذه لم تبدد الشكوك والعوائق الـتي اعترضت علاقات فرنسا ببريطانيا ونظرة كل منهما الى مستقبل لبنان وسوريا . فبريطانيا الـتي اعلنت « أن هدفها الوحيد هو الانتصار في الحرب » حرصت على ان تحترم وعدها لتنجح في اكتساب ود اللبنانيين والسوريين وتوطد علاقاتها بالدول العربية الاخرى حيث تملك مصالح رئيسية . أما الفرنسيون فلم ينظروا الى « الاستقلال الموعود » الا من خلال ما يضمن لهم مكانة مفضلة ووضعاً مميزاً .

في غمرة هذه الشكوك والعوائق طلب البريطانيون مـن السلطات الفرنسية ان تجيز لممثلهم ، الجنرال سبيرس ، الاشتراك في المحادثات التي ستجري مع لبنان وسوريا حول معاهدة الاستقلال . لكن السلطات الفرنسية رفضت هذا الطلب. فوجه وزير الدولة في القاهرة الى الجنرال كاترو ، الكتاب التالي :

« إني اعلق أهمية كبيرة ، كما تعلم ، على ان يكون القائد البريطاني في سوريا متفقاً معكم ، بصورة تامة ، على ما تتمخض به المنطقة من احـداث . ونظراً لاقتناعي بان محادثات المعاهـدة مع الحكومتين السورية واللبنانية تبدو اكثر الحاحاً اود ان اطلب ، باصرار ، بان يسمح للجنرال سـبيرس ، الذي يـتزعم بعثتنا ، بالاشتراك في المحادثات » .

أما الجنرال كاترو فقد رفض العرض البريطاني وأجاب في اول آب ١٩٤١ :

« يؤسفني القول اننـا لا نستطيع الموافقة على السماح للجـنرال سبيرس بالأشتراك في محادثات المعاهدة مع الحكومتين اللبنانية والسورية . ولا بد ان تدركوا أسباب الرفض عندمـا توقنون ان المحادثات ستجري بين فرنسا ودول تخضع لانتدابها وليس بين الحلفاء ودول كانت مستقلة .

« ان حكومة فرنسا الحرة التي تمثل فرنسا اخذت المبادرة في انهاء الانتداب وتسوية علاقاتها المقبلة بدول الشرق . من هنا يتضح ان المحادثات الحالية يجب الا تضم شخصاً ثالثاً » .

هذه العقبات التي نشأت بين الفرنسيين الأحرار والبريطانيين ، بالاضافة الى قضايا اخرى ، حتمت عقد اجتماع في بيروت ضم الجنرال ديغول ووزير الدولة ليتلتون وانتهى بتبادل رسالتين اخيرتين في ٧ آب ١٩٤١ . قال وزير الدولة البريطاني :

« عزيزي الجنرال ،

يسعدني ، في ختام محادثاتنا ، ان اؤكد مرة اخرى ، ان بريطانيا العظمى لا تملك الا هدفاً واحداً في لبنان وسوريا هو الانتصار في الحرب. ولسنا نبتغي التجاوز على اوضاع فرنسا . فقد تعاهدت فرنسا وبريطانيا العظمى على منح لبنان وسوريا استقلالهما. ونحن حريصون على ان نقر، بمحض ارادتنا واختيارنا، بمكانة فرنسا الرئيسية المفضلة في لبنان وسوريا بالنسبة الى جميع الدول الاوربية، عندما نجتاز هذه المرحلة المهمة . وقد تصرفنا دائماً ، بوحي هذا التفكير ... »

ورد الجنرال ديغول عليه بما يلي :

« عزيزي الكابتن ليتلتون ،

يسعدني ان آخذ علماً بالتأكيدات التي عرضتها ، مجدداً ، والتي تتعلق بعدم اهتمام بريطانيا العظمى بلبنان وسوريا وبان بريطانيا العظمى تعترف ، مسبقاً ، بمكانة فرنسا المفضلة والمميزة عندما ينال البلدان استقلالهما وفقاً للتعهد الذي اعطته فرنسا الحرة ... »

وتحركت القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة. اهدافها العسكرية كانت بيروت ، رياق ودمشق . ودارت معارك قصيرة ودامية قاتل فيها الأخ أخاه وانجلت عن مقتل مئات الجنود . وفي ١٢ تموز ١٩٤١ نجح الهجوم على ضواحي الدامور في فتح طريق بيروت فطلب الجنرال دانتز ، قائد قوات فيشي ، عقد معاهدة واوفد الى سان جان داكر بعثة لتناقش شروط المعاهدة وتوقع عليها .

وهكذا انتهت معركة احتلال لبنان وسوريا وانجلت عن سقوط بعض الضحايا وعن تدمير جزئي حل ببعض المناطق وخصوصاً في مرجعيون وجزين والدامور كما تعرضت بيروت لغارات جوية لم تخلف خسائر جسيمة لأن موقف الفرد نقاش رئيس الجمهورية آنذاك وقراره الجريء الحكيم بجعل بيروت مدينة مفتوحة جنب العاصمة كارثة ما كان سيتحول الى حرب شوارع .

أبى اللبنانيون، بعد ما أدركوا الصعوبات التي اعترضت الوضع العسكري، ان يطالبوا فورا بتنفيذ التعهدات الخاصة بالاستقلال . وتحلى السوريون ، أيضاً، بالصبر والحكمة . فانقضى الجزء الأخير من عام ١٩٤١ والجزء الأول من عام ١٩٤٢ دون ان يوجه البلدان أي طلب رسمي بهذا المعنى الى البريطانيين والفرنسيين. ولم تبدأ ، إلا في القسم الثاني من عام ١٩٤٢ ، محادثات شكلية هدفت الى الانتقال بلبنان ، بسرعة ، الى مرحلة الحرية والاستقلال .

فالبريطانيون ابدوا ، دائماً ، استعدادهم لاتخاذ اية خطوة ممكنة شرط الا تثير الفرنسيين وتسيء الى الجهود الحربي المشترك . اما لجنة الجزائر الفرنسية — وهنا يكمن خطأها الأساسي — فلم تكتف باعطاء الدليل على انها لا تستعجل تنفيذ تعهداتها ، لكنها راحت تماطل لترجيء تنفيذ الموعد الى أمد غير محدود . ثم استعادت بعثة فرنسا الحرة سلطات المفوض السامي للجمهورية الفرنسية بينما كان الفرنسيون الاحرار يعززون اوضاعهم العسكرية والسياسية في الخارج . وتسلم الممثل العام منصب المفوض السامي واخذ يصدر القرارات ويعبث بالقوانين، ويعين رئيس الجمهورية ويعزله. وكان الرئيس الفرد نقاش، احد اقطاب السياسة اللبنانية الذين اكتسبوا كل احترام ، آخر ضحايا اجراءاته التعسفية .

ويبدو ان اللبس الظاهر الذي ساد نص التعهدات البريطانية جاء وليد اعتبارين ، يتعادلان اهمية ودقة ، تنازعا السياسة البريطانية :

الاول : موقفها من الرأي العام اللبناني والعربي والتزامها بموعد قطعته .

الثاني : حاجتهـا الى مساندة الفرنسيين الاحرار ، حلفائها ، للانتصـار في الحرب ، يقابلها اصرار الفرنسيين على الاحتفاظ بمكانة وصفها الجنرال كاترو والجنرال ديغول تارة « بمكانة سائدة » وطوراً « بمكانة مفضـلة » اذا اخفقوا في المحافظة على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها أثناء الانتداب .

على الصعيد اللبناني كانت الغالبية الساحقة ترى ان الغاء الانتداب بات أمراً محتومـاً . وهذا الاقتناع لم ينبثق عن ارادة الحكومـة البريطانية والجـنرال كاترو ممثل فرنسا الحرة ، لكنه جاء وليد شعور بان كلمات : حرية - استقلال - سيادة الـتي نشدها اللبنانيون وبها طالبوا ، مع مراعاة علاقات الصداقـة التقليدية التي تشدهم الى فرنسا ، لم تكن الا نتيجة مبـاشرة للتطور الطبيعي . كما ان زوال جامعة الامم ازال جميع هيئاتها واجراءاتها ، بما فيهـا الانتداب .

حتى مطلع ١٩٤٣ لم تصدر عن البعثة العامة لفرنسا الحرة اية بادرة تنبيء باحتمال تنفيذ التعهدات في مستقبل قريب . لذلك بدأت مطالبنا تصاغ في قالب محدد واضح . ولما كان لبنان قد شهد ، منذ ١٩٣٩ ، حكومات غير طبيعية تشكل بقرار يصدر عن المفوض السامي لا تتمتع باية سلطة فعلية وتخضع لارادة ممثـل فرنسا الحرة المطلقة ، رأينا ان الانطلاق في طريق الاستقلال والحكم الحر يجب ان يبنى على انتخابات عامة وينبثق عنها مجلس نيابي وحكومة يمثـلان الارادة الشعبية . لكن البعثة العامة تجاهلت هذا الطلب ، في البـدء ، ثم أشارت الى احتمال دعوة مجلس النواب القديم الذي حلته سلطات الانتداب في عام ١٩٣٩ . عند ذاك بدأ الحديث يدور مع بعض الاصدقاء السياسيين ولفـترة من الزمن ، على تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة سليم تقلا تدعو مجلس النواب المنحل وتوافق على تحكيم ممثل فرنسا الحره في اختيار رئيس الجمهورية .

فعارضت بشدة في الاجتماعات المتلاحقة التي عقدت في مكتب الشيخ بشاره الخوري ، هذا الاقتراح الذي اثار جدلاً عنيفاً . وبينت ان هذه الخطـوة التي

اقترحت لارضاء بعض النزوات والمطامع الشخصية ، ستؤدي الى تقويض الصرح الوطني الذي ما فتئنا نوطد قواعده . وكان الرفض ، عندذاك ، نصيب الاقتراح . وهنا اود أن اشيد بواقعية سليم تقلا الذي ادرك خطر هذا التدبير على استقلال لبنان ، اذا تم تنفيذه ، فعارضه وطوبناه الى الأبد .

على الصعيد البريطاني حققنا نجاحاً اكبر . فالجنرال سبيرس ممثل الحكومة البريطانية اشتهر بصداقته الوطيدة لفرنسا الـتي ترقى الى الحرب العالمية الاولى حيث خدم كضابط ارتباط مع قوات الجـنرال « لانرزاك » وقوات المارشال « فرانشاي - اسبيري » طوال معارك « المارن » . ثم عين ممثلاً شخصياً لرئيس الوزراء ونستون تشرشل لدى الحكومة الفرنسية في مطلع الحرب العالمية الثانية وعندما استسلمت القوات الفرنسية تولى نقل الجنرال ديغول ، على مـتن طائرته الخاصة ، الى بريطانيا حيث جرى تنظيم قوات فرنسا الحرة

أما اللادي سبيرس فقد نظمت قبل زواجها في عام ١٩١٤ مستشفى متحركاً لمعالجة المرضى في الجبهة الفرنسية . وفي عام ١٩٣٩ اعادت الكرة .

لقائي الاول بها كان قصيراً ومحدوداً ، والمحادثات التي تخللته اقتصرت على تبادل الآراء العامة في اوضاع لبنان ، والانطباع الحسن الذي خلفتـه القوات البريطانية عند الشعب اللبناني

في اجتماعاتنا المتكررة بالجنرال سبيرس اعدنا - انا وبعض السياسيين - الى الذاكرة الوعد البريطاني بتأكيد استقلال لبنان وبان وقت تنفيذ هذا الوعد قد حان . والمحنا الى ان الخطوة الاولى تكمن في اجراء انتخابات نيابية تولد عنها سلطة وطنية مؤهلة لتمثيل لبنان والتكلم باسمه .

ثلاثة عوامل رئيسية عززت موقفنا عند الممثل البريطاني وحكومته :

- ان السير ادوار سبيرس عضو في مجلس العموم . فهـو ينتمي ، اذن ، الى

اعرق التقاليد البريطانية ويعتقد بان نظام التمثيل الشعبي هـو نظام الحكم الوحيد الذي يلائم بلداً حراً او يناسب بلدا ينشد الحرية .

– ان بريطانيا العظمى التزمت ببيان علني هي مضطرة لاحترامه ، لأن نقضه سيستغله المحور ضد الحلفاء في جميع بلدان الشرق الأوسط .

– ان بلداناً عربية كمصر والعراق والاردن والعربية السعودية ابدت دعمها المطلق للبنان وسوريا ، وبدأت تضغط ، باستمرار ، على الحكومة البريطانية لتنفيذ الوعد بالاستقلال .

وبذلك طوي مشروع دعوة مجلس نواب ١٩٣٩ ، بعد مناقشات طويلة ، وتم الاتفاق على اجراء الانتخابات النيابية في شهر آب ١٩٤٣. أما البعثة العامة لفرنسا الحرة ، فاتخذت قرارين :

الاول : تحديد نسبة التمثيل في مجلس النواب بمعدل ستة مقاعد للمسيحيين وخمسة للمحمديين وهو التوزيع الذي ما زال معتمداً حتى اليوم .

الثاني : استبدال الرئيس نقاش الذي اكره على الاستقالة ، بالرئيس بيار طراد ، طوال فترة الانتخابات .

الانتصار الأكبر

ارتدت انتخابات ١٩٤٣ طابع العنف . فالمفوضية الفرنسية القت بثقلها في المعركة لتساند مرشحيها ، خاصة في جبل لبنان . وانجلت الدورة الاولى عن فوزي بمفردي من لائحتنا المكونة من سبعة عشر مرشحاً بينما فاز ستة مرشحين من اللائحة المنافسة . ووقع « بالوتاج » بين الخصمين الرئيسيين التقليديين : اميل اده وبشاره الخوري الذي تزعم لائحتنا على الرغم من بعض الضعف الذي كان يتملكه. فخلف فشله، مع بعض المرشحين الاصدقاء، صدمة عنيفة لحركتنا. وقد خاض ، للمرة الاولى ، الانتخابات النيابية التي تتأثر عادة ، بالاشخاص اكثر من المبادىء دون ان يضمن شعبية كبيرة لا يمكن ان تولد في قرانا،وتنمو الا بالاتصالات الشخصية .

توجهت صباح اليوم التالي الى عاليه حيث التقى المرشحون ، فوجدتهم يقاسون من انهيار معنوي تام ، ناهيك عن الارهاق الجسدي . وكان علينا ان نتخذ قراراً سريعاً وحاسماً بشأن المرحلة الثانية من الانتخابات التي لا يفصلنا عنها سوى سبعة ايام : هل نستمر في المعركة أم ننسحب ؟ فأجبت ، عندما طلب إليّ إبداء الرأي – وكان لرأيي وزن كبير – بضرورة متابعة المعركة حتى النهاية دون خشية أو وهن ، وأبديت استعدادي لبذل كل مجهود مستطاع قد يضمن الفوز .

والتزمت بوعدي . ففاز في الدورة الثانية الشيخ بشاره الخوري وخمسة من اصدقائي ، كما فاز الرئيس اميل اده وبعض انصاره .

لكن الاخفاق الجزئي الذي واجهناه في جبل لبنان لم يؤثر على الغالبية النيابية التي كنا نؤملها. فنتائج الانتخابات العامة التي جرت في الدوائر الاخرى أعطت العناصر الوطنية غالبية ملحوظة ومكّنت جميع قادة الاستقلال من دخول مجلس النواب . فبات من الضروري ، عند ذاك ، ان ننتقل الى انتخابات رئاسة الجمهورية التي أحيطت ، في تلك الاثناء ، بقدر وافر من الاهمية واستأثرت بجهود رئيس البعثة البريطانية من جهة وباهتمام المندوب العام لفرنسا الحرة من جهة اخرى . ووقف الخصمان الكبيران اللدودان وجهاً لوجه . مرشحنا كان الشيخ بشاره الخوري ، وكان الرئيس اميل اده منافسه .

وبعدما اخفق الرئيس اده في اكتساب غالبية نيابية تسانده ، أقدم على خطوة لم يعرف كيف يكملها . فأبلغ الجنرال سبيرس ، رغبة منه في توفير الاجماع لرئيس الجمهورية الجديد ، موافقته على سحب ترشيحه شرط ان ينسحب الشيخ بشاره الخوري ، بدوره ، من المعركة . ثم اقترح ثلاثة اسماء يتم اختيار احدهم رئيساً للجمهورية . وكنت أحد هؤلاء الثلاثة . فوافق الشيخ بشاره الخوري على الاقتراح واصبحت ، طوال ثمان واربعين ساعة ، المرشح الوحيد. وما لبثت ان أجريت مع الرئيس اده ، بناء لطلبه ، محادثات أكد لي خلالها العرض الذي قدمه الى المعتمد البريطاني .

الا ان هذا الاقتراح لم يعش طويلا بعدما رفضته البعثة العامة لفرنسا الحرة ، فعمد الرئيس اده ، عند ذاك ، الى سحبه وعادت القضية الى النقطة التي انطلقت منها . وهنا أبدى الشيخ بشاره الخوري ، في اجتماع عقدته الكتلة وحضره عدد كبير من النواب الذين انضموا الينا ، رغبته في متابعة دعم ترشيحي . فشكرته على موقفه وأكدت تأييدي التام له ونصحته بان يوهم البعثة الفرنسية بأني لا ازال مرشح الجبهة الوحيد وذلك في الاجتماع الذي تقرر ان يعقد بعد الظهر ليحدد لها — أي للبعثة — موقفه النهائي . واعطى هذا القول فائدته المرجوة. فما ان حل المساء حتى زاره مسؤول فرنسي كبير لينقل اليه التطمينات

اللازمة : البعثة الفرنسية عدلت عن دعم ترشيح الرئيس اميل اده .

انتخب الشيخ بشاره الخوري رئيسا للجمهورية وعهد بمهمة تشكيل الحكومة الى رياض الصلح الذي دخل ، للمرة الاولى ، مجلس النواب وتسلم ، للمرة الاولى ايضاً ، مسؤوليات مهمة حقيقية . وكان يتمتع بشهرة واسعة في العالم العربي. فقد اقترن ماضيه بنضال مستمر ضد السيطرة العثمانية ، ثم قاوم الانتداب مع انه كان يرتبط بعلاقات ودية مع المسؤولين الفرنسيين . لذلك رأينا كيف نجحت صداقاته لرجالات سوريا ومصر والعراق الوطنيين في اقامة تعاون مثالي ، فعال ، بين هذه البلدان ولبنان المستقل لانه كان يعتبر ان استقلال لبنان في عالم عربي متماسك ، متين الاسس ، يجب ان يشكل حجر الزاوية في سياسته .

تسلمت وزارة الداخلية في الحكومة الجديدة ، بينما أسندت وزارة الخارجية الى سليم تقلا . وشغل الامير مجيد ارسلان منصب وزير الدفاع وعين عادل عسيران وزيراً للاقتصاد الوطني . اما حبيب ابو شهلا فقد عين نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للعدل .

كان الدستور اللبناني ، حتى ذلك الوقت ، من صنع الانتداب ويطبق على بلد يعيش في ظل الانتداب. لقد وضع في عام ١٩٢٦ بشكل يمنح المفوض السامي سلطات تتعارض مع سلطات المسؤولين اللبنانيين وتحد منها ولا تتفق ، بالتالي ، مع كرامة بلاد مستقلة وسيادتها .

فبذلنا مع المفوض السامي محاولة عقيمة لتعديل الدستور . وفي ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٣ سلمنا البعثة العامة مذكرة رسمية تعرب عن رغبة الحكومة اللبنانية في تعديل الدستور وإلغاء جميع المواد التي تمس بسيادة لبنان ، وتطالب بان تتحول البعثة العامة الى بعثة دبلوماسية عادية بعدما تسلم الحكومة اللبنانية

المصالح العامة التي تشرف عليها بصفتها الدولة المنتدبة . لكن البعثة العامة رفضت المذكرة لانها ، كما ادعت ، غير قادرة على تعديل المواد الدستورية الخاصة بالانتداب ولا يمكن ان توافق على تسليم المصالح العامة قبل التوصل الى اتفاق شامل ونهائي يحدد العلاقات الفرنسية — اللبنانية .

قررت الحكومة ، عند ذاك ، ان تتخطى اعتراضات البعثة العامة . فدعي مجلس الوزراء الى جلسة طارئة لمناقشة مشروع قانون بتعديل الدستور واقراره وإحالته الى مجلس النواب .

وعقد مجلس الوزراء في ٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ جلسته المصيرية الخطيرة التي تخللتها مناقشة هادئة وواقعية . فلم نشك ، ابداً ، بان البعثة العامة لن تتورع عن ارتكاب أية هفوة وان ردة الفعل عندها قد تكون عنيفة واعتباطية مجردة عن أية مسؤولية . لكننا كنا نعرف ، من جهة ثانية ، ان هذه المناسبة هي الفرصة الوحيدة التي تتيح لنا مجال تحمل مسؤولياتنا كاملة ، تامة ، وان أي تراجع او تردد قد يقوض الاستقلال الذي عاهدنا على تحقيقه بأي ثمن .

بعدما أبدى كل من الوزراء ملاحظاته وناقش الجميع موجة الغيظ والغضب التي قد تستبد بالبعثة الفرنسية العامة ، نتيجة اقرار مشروع التعديل ، طلب رئيس الجمهورية التصويت عليه ، فوافق الجميع على التعديلات المقترحة التي أحيلت ، بسرعة ، الى مجلس النواب لمناقشتها في جلسة تعقد في ٨ تشرين الثاني . لكن مسيو ايف شاتينيو ، خليفة هليو الذي أوفد في مهمة رسمية الى الجزائر ، وجه الى الحكومة اللبنانية رسالة طلب فيها تأجيل مناقشة مشروع التعديل في مجلس النواب حتى يعود المندوب العام مسيو هليو مزوداً من لجنة الجزائر « باقتراحات مفيدة » . وختمت الرسالة بالعبارة التالية : « اما اذا وضع الممثل العام أمام الامر الواقع فسيجد نفسه مضطراً الى اتخاذ التدابير التي يراها مناسبة » .

فأجابت الحكومة اللبنانية ان مجلس النواب سيد نفسه وجدول أعماله وليس في وسعها ان تطلب تأجيل المناقشة . وأضافت انها لا تعتقد بان اقرار مشروع التعديل يهدف الى عرقلة المفاوضات مع لجنة التحرر .

كانت المناقشة في مجلس النواب سريعة وحاسمة . فتم ، بغالبية ساحقة ، اقرار الدستور الجديد الذي وقعه رئيس الجمهورية على الفور . وهكذا توطد استقلال لبنان من الناحية القانونية . إلا ان البعثة العامة لم ترض بالواقع وعمدت في ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ الى إلغاء الدعوة التي سبق لمسيو هليو ان وجهها الى رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة للاشتراك في احتفالات الهدنة التي حددت في ١١ تشرين الثاني . فاعتبر هذا التصرف مقدمة لعمل أهم . فما عساه يكون ؟

ورداً على سؤال طرحه عليه السير ادوار سبيرس ، في حفلة عشاء أقيمت على شرف الملك بول عاهل يوغوسلافيا لمناسبة مروره في بيروت ، اعطى المبعوث العام مسيو هليو تأكيداً رسمياً بعدم اتخاذ اجراءات عنف ضد الحكومة اللبنانية .

في المساء قمت بزيارة رئيس الجمهورية ثم عدت الى منزلي حيث كان ينتظرني بعض الاصدقاء ليقفوا على آخر الانباء ، وآويت الى سريري . وما ان اذنت الساعة الرابعة صباحاً حتى أفاق شقيقي فؤاد ، الذي يرقد في غرفة تطل على الشارع العام ، على جلبة تنبعث من الطريق وشاهد جنوداً ببزاتهم العسكرية ورجالا تابعين للامن العام يتجهون بسرعة ، الى مدخل المنزل . فحضر بسرعة الى غرفتي ليبلغني ذلك . فأدركت ، على الفور ، حقيقة الامر ودعوته الى الهائهم ريثما أرتدي ثيابي في الغرفة المجاورة .

وما لبث الجنود ان اقتحموا المدخل الرئيسي بقوة وكادوا ان يحطموا ، بضرباتهم المتكررة ، الباب الداخلي . ففتحت زوجتي الباب لتجد نفسها محاطة

بعشرين جنديا اشرعوا حرابهم ودخلوا الى القاعـة الرئيسية يتقدمهم قائدهم . فسألتهم : ماذا تريدون ؟

أجاب القائد : نريد الأستاذ شمعون . أين الاستاذ شمعون ؟

قالت زوجتي : انه في المنزل . وعليكم ان تجدوه .

وبينما كنت أوشك على الانتهاء من ارتداء ملابسي دخل الكابتن جان غرفتي يتبعه ستة جنود سددوا أحرابهم الى صدري ، وسألني :

— هل أنت الاستاذ شمعون ؟ هل أنت وزير الداخلية ؟

— نعم

— أود ان أتلو عليك خلاصة القرار الذي اتخذه الممثل العـام لفرنسا الحرة بالغاء الدستور والقاء القبض عليك . كانت الوثائق تحمل توقيع جان هليو

فابتسمت . وأشعلت لفافة وقدمت أخرى الى الكابتن جان . ثم حل دور القهوة التقليدية . لكن الكابتن تردد في قبولهـا ، فالححت عليه مؤكداً ان احتساءها لا يلزمه بشيء ، وانني مستعد لمرافقته .

فسادت الجميع ، عند ذاك ، لحظة من سكون . ثم أمر بابعاد الحراب عن صدري وهمس في أذني : « الى قلعة راشيا » . فطلبت من زوجتي ، حينئذ ، ان تحشو حقائبي بثياب الشتاء الدافئة . وانطلقنـا في الساعة الرابعة والنصف استعيد على مسمع الضـابط بعض الذكريات التاريخية واسرد قصصاً شيقة من الادب الفرنسي لأبدد كل ملل او سأم قد يسود الرحلة . ويبدو ان حديثي خلف أثراً طيباً في نفس الضابط ، فاطمأن إلي وصارحني باني لست الشخص الوحيد المعتقل . فموجة الاعتقالات شملت رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ووزراء

آخرين .

فأجبته : « حسناً فعلتم . فالحكومة ستجتمع في راشيا بدلاً من بيروت » .

فقال : « يجب ان تعتبر نفسك محظوظـاً لان الذين اعتقلوك كانوا من العسكريين لا من الأمن العام ... وإلا ... »

لم يكمل قولته . لكني أدركت ، دون عناء ، ماذا كان يريد ان يقول .

ما ان بلغنا آخر منعطف يؤدي الى قلعة راشيا حتى لحقنـا بسيارة تقل رئيس الجمهورية وصلت السيارتان ، في آن واحد ، الى مدخل القلعـة . فألقيت على رئيس الجمهورية نظرة ثم لزمت الصمت . ولاحظت انه يحـافظ على هدوئه ورباطة جأشه وانفته على الرغم من الشحوب الذي ساد قسماته .

ولم تمض لحظات حتى فتح الباب ثم أقفل علينا لنجد ان رئيس الوزراء قد سبقنا الى القلعة حيث شهد الحادث الطريف التالي :

حرصاً على ان يحاط اعتقالنا ونقلنـا الى راشيا بسرية مطلقة لم تنبىء السلطات الفرنسية احداً بالأمر ، حتى مـلازم الدرك الفرنسي المسؤول عن القلعة . وعندما قرع الحارس الباب معلناً انه يرافق رئيس حكومة لبنان حسب الملازم الفرنسي ان رئيس الحكومة يقوم بجولة تفتيشية على مراكز الحدود فراح يعتذر عن اضطراره لاستقباله بثياب النوم . لكن اعتذاره وأدبه استحالا فظاظة وخشونة بعدما أفهم بانه يستقبل رئيساً للحكومة معتقلا .

وما لبث سليم تقلا وعادل عسيران ان وصلا . فقد دوهمت منازلهما، ايضاً ، في الساعة الرابعة صباحاً ونقلا ، بقدر متفاوت من الوحشية وسوء المعاملة ، الى القلعة . وأودع رئيس الجمهورية في غرفة ، ورئيس الوزراء في أخرى بينما

أفردت لسليم تقلا وعادل عسيران ولي غرفة ثالثة تشرف على الساحة الداخلية والمدخل وتضم أربعة أسرة . فبدأنا نتبارى لمعرفة اسم الشريك الرابع .

في الساعة التاسعة صباحـــاً لاح عند الباب خيال نحيل أبيض يسير برأس شامخ يتحدى علامات الارهاق التي كانت تبدو عليه. ولم نعرفه إلا بعدما توسط الساحة الداخلية . انه عبد الحميد كرامي . كان يسير ، بين حراسه ، بقدمين عاريتين يقتعد جبينه جرح نزف منه الدم ويرتدي قميصـــاً وسروالاً ابيض ويرتعش من الصقيع. فعكفت على تنظيف جرحه وألبسته بعض ثيابي الدافئة . ثم أخبرنا كيف اقتحمت فرقة سنغاليـــة منزله الكائن في قرية مرياطة ، قرب طرابلس ، يعاونها فريق من رجال الأمن العام ، وانتشلته من سريره ونقلته الى راشيا عن طريق حمص – بعلبك – رياق خشية ان تتعرض لاية عقبات او متاعب ودون ان تأذن له بارتداء ملابسه .

لم يكن عبد الحميد كرامي عضواً في الحكومة . لكنه كان زعيم طرابلس دون منازع وواحدا من أهم الشخصيات اللبنانية . فازت لائحته بكاملها في انتخابات ١٩٤٣ بفضل شعبيته . وعرضه نضـــاله الوطني لعدة حوادث مع سلطات الانتداب التي فرضت عليه الاقامة الجبرية ثلاث مرات . لم أعرفه عن كثب قبل لقائنا في راشيا . لكن صداقة وطيدة جمعتنا فيما بعد .

أما الوزراء الآخرون فلم يصلوا . فأدركنا الاسباب وعلمنا ان نبأ اعتقالنا انتشر بسرعة البرق ليخلف نتائج مذهلة . فالعاصمة ثارت وازدحمت شوارعها بالفضوليين والمتظاهرين يتحدون السيارات العسكرية التي كانت تجوب المدينة بحجة المحافظة على الأمن ويطلق جنودها الرصاص عليهم . فنجح الجنـــود الفرنسيون في تفريق المتظاهرين دون ان يفلحوا في تهـدئة الخواطر . لذلك تجددت التظاهرات المنظمة صبـاح اليوم التالي وظهرت المرأة اللبنانية ، للمرة الاولى ، على المسرح السياسي لتدخل ميدان النضال الوطني من الباب الكبير .

وترأست زوجتي تظاهرة ضخمة اخترقت شوارع الاشرفية حتى الوسط التجاري في المدينة ثم انطلقت ، بعدما انضم اليها متظاهرات ومتظاهرون كثيرون ، الى قنصلية الولايات المتحدة الاميركية .

وزيران لم تشملها اوامر الاعتقال: حبيب ابو شهلا، صديق قديم للرئيس اده، والامير مجيد ارسلان خشية اثارة انصاره الدروز . وقد غادر الاثنان ، في ١١ تشرين الثاني ، بيروت الى بشامون التي تتوسط غابات وسلسلة من الصخور تحولها الى قلعة حصينة ، حيث شكلا جيشا صغيرا ضم متطوعين من مختلف المناطق . ثم لحق بهما صبري حماده، رئيس مجلس النواب ، نعيم مغبغب الذي قـــام بدور البطل الاسطوري ، الكولونيل فوزي طرابلسي على الرغم من المخاطر الـــتي احاقت به . عادل حمدان وهو مدعي عام سابق كلف شحن الذخيرة . جوثابت وميشال نادر بالاضافة الى عدد من سيدات المجتمع في بـــيروت نشطن لتأمين الطعام للمتطوعين .

اشتباك واحد فقط وقع بين المتطوعين والسيارات الفرنسية المصفحة اسفر عن استشهاد متطوع شـاب ، لان التظاهرات الصاخبة التي انطلقت ، يومياً ، اقلقت السلطات وارهقتها وصرفتها عن اتخاذ اي تدبير ضد بشامون، كما شغلتها ردود الفعل السيئة التي لاحت في كل مكان ، وخصوصاً في واشنطن ولندن ،وفي العواصم العربية .

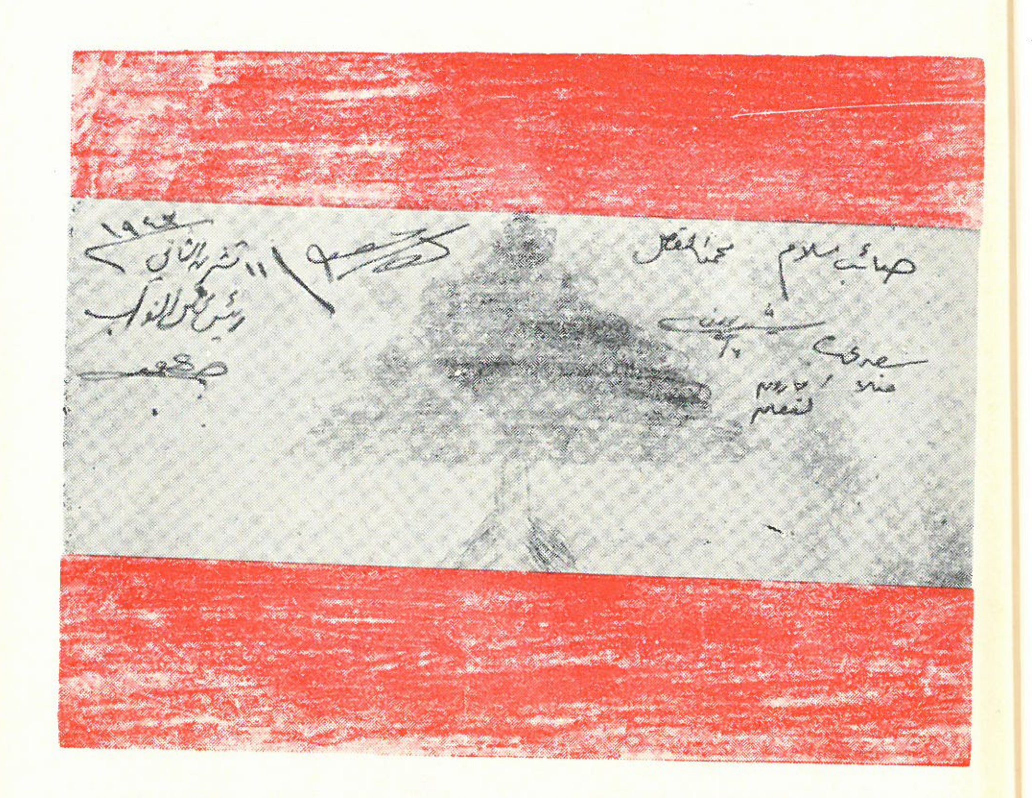
بيروت اعلنت الاضراب ، وكذلك المدن اللبنانية الرئيسية. وانتقل الشعب الى مرحـلة العنف فنظم فرقـا للمقاومة الشعبية اشترك في بعضها النجـادة ، والكتائب في بعضها الآخر . وبرع كثيرون، بينهم نعيم مغبغب وزهير عسيران وكلودا ثابت ، في القاء القنابل اليدوية .

بعدما الغت الدستور وحلت مجلس النواب واعتقلت رئيس الجمهورية واعضاء

الحكومـة ، فارتكبت عمـلاً لم تشهده السيطرة الاستعمارية في تاريخها الطويل ، نشطت البعثة العامة لمـلء الفراغ الذي اوجدته . فاستدعى مسيو هليو الرئيس اميل اده وعينه رئيسا للجمهورية . لكن الرئيس العتيد عجز ، طوال عشرة ايام، عن تشكيل الحكومة بعدما اعتذر جميع الشخصيات الوطنية والمدراء العامون ، ومنهم شقيقي البكر جوزف عن التعاون معه . فترك هذا الفشل عند الرأي العام والمراقبين الاجانب ، نتائـج عادلت باهميتها التظاهرات التي اجتاحت البلاد . وتخوفت لندن ونيويورك – واكتفي بذكر العواصم الكبرى – من تدهور الحالة التي باتت تشكل خطرا على سلامة الجيوش الـتي تخوض حربا طاحنة ضد قوات المحور ، فنشطتا لمعالجة الاوضاع واقنعتا لجنـة التحرر الفرنسية في الجزائر باستبدال مسيو هليو بالجنرال كاترو الذي وصل بيروت بارادة تحفل بقدر وافر من حسن النية .

خطوته الاولى ارتكزت على اعادة الوضع الطبيعي الى البلاد دون ان يتخلى الا عن ادنى نسبة ممكنة من الاجراءات التي اعتمدها سلفه لينقذ مكانة فرنسا . فلجأ الى التفرقة علها تمهد له طريق النجاح . وعقد مع كل من رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة اجتماعاً منفصلا حاول خلالـه ان يقنع الاول بالانفصال عن الثاني ومن ثم اقناع الاثنين بالتنكر لعدد من الوزراء. لكن صلابتهما ،بالاضافة الى ضغط الاحداث وتطورها ، احبطت محاولاته واكرهته على الغاء اجراءات البعثة العامة واطلاق معتقلي راشيا .

في السـاعة الثامنة من صباح يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ حضر الكولونيل نوفل قائد الدرك اللبناني الى القلعة على رأس فرقة من حرس الشرف ليبلغنا نبأ الافراج عنا . وبدأت العـودة المظفرة ، على امتداد الطريق الى بـيروت حيث احتشد ابناء القرى مصفقين ، هازجين ، مهللين . اما في بيروت فبلغت البهجة درجة الغليان وازدحمت ساحة الشهداء بابناء العاصمة وابناء الجبل الذين هبطوا



بينما كان بشاره الخوري – رياض الصلح – كميل شمعون – عبد الحميد كرامي – عـادل عسيران – سليم تقلا يقتعدون قلعة راشيا كان مجلس النواب يضع العلم اللبناني الجديد الذي اصبح شعار لبنان الرسمي . ويحمل الرسم المنشور اعلاه تواقيع رئيس مجلس النواب صبري حماده – صائب سلام – هنري فرعون – محمد الفضل– سعدي المنلا – رشيد بيضون – مارون كنعان.

العاصمة ، فقدر عددهم بمئات الالوف ، ونظموا لنا استقبالا رائعا لم تشهده البلاد من قبل .

توجهت الى بشامون ، قبل ان اعرج على المنزل، لاستعرض جيش المتطوعين واهنيء ابطاله . وفي اليوم التالي عدنا الى السراي . فتسلم رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة والوزراء سلطاتهم الدستورية .

ولم يعش مجلس النواب هذه الفترة التاريخية الحاسمة في جمود . فوضع ،بمبادرة من هنري فرعون وبعض النواب ، العلم اللبناني الجديد الذي جسد ، بصدق ، طبيعة اللبنانيين ولقاءهم حول فكرة واحدة ومبدأ واحد . وهو يتكون من ابيض يرمز الى المسيحية ، واحمر يشير الى الاسلام وترتسم في الوسط ارزة تمثل السلام في لبنان وتكرس خلوده .

وفي غمرة هذا النضال الاستقلالي ولد الميثاق الوطني ليوحد بين اللبنانيين على اختلاف ميولهم والنزعات . لم يكن وثيقة خطية اعدت سلفا . لكنه جاء تعبيرا جامعا ، شاملا ، للارادة الوطنية التي اكدت الوضع الجديد المنبثق عن انتخابات ١٩٤٣ والاحداث التي تلتها : رئاسة الجمهورية حصرت بالمسيحيين ، ونال المسلمون رئاسة الحكومة . ووافق الجميع على توزيع عدد النواب بنسبة ستة مقاعد للمسيحيين وخمسة للمحمديين . وهكذا التف جميع اللبنانيين حول العهد الاستقلالي الجديد ، ووافق لبنان على ان ينضم ، في نطاق سيادته المطلقة ، الى مجموعة الدول العربية يساندها ويتعاون معها بنشاط واخلاص الى أقصى حد .

ان الاسابيع التي انقضت حفلت بالامجاد وكانت نتائجها فريدة في تاريخنا . فلم يعرف لبنان ، منذ الفينيقيين ، مرحلة من السيادة التامة والاستقلال الناجز كالذي يتمتع به اليوم . لقد نعم بقسط من الحرية ، في أجيال غابرة ، لكنه ظل خاضعاً للامبراطورية البيزنطية ، وللغزاة العرب ، وللصليبيين ، وللامبراطورية

العثمانية . حتى حروب فخر الدين الكبير التي وسعت رقعة حدوده لم تتمكن من انقاذه ، بصورة تامة ، من السيطرة العثمانية .

بعد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ ولدت دولة تتمتع بسيادة حقيقية لها ما للدول الكبرى من حقوق وامتيـــازات . ولم ننجح في المعركة إلا بعدما دفعنا الثمن مرتين : الدم اللبناني الذي أريق والذي كان في المستطاع صيانتـه . وتدهور علاقاتنا بفرنسا . ومن العسير على المرء ان يتصور كيف تقاتل اللبنانيون والفرنسيون وتناحروا من أجل قضية حيوية كقضية الاستقلال بعد روابط الصداقة والتفاهم المتبادل التي جمعتهم .

رحلة الى لندن

عندما طلب اليّ رئيس الجمهورية الشيخ بشاره الخوري ورئيس مجلس الوزراء السيد رياض الصلح ، في شهر آب من عام ١٩٤٤ ، ان أتخلى عن وزارة الداخلية وان اوافق على القيام بمهمة مؤقتة في لندن ، كنت أعتقد ان هذه المهمـة لن تدوم إلا شهوراً ستة او عاماً على الأكثر .

وكنت أجهل كل شيء عن وظيفتي الجديدة . كنت أعرف ان عليّ انشاء مفوضية لنا في لندن ، وان الهدف المباشر هو الحؤول دون نجاح المساعي التي تبذلها الحكومة الفرنسية المؤقتة ، يدعمهـا رئيس قوي كالجنرال ديغول ، لتقويض أركان الاستقلال اللبناني الحديث العهد .

كانت تنقصني الخبرة الدبلوماسية والموظفون المجربون ، والوثائق اللازمة ، فكان عليّ ان أرتجل كل شيء ارتجـالاً : ان أضع لنفسي منهجاً في الفن الدبلوماسي ، وان أجد المعاونين اللائقين ، وان أختار للمفوضية داراً مناسبة ، وان أنشىء مجموعة من الوثائق والمستندات ، وان أتفهم قبل كل شيء تقاليـد وزارة الخارجية والأوساط الاجتماعيـة البريطانية . ان رأي هذه الاوساط ونفوذها يساويان ، ان لم يفوقا في الأهمية ، رأي وزارة الخارجية ونفوذها فيما يتعلق بتقرير وضع « الدبلوماسي » المبتدىء الذي يمثل بلداً يدخل جديداً حلقة الأمم المستقلة . ويتوقف نجاح « الدبلوماسي » او اخفاقه في مهمته ، الى مدى بعيد ، على الأثر الطيب او السيء ، الذي يحدثه في المجتمع اللندني .

وقد كان النجاح ، لنا ، ضرورة حيوية ، لأن العمل الموكول اليّ لم يكن

حدثاً بسيطاً طارئاً في حياة أمة مستقلة ، منظمة الامور من قبل ، بل كان يمس كيان لبنان نفسه . فلو مُني بالفشل لتعرض مستقبل لبنان كله لكارثة .

ومن جهة أخرى ، رأيت الباب يشرع أمامي على نضال مقبل ، ما أحبّه ! بل على نضال عظيم رفيع ، هو بالتالي غريب تماماً عن توافه السياسة الداخلية ، وعن صغائرها التي استنفدت طيلة سنين عديدة ، مع الأسف ، نشاطي ونشاط جميع الذين دخلوا مثلي المعترك السياسي اللبناني .

على أية حال ، رحت أستعد للسفر متأثراً متهيباً . وكان مبعث تهيبي ، الى جانب الصعوبات التي ذكرتها ، انني سوف أجد نفسي في عاصمة الامبراطورية البريطانية ، ممثلاً لبلد صغير جداً ، ربما كان أصغر بلد مستقل ، بعد جمهورية واحدة او جمهوريتين من جمهوريات اميركا الجنوبية . وهذا البلد الصغير يصارع ، في دفاعه عن استقلاله ، وجهاً لوجه ، بلداً كبيراً لا يستند الى قواته وامبراطوريته فحسب ، بل الى نفوذ مرّ عليه نصف قرن وليس له في العاصمة البريطانية مزاحم .

كان لزاماً على لبنان ، في هذا الصراع غير المتكافىء ، ان يتزود شجاعة داود عندما نازل جوليات الجبار ، وكان من حق بلادي عليّ ان أتسلح بالصبر والتفاؤل ، وان أجرد نفسي من الاحساس بمركّب النقص الذي كثيراً ما يخامرنا نحن اهل الشرق تجاه دول الغرب. وليس أشد خطراً على الدبلوماسي من مركّب النقص هذا عندما يسيطر عليه .

وفي هذه المناسبة أود ان ابعث بتحيتي الى الدبلوماسيين اللبنانيين الذين تسنى لي ان التقيهم وان اشهد مسلكهم . فان معظمهم أدى مهمته في الخارج متحلياً بالكرامة والرزانة والشجاعة التي يتمتع بها ممثلو الدول الكبرى .

وهذا المظهر المشرف لممثلي لبنان في الخارج ، اذا كان يبعث على الاعجاب

فانه لا يدعو الى الاستغراب . ان اللبناني لا يكاد ينجو من الاثر السيء ومن الذكرى المؤلمة اللذين تركتهما سنوات طويلة من النزاع الداخلي ومن الاضطهاد الاجنبي ومن الاستعمار ، حتى يجد نفسه فوراً وبطبيعة الواقع ، في عالم شاسع عريق من التقاليد الجيدة ، تقاليد الحرية والعزيمة والعلم . . .

أقول دائماً : لا مجال ، في عالم مثالي ، لتقسيم الشعوب الى كبيرة وصغيرة .

ان اتساع رقعة بلد من البلدان ، او انكماشها ، وبالتالي ان كثرة عدد شعب من الشعوب او قلته انما هي نتيجة مصادفات جغرافية وتاريخية . وليس من شأن هذه الصفات ان تزري بقيمة الشعب الخاصة ولا ان تقلل من الفوائد التي يجنيها المجموع من التعاون معه .

اما القوى التي تقاس بالمدافع وبالاساطيل البحرية والجوية فما هي إلا اعراض حالة نفسية عليلة يشكو منها العالم ، وليست الحرب نظاماً طبيعياً لحياة الشعوب ، لكن النظام الطبيعي هو حالة سلم وأمن تقدر كل أمة من الأمم ان ترقى في ظلها وتسعد وتساهم في رقي الانسانية وسعادتها .

وعلى هذا يمكن القول ان لبنان كان ، منذ القدم ، منهلاً للفلسفة وللثقافة استقى منه الاغريق الذين نهلت اوربا ، بعد وقت طويل ، من فلسفتهم وثقافتهم. وليس من يجهل ان معاهد لبنان وفقهاءه وضعوا في العصر الروماني الأسس التي بنى عليها ، فيما بعد ، جوستنيانوس صرح قوانينه .

وفي هذا الشرق الذي لم يعرف في تاريخه كله تقريباً ، ما عدا فترة قصيرة في بدء الدولة العربية ، غير الحكم المطلق المستبد ، كان لبنان واحداً من البلدان القليلة التي تمتعت بشيء من حرية الفكر .

ومنذ عهد قريب ، اثناء الحكم العثماني ، حين أهملت اللغة العربية وآدابها

في بعض البلدان المجاورة ، واقصيت الى محلها غير اللائق ، جعل لبنان من نفسه الرسول الامين الداعي الى بعث هذه اللغة وآدابها ، ولم يحل دون نسيانها وحسب ، بل تولى تجديدها والباسها ثوباً عصرياً .

ولعل لبنان البلد الوحيد الذي تلتقي فيه الحضارتان الشرقية والغربية . فلا تقتتلان بل تنسجمان في قالب واحد يجمع حسنات كلتيهما وينطلق منه الى عالم الفكر البشري شعاع زاهي الالوان متوهج الانوار .

ولشعوري بهذا الدور المجيد الذي لعبه لبنـــان طوال بضعة آلاف من السنين ، فقد هز جوارحي الفخر حينما كلفت تمثيل بلد صغير المساحة وشعب كبير يزخر بالمؤهلات والامكانيات . وقد جعلت فيما بعد ، اثنـــاء اقامتي في انكلترا ، من تاريخ لبنان موضوعاً لمحاضرات عديدة القيتها في ندوة « شتهام هاوس » وفي أندية « روتاري » البريطانية .

اما الاسباب المباشرة لتكليفي بالمهمة في بريطانيا العظمى فكانت متنوعة يعود ابرزها الى تطور رأي الحكومة البريطانية الخاص باستقلال لبنان وسوريا وبعلاقات البلدين بفرنسا وفق ما ورد في السابق .

كانت نية الفرنسيين الحقيقية الا يسلموا بحقوقنا الا شبراً بعد شبر ، فما كانوا بالطبع ليسلمونا المراكز التي يتمتعون بها في لبنان ، بل كانوا يقومون في لندن وواشنطن بمسعى يهدف الى الحصول على اعتراف لفرنسا بمركز ممتاز ، وكان الجنرال ديغول يرجو ، بعد الحصول على هذا الاعتراف ، ان يحملنا على توقيع معاهدة تحالف تسجل فيها امتيازات فرنسا الثقافية والاقتصادية والستراتيجية .

وفي هذه الاثناء كان نزول الحلفاء في اراضي افريقيا الشمالية قد عزز موقف لجنة التحرر الفرنسية ، ثم جاء غزو الحلفاء للقارة الأوربية عن طريق نورماندیا

فجعل من فرنسا المسرح الرئيسي للعمليات العسكرية ورفع من شأن هذه اللجنة حتى اصبحت هي الحكومة الفرنسية المؤقتة . وهكذا ساعدت هذه الظروف الجنرال ديغول على تجديد ضغطه على الحكومة البريطانية لتصفية القضايا المعلقة بين البلدين ومنها قضية استقلال لبنان وسوريا .

وقد تأيدت ، في الواقع ، هذه المحاولات بالانباء المقلقة التي حملها الينـــا الجنرال سر ادوارد سبيرس ، الذي لم يتوانَ يوماً في نصرة القضيتين اللبنانية والسورية ، ، في اوائل تموز سنة ١٩٤٤ . فان الحكومة البريطانيـــة المتأثرة بضغط الحكومة الفرنسية المؤقتة كلفت وزيرها المفوض في بيروت ودمشق بان ينصح اللبنانيين والسوريين ، بالحاح ، بوجوب الاتفـــاق مع فرنسا على اساس معاهدة يتفاوض عليها الفريقان .

ما كادت الحكومة اللبنانية تطلع على هذا الانقلاب في السياسة البريطانية حتى تقرر سفري . فلم تلبث الحكومة السورية ان كلفتني تمثيلهـــا بصفة غير رسمية ، بانتظار تعيين وزير سوري مفوض في لندن . وتولى رئيس الوزراء سعد الله الجابري ووزير الخارجية جميل مردم تسليمي التفويض وابلاغـه الى المعتمد البريطاني في بيروت .

وساهم في تعجيل سفري سبب آخر أقل خطورة من السبب الاهم والاعم .

ففي نيسان ١٩٤٤ جرى انتخاب فرعي في لبنان الشمالي أسفر عن انتصار المرشح المستقل السيد يوسف كرم على المرشح الذي كانت بعض الشخصيـات الرسمية تؤيده ، وحدد يوم السبت في ٢٧ نيسان موعداً لحضوره اول جلسة نيابية ، فرافقته من الشمال تظاهرة حماسية اشترك فيهـــا بعض الاصدقاء والانصار .

غير ان خصوم العهد الاستقلالي في العاصمة وفي منطقة جبل لبنـــان دفعوا

عدداً كبيراً من انصارهم الى الانضمام الى هذه التظاهرة بغية القيام بمحاولة عنيفة لاقتحام المجلس النيابي وقلب الحكومة . وتولى بعض العملاء الفرنسيين التابعين للجيش الفرنسي ولدائرة الامن العام الفرنسية تسليح المتآمرين وتنظيمهم . كما شوهد بعض رجال الجيش يوزعون عليهم الاعلام الفرنسية . فلما ازف الموعد اندسّ بعض العملاء الفرنسيين بين المتظاهرين لقيادتهم بينما تمركز آخرون في الأبنية العامة استعداداً للتدخل عند الاقتضاء .

وقد لزمت مكتبي في وزارة الداخلية أراقب بقلق تطور الحوادث واتدبر بما لديّ من وسائل تفريق التظاهرة عند الضرورة . ولم تكن الوسائل الموضوعة تحت تصرفي كافية . فالجنود اللبنانيون كانوا لا يزالون تحت أمرة الفرنسيين لا سلطة لنا عليهم ، والدرك البالغ عدده ١٨٠٠ رجل كان مسؤولاً عن حفظ الأمن في لبنان كله ، بينما كان رجال الشرطة وعددهم ٦٥٠ موزعين في العاصمة وصيدا وطرابلس .

فلم يكن بد والحالة هذه من معجزة تساعدنا على تفادي كارثة تصيب الحكومة والمجلس النيابي والبلاد .

عند الساعة الثالثة بعد الظهر وصل المتظاهرون ، وعددهم يناهز العشرين الفاً ، الى ساحة مجلس النواب، بعدما اخترقوا جميع الحواجز واخذوا يلوّحون بالاعلام الفرنسية ، وعلقوا احدها على مدخل المجلس بينما اشتد ضغطهم على الحرس محاولين بلوغ الباب .

وفي هذه الاثناء تسنى لاحد رجال الجيش الفرنسي ، في زيه الرسمي ، ان يعتلي اكتاف بعض المتظاهرين المسلحين وان يقودهم في ظل علم فرنسي رفعه ، ويصعد معهم درج المجلس .

فلما صار على خطوات من الباب انطلقت رصاصة صرعته ، فتوقف

الهجوم وبدأ تبادل الرصاص بشدة من كل ناحية : المتظاهرون يطلقونه على قوات الدرك ، والدرك يطلقه على المتظاهرين المسلحين ، وعملاء الأمن العام الفرنسي يؤيدون المتظاهرين من سطوح البنايات المجاورة ونوافذها .

ولم يمض نصف ساعة على الاشتباك ، حتى كانت الحكومة مسيطرة على الموقف ، وقد انجلى الحادث عن خمسة قتلى وسبعة عشر جريحاً فضلاً عن اصابة عدد من العملاء الفرنسيين وانصارهم نقلته سياراتهم خفية . واعتقل عدد من المتآمرين والمتظاهرين .

وحوالي الساعة الخامسة اتصلت بوصفي وزيراً للداخلية بالهيئة البريطانية المسؤولة ، في ظروف الحرب العالمية السائدة يومئذ ، عن حالة الأمن اللازمة لسير العمليات العسكرية ، وأبلغتها الدور الذي لعبه الفرنسيون في تطور حوادث ذلك النهار .

ولا شك في ان البريطانيين اتصلوا فوراً بالفرنسيين بهذا الشأن . ففي مساء اليوم نفسه قدم الجنرال بينيه الى رئيس الجمهورية مذكرة نفى فيها اتهاماتي وهدد ، باسم حكومته ، برفض كل تعاون على نقل السلطات والمصالح الباقية في يد الانتداب الى الحكومة اللبنانية ما دمت محتفظاً بمقعدي في الوزارة .

والظاهر انه كتب عليّ منذ هذه الساعة ان أكون كبش المحرقة . وكانت وجهات النظر المتباينة حول بعض شؤون الادارة الداخلية قد خلقت منذ فترة من الزمن جواً من الخلاف الدائم ، تقريباً ، في قلب الحكومة .

وكان من الطبيعي ، بعدما اجتمعت كل هذه الظروف وعندما ذكر اسمي كمرشح للقيام بالمهمة اللازمة في لندن ، ان يقابل الاقتراح فوراً بالترحيب .

ولست أروي هذه التفاصيل تذمراً من تكليفي بالمهمة ، نادماً على قبولي

القيام بها ، بل لكي أبين كيف ان أخطر التدابير ، مهما كانت أسبابها الاصلية مفجعة ، ومهما كانت النتائج المترتبة عليها حيوية ، لا ينجو تقريرها ، من تأثير الاعتبارات الشخصية الصغيرة .

وقد كُتب للمهمة التي كلفت بها ان تبلغ من خطورة الشأن ومن اتساع الافق ما لم يكن في الحسبان . فما كادت المفوضية اللبنانية تستقر في لندن حتى تجاوز دورها مجرد تمثيل لبنان ، وصارت نقطة الدائرة الجذابة لكل بعثات البلاد العربية ، وساهمت بالقسط الاوفر من انماء روح التضامن بينها، وتنسيق نشاطها . كما انها اثارت في الهيئة الاجتماعية وفي الصحافة البريطانية روحاً موالية لم يسبق لها مثيل .

وما كادت الحرب تضع أوزارها والمؤتمرات الدولية يزداد عددها وتتنوع اغراضها ، من مؤتمر القضية الفلسطينية الى مؤتمر الامم المتحدة الثقافي والعلمي ، حتى اقام لبنان البيّنة على ان في وسع بلد صغير ان يتفوق على بلد كبير ، في ميدان الفكر وحقل التعاون الدولي ، اذا أشرك في جهوده ثقافته العالمية ، ورقيه الحي النشيط ، وتجارب تقاليده ومدنيته العريقة .

في العاصمة البريطانية

الأحد ٢٧ آب ١٩٤٤

غادرت بيروت الساعة العاشرة صباحاً، واحتشد جمهور غفير داخل السراي الصغير وتجمّع متفرجون كثيرون في ساحة الشهداء ، واصطف فصيلان من الدرك وفصيل من الشرطة لاداء التحية . وقد نظمت الحكومة هذا الاحتفال لانها المرة الأولى التي يوفد فيها لبنان الى الخارج ، في تاريخه الحديث ، بعثة دبلوماسية ، شأنه في ذلك شأن البلاد المستقلة ذات السيادة .

ودّعت وزير الخارجية بحرارة وتأثر كما ودّعت ممثلي الدول الاجنبية الذين حضروا المناسبة .

تحركت بنا السيارة من ساحة الشهداء يتبعنا رتل طويل من السيارات المتنوعة الاشكال والالوان تحمل عدداً غفيراً من اخلص الاصدقاء الذين أبوا الا ان يرافقوني الى الحدود الفلسطينية .

تناولت طعام الغداء في منزل السيد نصر الله خوري في حيفا . وعند الساعة الثالثة توجهنا الى محطة السكة الحديدية حيث جرى لنا استقبال حماسي ضم وفوداً عديدة من منظمات الشباب الفلسطيني ومن أعيان البلاد والوجهاء اللبنانيين والسوريين وممثلي غرفة التجارة ونقابة المحامين .

ثم تحرك القطار مجتازاً مزارع البرتقال الفلسطيني الشهيرة وأخذ ينساب بين تلال الصحراء الحارة .

بلغت القاهرة في التاسعة من صباح الاثنين ، فتعرفت الى صيفها المثقل

بالحرارة والرطوبة والغبار ، وتذوقت لاول مرة طعم الامتيازات التي يتمتع بها السلك الدبلوماسي ، وذلك بوجود مندوب من وزارة الخارجيــة المصرية على المحطة لاستقبالي . استأذنت من الأصدقاء اللبنانيين الذين اشتركوا في الاستقبال وقصدت الى سراي عابدين حيث قيدت اسمي في سجل التشريفات. ثم زارتنا اللادي رسل باشا ووضعت سيارتهـا تحت تصرف اولادي ليتفرجوا على القاهرة ، فقبلوا عرضها اللطيف شاكرين فرحين .

ويوم الأربعاء قمت بزيارة وزارة الخارجيــة ثم وزير الدولة البريطاني ثم جرائد « الأهرام » و « المصري » و « المقطم » وسواها .

زارني في الفندق سعـــادة عوض البحراوي بك وزير مصر المفوض في الحجاز ، وعدد من الصحافيين بينهم السيد سمير سوقي الذي اذكر زيارته لانه كشف لي مخاوفه الخاصة بمستقبل سوريا ولبنان . فهو يقول انه علم من مصادر جديرة بالثقة ان الحكومة الفرنسية المؤقتة ، بعدما ركزت نفسها في باريس ، تنوي ان تشن حملة قوية وتحصل من الحلفاء على اعتراف بما تسميه « حقوقها » في دولتي المشرق .

تناولنا الغداء على مائدة لادي رسل باشا حيث استقبلنا زوجها سر توماس رسل باشا (حكمدار بوليس القاهرة) بكياسته ولطفه ، وكان بـين الحضور السيدان سانت جون هاملتون وستيل من رجال مكتب وزير الدولة البريطاني والسيدة لندسي من السفارة البريطانية . تناول الحديث مواضيـع شتى : نهاية الحرب المؤلمة قريباً ، مصير المانيا بعد النصر ، مستقبل لبنان وسوريا .

اخبرني سانت جون هاملتون قبل انصرافه ان لورد موين ، وزير الدولة البريطاني في القاهرة ، يود ان يتحدث اليّ ، فاتفقنـــا على موعد في الساعة العاشرة والنصف من صباح غد (الخميس) .
صرفت وقتي بعد الظهر ، للتأكد من الخبر الذي نقله اليّ السيد سمير سوقي ،

الذي أيد معلوماتنا السابقة في بيروت ، والتوسع في الاحاطة بما يقال في هذا الشأن ، فكانت خلاصة ابحاثي ما يلي :

ان اربع قضايا تتعلق بالشرق الأوسط ستعرض على بساط البحث قريباً : قضية العلاقات المصرية — البريطانية لا سيما ما يختص منها بوضع قناة السويس ، قضية فلسطين ، قضية الحبشة حيث يبدو موقف الامبراطور ضعيفاً ، واخيراً قضية لبنان وسوريا وما يبدو من رغبة الحكومة الفرنسية الموقتة في استغلال العمليات العسكرية الدائرة في فرنسا ، لتجديد طلباتها بشأن سوريا ولبنان وتشديدها والتوسع فيها .

قمت يوم الخميس بزيارة لورد موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة. وتناول الحديث اولاً موضوع لبنان ومهمتي في لندن . قلت ان الاستقلال اللبناني اصبح في حكم الأمر الواقع ولا بد من انجازه واكماله تماماً ، وان الحكومة والشعب اللبنانيين يشكران موقف الحلفاء ولا سيما موقف بريطانيا العظمى ازاء هذه القضية ، الا ان ما ينبغي اتمامه هو أهم مما تم ، وأعني بذلك تركيز الاستقلال اللبناني ودعمه بصورة نهائية دون البحث في أية معاهدة مع أية دولة يكون من شأنها الانتقاص من ذلك الاستقلال .

سألني لورد موين عن رأيي في الوحدة العربية واذا كانت تقلق اللبنانيين ، فأجبته ان البلاد العربية كلها اعترفت باستقلال لبنان دون أي تحفظ ، وان لفظ الوحدة لا ينبغي تفسيره بمعناه الحرفي الضيّق ، بل يفهم منه بكل بساطة التعاون الوثيق وتوحيد وجهات النظر والتضامن في العمل لمواجهة المسائل التي تمس البلاد العربية في مجموعها او تمس بلداً واحداً .

ابدى لورد موين موافقته على هذا التفسير الذي يتفق ، دون سواه ، مع العلاقات السياسية والدبلوماسية القائمة منذ الآن بين البلاد العربية .

وافقني وزير الدولة البريطاني ايضاً على ما قلته له ان لبنـــان ، وان يكن بلداً صغير المساحة قليل العدد ، فهو ذو تاريخ وتقاليد وثقافة تنبع من الماضي البعيد العريق ، وان من حقه ان يتمتع باستقلال تام ناجز . ثم وافقني ايضاً على ان كتاب لورد لتلتون الى الجنرال ديغول مع ما تضمنه من اعترافات ووعود تمس الاستقلال اللبناني لا يقيد لبنان ابداً، وان كان يبدو ملزماً للحكومة البريطانية .

انتهت مقابلة لورد موين. وبينما كنت خارجاً من مكتبه التقيت البريجادير كلايتون الذي تأبط ذراعي ودعاني الى غرفته .

وكلايتون هذا هو شقيق كلايتون صاحب التاريخ المعروف في الحرب الماضية ، زميل لورانس وكورنواليس وستورز ، ولا يزال العارفون يذكرون الظروف المفجعه التي غادر فيها دمشق عام ١٩١٩ .

البريجادير كلايتون ، الخبير البريطاني في شؤون الشرق الاوسط، يشاركني رأيي في حق لبنان بالاستقلال التام وبضرورة هذا الاستقلال ، الا انه يخشى ، كما يقول ، عودة السوريين في المستقبل القريب او البعيد الى المطالبـــة ببعض الأراضي اللبنانية وذلك بالرغم من تأكيد ثقتي المعاكسة. اما فيما يتعلق بفلسطين فقد بدا متحفظاً جداً ، لا لأنه يرغب في ان يرى العرب يفوزون بحقهم ، كما قال، بل لأن حل القضية لا يبدو بعد متيسراً في ذهنه ولا في خطط حكومته.

ثم زارني بعد الظهر عدد من كبار اعضاء الجالية اللبنانية في مصر ، وتجلت في الأحاديث رغبة الكثيرين في العودة الى لبنان بعد الحرب وفي الاقامة الدائمة فيه ، الا انهم يشترطون ان يسود لبنـــان وضع اقتصادي سليم يمكنهم من الاطمئنان الى إستثمار رؤوس أموالهم . فأجبتهم ان العدالة تقضي بان يتحملوا نصيبهم من المسؤولية ، وان من واجبهم ان يعودوا الى لبنان وان يضعوا في خدمته ثمـار تجاربهم وأموالهم ليساهموا في خلق الحـــالة الاقتصادية السليمة لمصلحة الجميع من مقيمين ومغتربين. وقلت لهم انهم بوصفهم لبنانيين لا يتمتعون

فقط بحقوق يطالبون بها لبنان ، بل عليهم واجبات تقابل هذه الحقوق ومنها إعادة انشاء الوطن بعد الحرب .

ما زلت أجهل، حتى يوم السبت، موعد سفري بالضبط. كما ان عدم وصول أمتعتي من بيروت حتى الآن يبقي تاريخ سفري معلقاً .

ولم يرد ايضاً أي نبـــأ عن موعد عودة الوزير البريطاني في بيروت سر ادوارد سبيرس بعدما سافر الى لندن تلبيـة لدعوة مستعجلة من حكومته . شاع في بعض الأوساط انه استدعي بسبب سياسته الموالية لسوريا ولبنان ، غير ان لورد موين صارحني بانه عندما قابل رئيس الوزارة البريطانية مستر تشرشل أثناء مروره في ايطاليـا ، أكد له انه لا ينوي الاقدام على أي تبديل في المفوضية البريطانية في بيروت .

ويوم الأحد ٣ ايلول دعانا لورد موين الى تناول الغداء في محل اقامته الجميل في « مينا هوس » حيث التقينا حاكم السودان .

علمت بسرور ، فور عودتي الى القاهرة ، ان أمتعتي وصلت اخيراً . ورافق رحلتها حادث مضحك كاد ينقلب الى مأساة . فقد خطر لسائق سيارتي الذي رافق الامتعة ان يرتاح في احدى المحطـات الأولى ، لكنه لم يختر إلا شاحنة القطار التي شحنت فيهـا البضائع . والظاهر ان موظفي السكة الحديدية لم ينتبهوا الى وجوده داخل الشاحنة فاقفلوها وختموها اثنـاء نومه ، وقد بقي محبوساً فيها ثلاثة ايام كاملة لا يأكل ولا يشرب . وكان يحاول عبثـاً لفت الأنظار إليه . وعندما فتحت الشاحنة في القاهرة كان على آخر رمق .

إلا ان هذا الحادث المحزن المضحك طغى عليه في النهار نفسه خبر سيء . ذلك ان القافلة البحرية التي كنا نأمل السفر معها غادرت بور سعيد أمس ولا

يعرف أحد موعد القافلة الثانية .

ولقيت بعد ظهر الاثنين ، في مدخل فندق شبرد ، ملحقين من المفوضية الاميركية في بيروت لم يكن لديها أية انباء من واشنطون . اما الأحاديث الدائرة في لندن بين البريطانيين والفرنسيين فليس فيها ، استناداً الى معلوماتها ، ما يبشر بالخير لسوريا ولبنان .

وعلى الرغم من الغيوم المتلبدة ليست السماء كلها قاتمة ، فالاتحاد السوفياتي اعترف باستقلال لبنان وسوريا ، ولا ريب ان الحكومة والرأي العام في كل من بيروت ودمشق ، سيشعران بجميل هذه البادرة التي تدل على سياسة صريحة واقعية .

صباح الاربعاء اتصل بي سيسل حوراني ، من ضباط وزارة الأنباء البريطانية ، وابلغني ان الجنرال سبيرس وصل الى القاهرة من لندن في عجلة عائداً الى بيروت ، واتفقنا على موعد لمقابلته في منتصف الساعة الواحدة في مكتب وزير الدولة .

كان الجنرال بالفعل يستعجل الوصول الى بيروت ، ولم يطل اجتماعنا اكثر من عشر دقائق . قال لي الجنرال سبيرس : « يجب ان تذهب الى لندن في أقرب وقت ممكن ، فالأحداث الجارية فيها قد تسفر عن نتائج خطيرة جداً لبلادك . الفرنسيون يضغطون ضغطاً شديداً جدا على وزارة الخارجية عندنا ويلاحقونها بالحاح لكي تعترف لهم بمركز ممتاز في المشرق ، وذلك بواسطة معاهدة او اية طريقة اخرى تحقق غرضهم . كل ما يمكنني ان اقوله وانصح به هو ان عليكم ان تعرفوا ماذا تريدون وان تتمسكوا به وان تكلموا وزارة الخارجية بوضوح وحزم » .

طلبت من البريجادير كلايتون ان يهيء لي واسطة السفر لأن جميع وسائل

النقل الجوية والبحرية ما زالت خاضعة للسلطات العسكرية ، وقد تناول الحديث تفاصيل اقامتي في لندن . هذا الرجل واسع الاختبار ، طويل البال جداً .

تناولت طعام الغداء في نادي محمدعلي مع القائم باعمال المفوضية البلجيكية يوم الخميس. وبما اني وزير مفوض للبنان لدى الحكومة البلجيكية ايضاً ، وكان مقر هذه الحكومة حتى الآن في لندن ، وانتقالها الى بلجيكا اصبح وشيكا فقد بحثنا مسألة تقديم أوراق اعتمادي والاشكال الذي يخلقه قيام وصي على العرش البلجيكي مع وجود ملك البلجيك .

عدت الى الفندق وباشرت ارتداء ثيابي الرسمية استعدادا للمقابلة الملكية . الحر الشديد والعرق يتصبب مني واخشى ان أبدو في مظهر يرثى له قبل وصولي الى السراي .

على كل ، كنت قبل موعد المقابلة بخمس دقائق أتسلق الدرج المؤدي الى ديوان جلالة الملك يتنازعني عاملا التهيب والفضول . فانها أول مرة أجد فيها نفسي في حضرة ملكية .

لم أكن ، حتى الساعة ، أعرف عن جلالة ملك مصر إلا رسومه التي تنشرها كثيراً الجرائد والمجلات المصرية واللبنانية . وقد بدا جلالته لي في شخصه الحي أكثر جاذبية مما يظهر في صوره وأقوى شخصية .

تكلم جلالته عن لبنان وعن مستقبله وعن اهتمامه باستقلاله ، ذلك الاهتمام الذي شهدناه بصورة رائعة وفعالة منذ بدء الأزمة التي وقعت في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

قال جلالته : « أنا لا أخاطبك بلغة السياسة بل بلسان القلب والعقل . ان

ايا من البلدان العربية لم يزل ، امـــا لصغره أو لضعفه ، عاجزاً عن مقاومة المطامع الخارجية منفرداً . غير ان هذه البلدان اذا وحدت جبهتها ، أمّنت من القوى ما يكفيها للدفاع عن حقوقها ومصالحها » .

وقد دامت المقابلة خمساً وثلاثين دقيقة ، فلمـا أذن الملك بانصرافي تفضل فتمنى لي النجاح في مهمتي الجديدة في لندن .

سألت جلالته اذا كان ثمة خدمة يأمرني بهـــا فأؤديها باخلاص وسرور ، فأجاب جلالته بنبرات شديدة جدية :

« نعم ، حقيقة أنك لست مصرياً ولكن بلدينا شقيقان متضامنان . » ثم سكت لحظة وأضاف بلهجة أسف :

« ان في كل أنحاء العالم ألسنة سوء كثيرة ، فاذا سمعت قدحاً بمصر وذماً لاهلها أ كلفك الدفاع عنها وعنهم كما لو دافعت عن بلادك » .

وأقام النادي الشرقي يوم الجمعة حفلة تكريمية لأعضاء المفوضية ولي ، وهذا النادي يرئسه خليـــل بك ثابت عضو مجلس الشيوخ المصري وواحد من أبرز اللبنانيين المتمصرين .

بدأت الحفلة بالنشيدين المصري واللبناني ثم تبعتهما أغانٍ شعبية لبنانيـة خلقت جواً لبنانياً بحتاً .

تكلم رئيس النادي فرحب بنا وتمنى لي النجاح في مهمتي .

أجبت متأثراً شاكراً للرئيس ولاعضاء النادي حفاوتهم ونوهت مخلصـاً بفضل مصر وشعبها الذين استضافا العدد الكبير من اللبنانيين المقيمين في مصر .

ثم زارني في الفندق السيد أدمس من رجال السفارة البريطانية وأخبرني ان صعوبة تنظيم القوافل البحرية لن تسمح لنا بالسفر قبل خمسة عشر يوماً ، فقررت ، تجاه هذا الحظ السيء ، ان أفيد من التأخير وأعود الى لبنان لأقضي فيه أسبوعاً وأتعرف الى تطورات الحالة .

وقد استأثرت الحالة الداخلية في لبنـــان التي تدعو الى القلق باهتمامي يوم الاحد ١٠ ايلول . فالانباء التي ما فتئت تتواتر طيلة الاسبوع المنصرم تدل على ان الفرنسيين يشنون علينا حرب أعصاب بغية إضعـــاف مركز الحكومة اللبنانية . وقد ظهر نشاطهم في الدسائس التي أشركوا فيها عدداً من النواب ، وفي حملة صحفية عنيفة غرضها إيقاع الفتنة بين الطوائف اللبنانية . أما الحكومة فلم تواجه هذا النشاط إلا بالتردد والجمود .

تناولت طعام الغداء في وكالة البطريركية المارونية يوم الاثنين . أثنـــاء الحديث طلب إليّ انطون الجميل (باشا) رئيس تحرير الاهرام ان ألح على الحكومة اللبنانية للتعجيل في تعيين مندوبها في مصر أو تعيين قنصل على الأقل يهتم بشؤون المواطنين . بحثنا أيضاً مسألة المغتربين وامكانية عودتهم الى لبنـان بعد الحرب . هذه مسألة على الحكومة وممثليها في الخارج ان يضعوها في مقدمة الامور الهامة التي يعنون بها . اعتقادي هو ان لبنان ، اذا أراد ان يصير بلداً مستقلاً سياسياً واقتصادياً مثل سويسرا التي يقارن بها كثيراً ، فلا بد له من السعي لعودة اللبنانيين العديدين المغتربين اليه بما يملكون من موارد وتجارب ونشاط إنشائي .

واستقليت الطائرة صباح الاربعاء فوصلت بيروت ظهراً .

وبعد ساعات اجتمعت الى فيرلونج القنصل البريطـاني في بيروت واحد الانكليز القلائل الذين يلمون بقضية لبنان وسوريا الماماً شاملاً ، ثم اجتمعت

الى دلكوني القائم باعمال المفوضية البلجيكية ، وهو الصديق الذي قدم لنـا معونة قيمة أثناء حوادث تشرين ١٩٤٣ .

كلا الرجلين يؤكدان ان الحالة تطورت تطوراً سريعا في الاسبوع المنصرم وانها تستدعي اهتماماً وعناية عظيمين . إلا انهما لا يبديان في هذا المجـال غير آرائهما الشخصية .

اجتمعت قبل ظهر الخميس برئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وأطلعتهم على اتصالاتي بالاوساط المصرية والبريطانيـة في القاهرة ، كما أطلعاني على الحالة الجديدة الطارئة منذ عودة الجنرال سبيرس من لندن .

ان وزارة الخارجية البريطانية تقترح على الحكومتين اللبنانية والسورية ان تقبلا الدخول في مفاوضات مع ممثلي فرنسا لعقد معاهدة ، وقد أجـابت الحكومتان بحزم بانهما ترفضان ذلك .

على أثر هذا الاجتماع رأيت من المناسب ان أتحدث في الأمر مـع الجنرال سبيرس لا سيما وان مقابلتنا في القاهرة لم تطل إلا دقائق معدودة .

فأبلغني الجنرال فوراً ودون مواربة وجهة نظر وزارة الخارجية البريطانية وهي تتلخص بمـا يلي : ان الحكومة البريطانية اعترفت من ناحية باستقلال لبنان وسوريا وتعهدت من ناحية أخرى بموجب كتاب لورد لتلتون الى الجنرال ديغول بان تعترف لفرنسا بمركز ممتاز فيهما . فالحكومة البريطانيـة والحالة هذه تؤيد بصراحة عقد معاهدة تعترف لفرنسا بهذا المركز .

وقد راح الجنرال سبيرس يستعرض ، على مضض ، جميـع الأسباب والحجج المؤيدة لنظرية الحكومة البريطانية الرسمية .

دافعت عن موقف لبنان وسوريا بكل ما لديّ من قوة وحماسة ، وقلت

للجنرال ان عقد معاهدة مـا يفترض حتماً قبول الفريقين بها بمحض ارادتها الحرة ، واننا باعتبارنا شعباً حراً مستقلا باعتراف الحكومة البريطانية نفسها ، يبدو لنا غريباً شاذاً ما تحاوله هذه الحكومة الآن من اكراهنا على عقد معاهدة مع فريق ثالث .

أضفت ايضاً ان الاتحاد السوفياتي قد اعترف للبنان وسوريا بالسيادة التامة ، وان الولايات المتحدة توشك ان تعترف بدورها . هذا فضلاً عن الموقف الصريح الواضح الذي وقفته بلدان أخرى عديدة كبيرة وصغيرة تأييـداً لاستقلالنا . قلت : « ان استقلالاً ثبت وتأيد بهـذا الشكل القانوني الصريح لا يمكن ان يضيـع ولا ان ينتقص إلا بعمل يأتيه اللبنانيون والسوريون أنفسهم اذا قبلوا ان يتنازلوا عن شيء من استقـلالهم ، وهم على العكس مصممون على ان لا يأتوا هذا العمل برضاهم » .

لا شك عندي ان الجنرال سبيرس ، بالرغم من تحفظه البريطاني الرسمي ، يعترف في قرارة نفسه بصحة ما قلته له .

صباح الجمعة تداولت مع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وعرضت عليهم خطة مستعجلة لمواجهة الحـالة الجديدة الناشئة عن موقف الحكومة البريطانية ومسعاها . وخلاصة هذه الخطة ان نتصـل فوراً بالبلدان العربية بقصد توحيد جبهتنا وتنسيق عملنا لاقناع الخارجية البريطانية بأن المسألة لا تهم لبنان وسوريا وحدهما بل تعني الشرق العربي كله . وافقوا على هذه الخطة وقرر رئيس الوزراء ان يباشر فوراً الاتصالات اللازمة لتنفيذها .

قمت عند الظهر بزيارة مستر جورج وودسورث الوكيل السياسي للولايات المتحدة فوجدته مطلعاً على الضغط الذي تبذله وزارة الخارجية البريطانية ، وطلب مني بعض التفاصيل عن التطورات التي أدت الى المأزق الحاضر ، ودون

ما شرحته له في مفكرته . ان ما توافر له من المعلومات الآن سوف يسجل في تقرير مستعجل وعد بارساله حالاً الى وزارة الخارجية في واشنطن .

رأي وودسورث هو ان قضية لبنان وسوريا بسيطة واضحة ، فالحكومة الاميركية اعترفت واقعياً بالاستقلال التام لهذين البلدين دون أي شرط أو تحفظ ، فلا يمكن ان تعترف بمركز ممتاز لأية دولة كما لا يمكن ان يكره البلدان أو أحدهما على عقد أية معاهدة مع أي كان .

وبدأت بتنفيذ الخطة الموضوعة . فاتصلت بعدد من الشخصيات العراقية المصطافة في لبنان . ولاحظت ان موقفهم جميعاً مشجع ورأيهم هو ان العراق باسره حكومة وشعباً لا يبخل على لبنان بتأييده الكامل اذا لزم الأمر .

توجهت الى دمشق لكي أطلع مباشرة على وجهة النظر السورية ، فوجدت ان لوزير الخارجية جميل مردم بك رأياً صريحاً قاطعاً في الموضوع . ان سوريا بأسرها ومنها جبل الدروز والعلويون تعارض الدخول في مفاوضات لعقد معاهدة مع فرنسا ، وهو يستغرب موقف الحكومة البريطانية التي تشكو البلاد العربية بمرارة من سياستها في فلسطين ، ويخشى ان تتعرض لمضاعفة استياء العرب منها باقتراحها على سوريا ولبنان عقد معاهدة مع فرنسا برغم ما تعرفه من اجماع الرأي العام على استنكار ذلك .

ولما ودعت جميل مردم بك قال لي ان حكومته ستعين في القريب العاجل ممثلا لها لدى الحكومة البريطانية . الا أنني ، بانتظار هذا التعيين ، مزود بالثقة وبالتكليف اللازمين للتكلم باسم سوريا كما أتكلم باسم لبنان .

ويوم الاحد ١٧ ايلول استأذنت للسفر من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقد أطلعتهما على كتاب تسلمته من البطريرك الماروني يتمنى فيه ان يرى لبنان وقد تبوأ مكانته في مؤتمرات السلم دون أي قيد يحد من سيادته .

فوصلت القاهرة بعد ظهر الثلاثاء . قضيت نهاري اعدّ تفاصيل السفر . ففي تاريخ قريب مجهول تقلني الطائرة الى لندن . أما عائلتي وأعضاء المفوضية فيلحقون بي بحراً مع إحدى القوافل .

وفي هذه الاثناء أعلنت وكالة روتر نبأ تعيين جورج وودسورث مبعوثاً فوق العادة ووزيراً مفوضاً للولايات المتحدة الأميركية لدى حكومتي لبنان وسوريا ، وهذا يعني اعتراف الولايات المتحدة رسمياً باستقلال البلدين ، ولا بد ان تنشر قريباً وثيقة الاعتراف .

في المساء تحدثت طويلا مع كلايتون ، ويبدو انه شخصياً لا يوافق وزارة الخارجية البريطانية على وجهة نظرها . ولكن ليس من رأيه ان ترفض الحكومتان اللبنانية والسورية ، جملة وفوراً ، كل مفاوضة مع فرنسا ، بل ان تبحثا ما يعرض عليهما وترفضا ، بعد الاطلاع ، كل نص تريانه لا يتفق وسيادتها التامة . كلايتون يعتقد ان موقفاً كهذا تقفه الحكومتان أحرى بأن تفهمه لندن وتقتنع به أكثر من الرفض الفوري .

لم أقتنع من ناحيتي بهذا الرأي رغم وجاهته الظاهرة ، لانه معروف بالاختبار ان كل مفاوضة مباشرة بين فريقين ، أحدهما قوي والآخر ضعيف ، تنقلب في الغالب الى اجحاف بحق الفريق الضعيف .

أما موقف لندن من الامر ، فاني احتفظ لمواجهته بحجتين قد يكون لهما وزنهما في تبديله .

الحجة الاولى : هل ان السلطة الفعلية القائمة في فرنسا الآن ، والتي تسمي نفسها « الحكومة الفرنسية الموقتة » ، تتمتع بالصلاحيات اللازمة التي تخولها عقد المعاهدات باسم فرنسا ؟

ما شرحته له في مفكرته . ان ما توافر له من المعلومات الآن سوف يسجل في تقرير مستعجل وعد بارساله حالاً الى وزارة الخارجية في واشنطن .

رأي وودسورث هو ان قضية لبنان وسوريا بسيطة واضحة ، فالحكومة الاميركية اعترفت واقعياً بالاستقلال التام لهذين البلدين دون أي شرط أو تحفظ ، فلا يمكن ان تعترف بمركز ممتاز لأية دولة كما لا يمكن ان يكره البلدان أو أحدهما على عقد أية معاهدة مع أي كان .

وبدأت بتنفيذ الخطة الموضوعة . فاتصلت بعدد من الشخصيات العراقية المصطافة في لبنان . ولاحظت ان موقفهم جميعاً مشجع ورأيهم هو ان العراق باسره حكومة وشعباً لا يبخل على لبنان بتأييده الكامل اذا لزم الأمر .

توجهت الى دمشق لكي أطلع مباشرة على وجهة النظر السورية ، فوجدت ان لوزير الخارجية جميل مردم بك رأياً صريحاً قاطعاً في الموضوع . ان سوريا بأسرها ومنها جبل الدروز والعلويون تعارض الدخول في مفاوضات لعقد معاهدة مع فرنسا ، وهو يستغرب موقف الحكومة البريطانية التي تشكو البلاد العربية بمرارة من سياستها في فلسطين ، ويخشى ان تتعرض لمضاعفة استياء العرب منها باقتراحها على سوريا ولبنان عقد معاهدة مع فرنسا برغم ما تعرفه من اجماع الرأي العام على استنكار ذلك .

ولما ودعت جميل مردم بك قال لي ان حكومته ستعين في القريب العاجل ممثلا لها لدى الحكومة البريطانية . الا أنني ، بانتظار هذا التعيين ، مزود بالثقة وبالتكليف اللازمين للتكلم باسم سوريا كما أتكلم باسم لبنان .

ويوم الاحد ١٧ ايلول استأذنت للسفر من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقد أطلعتهما على كتاب تسلمته من البطريرك الماروني يتمنى فيه ان يرى لبنان وقد تبوأ مكانته في مؤتمرات السلم دون أي قيد يحد من سيادته .

فوصلت القاهرة بعد ظهر الثلاثاء . قضيت نهاري اعدّ تفاصيل السفر . ففي تاريخ قريب مجهول تقلني الطائرة الى لندن . أما عائلتي وأعضاء المفوضية فيلحقون بي بحراً مع إحدى القوافل .

وفي هذه الاثناء أعلنت وكالة روتر نبأ تعيين جورج وودسورث مبعوثاً فوق العادة ووزيراً مفوضاً للولايات المتحدة الأميركية لدى حكومتي لبنان وسوريا ، وهذا يعني اعتراف الولايات المتحدة رسمياً باستقلال البلدين ، ولا بد ان تنشر قريباً وثيقة الاعتراف .

في المساء تحدثت طويلا مع كلايتون ، ويبدو انه شخصياً لا يوافق وزارة الخارجية البريطانية على وجهة نظرها . ولكن ليس من رأيه ان ترفض الحكومتان اللبنانية والسورية ، جملة وفوراً ، كل مفاوضة مع فرنسا ، بل ان تبحثا ما يعرض عليهما وترفضا ، بعد الاطلاع ، كل نص تريانه لا يتفق وسيادتهما التامة . كلايتون يعتقد ان موقفاً كهذا تقفه الحكومتان أحرى بأن تفهمه لندن وتقتنع به أكثر من الرفض الفوري .

لم أقتنع من ناحيتي بهذا الرأي رغم وجاهته الظاهرة ، لانه معروف بالاختبار ان كل مفاوضة مباشرة بين فريقين ، أحدهما قوي والآخر ضعيف ، تنقلب في الغالب الى اجحاف بحق الفريق الضعيف .

أما موقف لندن من الامر ، فاني احتفظ لمواجهته بحجتين قد يكون لهما وزنهما في تبديله .

الحجة الاولى : هل ان السلطة الفعلية القائمة في فرنسا الآن ، والتي تسمي نفسها « الحكومة الفرنسية الموقتة » ، تتمتع بالصلاحيات اللازمة التي تخولها عقد المعاهدات باسم فرنسا ؟

الحجة الثانية : ان الحكومة البريطانية هي آخر من يجوز له ان يقترح علينا مفاوضة الحكومة الفرنسية المؤقتة ، مـا دامت الحكومة البريطانية نفسها ، وحكومة الولايات المتحدة معهـا ، لم تعترفا حتى الآن بشرعية تلك الحكومة الفرنسية المؤقتة التي يُطلب منا مفاوضتها .

ونشر اليوم الخميس النص الرسمي لاعتراف الولايات المتحدة الأميركية باستقلال لبنـان وسوريا . ويصحب الاعتراف تصريح خاص من الرئيس روزفلت . ان عبـارات التصريح جليـة وواضحة : استقلال وسيادة تامان للبلدين . تعاونهما المتقبل في تنظيم سلم العـالم ولا سيا في الشرق الاوسط . انها بداية طيبة لسياسة الولايات المتحدة العالميـة ، ولا شك ان تاريخها الحاضر ، عشية النصر المنتظر ، يبشر بالامل في ان ميثـاق الأطلسي لن يكون مصيره مصير نقاط الرئيس ولسون الأربع عشرة .

دعوت يوم الجمعة للغداء السيد باركلي هدسون الرئيس السابق لمكتب الانباء الاميركي في المشرق ، بعدما عاد من الولايات المتحدة وعرف لدى وصوله الى القاهرة نبأ اعتراف حكومته باستقلال سوريا ولبنان . قال ان هذا الاعتراف لم يدهشه ، لانه نتيجة طبيعية للعناية المتزايدة التي تبديها الدوائر السياسية الاميركية بشؤون الشرق الاوسط . وأضاف قائلا : « لعدة سنوات مضت لم يكن لدى وزارة الخارجية الاميركية سوى معلومـات سطحية طفيفة عن الشرق الاوسط وخصوصاً البلاد العربية ، أما الآن فالجميع يتحدثون عنهـا حديث العارف الخبير . ومن المسلم به ان هذه الناحيـة من العالم تستحق كل اهتمام الحكومة الاميركية في سياسة ما بعد الحرب .

أبلغتني السفارة البريطانية يوم الاحد ٢٤ ايلول ان الدوائر المختصة المشرفة على عمليات النقل والسفر عينت موعداً لسفري منتصف ليـل الثلاثاء ٢٦ الجاري .

وعليّ ، في هذا الوقت الضيق ، ان أتوجه غداً الى الاسكندرية حيث ينعقد المؤتمر الاول للجامعة العربية العتيدة ، وسيمثل لبنان فيه السيد رياض الصلح رئيس الوزراء والسيد سليم تقلا وزير الخارجية .

وبعد ظهر اليوم التالي نقلتني طائرة الى الاسكندرية .

وعقد المؤتمر اجتماعه الافتتاحي في حديقة انطونيادس . وفي حشد مهيب أعلن مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزارة المصرية ، افتتاح المؤتمر وعرض رأي حكومته ، ثم تبعه رؤساء الوزارات الاردنية والسورية والعراقية فوزير خارجية لبنان .

وبعد ان اختتم المؤتمر بالأناشيد الوطنية لجميع البلدان العربية الحاضرة ، انتقل أعضـاء اللجنة وفي مقدمتهم مصطفى النحاس باشا الى داخل قصر انطونيادس لعقد جلستهم الاولى .

أنجزت استعداداتي للسفر يوم الثلاثاء ، وكانت الرحلة طويـلة ومرهقة : تسجيل الجوازات ، التأشير عليها ، تذاكر السفر ، ترقيم الحقائب ووزنها ، وقد ساعدني موظفو المفوضية في كل هذا بالاشتراك مع مبعوث من المفوضيـة البريطانية .

وتحركت الطائرة في منتصف الساعة الثانيـة من صباح الاربعاء ورافقني الملحق التجاري السيد نديم دمشقيه فكان وجوده عوناً على قتل الوقت الممل . نحن عشرة مسافرين ولكنني أشعر في هذا الطيران الليلي ، كأننـا مخلوقات وهمية تائهة في الفضاء .

هبطت الطـائرة في « كاستل – بنيتو » قرب طرابلس الغرب ، حيث اطلق على المطار اسم الدكتاتور الايطالي الذي شيده ، في تمام الساعة التاسعة ،

فأفطرنا . وبعد ساعة ونصف الساعة حلقت الطائرة بنـا من جديد متجهة الى الجزائر ، على ارتفاع ٣٥٠٠ متر فوق جبال تونس والجزائر ، ومن هذا الارتفاع تبدو لنا هذه الجبال شديدة الشبه بجبال لبنان . مساقط الهواء كثيرة تهوي فيها الطائرة التي فقدت ، منذ ساعات ، الاتزان الذي حافظت عليـه طوال الليل . ثم هبطنا في الدار البيضاء قرب الجزائر في منتصف الساعة الثانية بعد الظهر . الحرارة شديدة جداً ، تبدو معهـا معاملات الرقابة والجمرك مزعجة مرهقة . سنستأنف الرحلة في الساعة الثالثة والربع .

وفي الساعة السابعة من صباح الخميس حطت بنـا الطائرة في مطار بجوار بريستول . الطقس بارد والضباب يخيم على السهل وعلى المدينة . ما كدنا ندوس الارض حتى أحاط بنا الموظفون بعدما ابلغتهم ، ولا ريب ، وزارة الخارجية نبأ وصولنا . ان لطفهم الفائق وعنايتهم بنا ينسياننا النظـام الصارم والمزعج أحياناً ، الذي تقيدنا به على متن الطائرة . وقد تولى بعضهم إنجـاز المعاملات المعتادة في دقائق معدودة ونقلتنـا سيارة خاصة الى محطة السكة الحديدية في بريستول .

قطار الساعة التاسعة والنصف ، في ثوب أيام الحرب ومظاهرهـا ، ينهب بنا الطريق إلى لندن . هذه شمس انكلترا الباهتة ، أراها لأول مرة وكأنهـا تتردد خجلاً في اطلالها من وراء الغيوم . ان الأثر الأول الذي يتركه الريف الانكليزي في نظر المشاهد ، لا بأس به . الأشجار كثيرة في كل مكان ، والأرض يكسوها عشب وخضرة في لونها نعومة المخمل ، الا ان البلاد سهول منبسطة لا يتخللها غير تلال صغيرة ، فالتناقض بارز بينها وبين تلال لبنان الشاهقة المنيفة في مقاطعها ، وأوديته العميقة السحيقة المهاوي .

وصلنا لندن في الساعة الواحدة بعد الظهر ، فكان في استقبالنا على المحطة سر جون مونك ، رئيس التشريفات ، وموظف من وزارة الخارجية الاونورابل

و. و. استور ابن لورد ولادي استور ، وانتقلنـا في سيارة تابعة لوزارة الخارجية ، الى فندق ريتز .

سألني سر جون مونك عن موعد تقديم أوراق اعتمادي ، وهي المعاملـة التقليدية التي لا يُعترف لدبلوماسي ما ، قبل اتمامها ، بأي وجود رسمي في لندن .

في العاصمة البريطانية

الجمعة ٢٩ ايلول ١٩٤٤

لم يتخلل ليلتي الأولى في لندن ما يستحق الذكر ، فقد أتعبني السفر الطويل ونمت نوماً عميقاً حتى أفقت ، في الصباح ، نشيطاً يقظاً .

كلمتني هاتفياً مسز ج. جوف ، وكنت قد أبرقت إليها من بيروت لتكون سكرتيرة اجتماعية في المفوضية ، فقالت انها على استعداد لتسلم عملها حالاً ، وسألتني ما إذا كانت القنابل الطائرة أزعجتني، فأجبتها سلباً مع ان اثنتين منها وقعتا أثناء الليل في بعض الأحياء النائية من المدينة .

مرَّ بي في الفندق و. و. استور ودعاني لقضاء نهاية الأسبوع في كليفدن ، وهي ملك لهم في الريف على بعد ٤٠ كيلومتراً من لندن . قبلت الدعوة بسرور .

وفي اليوم التالي حضر الى « الريتز » في غيابي سر جون مونك رئيس التشريفات . انها زيارة لياقة معتادة ، دون ريب ، ولعله أراد ان يبحث أيضاً في موعد تقديم أوراق اعتمادي .

ثم زارني السيد لورانس من وزارة الخارجية ، فاستبقيته للغداء . كان لطيفاً جداً وعرض كل مساعدة . وأشار أيضاً الى ضرورة تقديم أوراق اعتمادي في أقرب فرصة . وجدت نفسي في حرج عظيم لاني لا أعرف عن هذه الاوراق شيئاً جديداً . فقد أكد لي وزير الخارجية يوم غادرت لبنان ان أوراق الاعتماد

سوف تسبقني الى لندن ، وها انا في لندن ، بعد تأخير طويل ، دون ان تصل .

حضر استور بعد الظهر واصطحبني الى كليفدن . اخترقت بنا السيارة ، بعد المدخل الخارجي ، أرضاً واسعة قامت فيها ، الى جانب الطريق ، مجموعات من التماثيل الرخامية . ان قصر كليفدن يعدُّ من القصور القديمة . فقد بنـاه في منتصف القرن التاسع مهندسون وفنـانون ايطاليون ، وهو مؤلف من صدر وجناحين ويتجلى فيه الطابع الانكليزي بكل مزاياه . من الأرض الى السقف يكسو الجدران خشب الزان الثقيل ، ومثلها الدرج المؤدي الى الطابق الأعلى . الردهة وقاعة الاستقبال مفروشتان بالأثاث القديم ، وعلى جانبي كل باب ، وفي كل ركن ، تنتصب دروع الفرسان الكاملة ، من قمة الرأس الى أخمص القدمين ، فيؤلف هذا منظراً من مناظر القرون الوسطى .

أغلب ظني ان هذا الجو مسؤول عن الاعتقـاد بوجود الاشباح ، ذلك الاعتقاد الذي يشترك فيه ، حتى يومنا هذا ، كثيرون من الشخصيات المحترمة في انكلترا ، ومنهم مضيفي و و. استور . ان أنوار النهار الهـادئة تكشف الجمال الرزين داخل هذه البيوت الكبيرة ، والاضاءة الكهربائية الفنية ليـلا تكسوها عظمة رهيبة . ولكنني أعود بالذاكرة والخيـال الى يوم كان يحل المساء ، فتضاء المشاعل والشموع يتمايل لهبها ويتضاءل في مجاري الهواء فيتراقص نورها المرتعش على الدروع الفارغة كما يتراقص ظلها المتحرك وراءها ، فهي بين هذا التداول مجسمة ضخمة راعبة ، فاذا ما صفرت الريح في المداخن أو هبت موجة حارة فطقطقتّ أخشاب الدرج أو الأثاث لم يعد عجبـاً ان تفسر تلك الاحداث بانها آفات سلف معذب يجوب الأروقة البـاردة أو خطوات فارس قتيل اشتاق الى قصره المهجور .

وتحيط بقصر كليفدن حديقة واسعة ينعكس خيال اشجارها الباسقة على مياه نهر التاميز .

ولشد ما أثر في نفسي رؤية عدد من أرزات لبنان بين هذه الأشجار . وفي الفسحات التي تتخلل أشجار الحديقة أقام بناة القصر تماثيل مختلفة ونصباً لتخليد ذكرى ضباط أهل المنطقة وأبناء القصر الذين استشهدوا في ميدان الشرف .

وقد كان لورد ولادي استور غائبين في رحلة بجنوب انكلترا ، الا ان في القصر ضيفين آخرين أحدهما اقتصادي معروف والآخر طبيب .

كانت أحاديثنا متنوعة شيقة تناولت المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تنتظر بريطانيا العظمى بعد الحرب والهزات التي ستنتاب بولونيـا ومتاعب الشرق الأوسط. وقد كان الاقتصادي متشائماً يشك في مقدرة الصناعة البريطانية على بذل الجهد اللازم لاستعادة مكانتها في الأسواق العالمية .

تسلمت مسز « جوف » عملها يوم الاثنين . ان مقتل زوجهـا الكولونيل « جوف » في معارك ايطاليا منذ وقت قريب لم يحد من إقدامها ونشاطها ، فهي تعرض عليَّ برنامجـاً للعثور على دار للمفوضية وعلى سيارة ، وعلى المستخدمين اللازمين وعلى الأثاث الضروري ولوازم المكتب .

عند الظهر رددت الزيارة لسر جون مونك في مكتبه بوزارة الخارجيـة فتطرق الحديث مرة ثانية ، الى أوراق الاعتماد التي لم تصلني حتى الآن بفضل إهمـال الحكومة الذي لا يصدقه عقل ، ولكنني لا أجسر على التصريح به خوفاً من السخرية .

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر زرت سفير بلجيكا ، وهو عميد الهيئـة الدبلوماسية ، زيارة غير رسمية بتـاتاً ، وقد حدثني أيضاً عن تقديم أوراق الاعتماد . ان هذا حقاً تعذيب لا رحمة فيه .

وقضيت صباح الثلاثاء أحاول عبثاً سماع خبر عن عائلتي التي تركتهـا في

القاهرة ، وعن موعد وصولها التقريبي على الأقل .

ان وزارة الخارجية ، شأنها شأن سائر الادارات المختصة ، تحيط بالكتمان التام ، كل ما يتعلق بحركات القوافل البحرية .

التقيت مساءً السيد فنش قنصل بريطانيا العظمى في الموصل الذي رافقني وبعض الاصحاب أثناء الشتاء الماضي في رحلة صيد الى « عين زحلتا ». انه لفرح كبير ان يلتقي الانسان هنا مواطناً او شخصاً عرفه في لبنان فيعود بالذاكرة الى وطنه .

قابلت أيضاً سر « رونالد ستورز » الذي عرفته في بيروت فجلس يحدثني عن ملحمته المشهورة برفقة « لورانس » وعن العلاقات المستقبلة بين الشرق الأوسط وبريطانيا العظمى . ان سر رونالد يصر على تقديمي الى الأوساط الاجتماعية ذات النفوذ في لندن ، وينصحني في المرحلة الأولى ، ان أدخل عضواً في نادي المسافرين « ترافلرز كلوب » .

وصرفت ساعات الصباح من يوم الاربعاء برفقة مسز جوف في البحث عن دار للمفوضية . انها مهمة شاقة . هناك بنايات كثيرة لم تعد تصلح للسكن بسبب القنابل التي أصابتها بينما تشغل سواها مصالح الجيش أو هيئات الحكومات الأجنبية العتيدة اللاجئة الى لندن .

وبالرغم من مخابرة وكالات الايجار العديدة ، وبالرغم من المحاولات المتواصلة في أحياء لندن ، لم نوفق حتى الآن الى العثور على دار للمفوضية .

كان العشاء والسهرة مساء الخميس في ضيافة لادي « لنكون فيليت » شائقين جداً ، وقد دعت لادي « لنكون فيليت » فضلاً عن سر « رونالد ستورز » وعني ، لادي « اومالي » الشهيرة باسمها المستعار « أنا بريدج » ومعها أيضاً

« روز كالولي » الكاتبة الشهيرة والآنستان كعدان أبرز ممثلتين للأوساط الادبية النسائية في انكلترا .

وبما ان لادي « لنكون فيليت » لا تحتفظ إلا بخادمة واحدة من خدمها السابقين فقد قامت تخدمنا على المائدة بنفسها . وكان الحديث أثناء العشاء ممتعاً لم ينقطع لحظة وقد تناول شؤون الحرب والسياسة ، من الشرق الاوسط ، الى بلجيكا ، الى روسيا فبولونيا حتى كان ختامه مسألة آلاف الضباط البولونيين الذين قتلوا بصورة اجرامية ، ومن الذي قتلهم ؟ انه حادث من أشد فظائع هذه الحرب هولاً . ودعاية الالمان من برلين تكثر من الاشارة اليه والالحاح في اثارته .

تناولت يوم الجمعة الشاي في مجلس العموم مع و. و. استور . انها أول مرة أشهد فيها جلسة للبرلمان البريطاني الذي يعتبره جيلنا المولع بالمبادىء العصرية مثلاً أعلى لنظام الحكم الديموقراطي . لقد هدمت القنابل ، أثناء الهجوم الجوي العنيف على لندن ، قاعة الجلسات التاريخية حيث اجتمع النواب الانكليز منذ مئات السنين . وهم يعقدون الآن جلساتهم في قاعة مجلس اللوردات ، بعدما اختصروا المراسم التقليدية وحصروها في أبسط مظاهرها بسبب ظروف الحرب والحرمان الحاضرة .

هذا هو تشرشل يجلس في مقاعد الحكومة يحيط به « ايدن » وسر « ستافورد كريبس » ذو المظهر الارستوقراطي .

عرّفني استور ، في أروقة المجلس ، الى الكولونيل « بونصونبي » من أعضاء المجلس النافذين . انه يريد ان نبحث مطولاً في مسائل الشرق الاوسط ولكنه ينتظر قبل ان يفعل ذلك تقديم اوراق اعتمادي... تناولت العشاء في «السافوى» مع « دنداس » من وزارة الخارجية . ان الموسيقى التي تعزف هنا والمرح

السائد يتناقضان مع جو البرد والحرمان الذي يخيم في « الريتز » وسائر لندن .

وعندما عدت الى الفندق وجدت برقية من الحكومة تبدي فيها قلقها من تصريح نسبته إليّ وكالة الأنباء العربية . ان دهشتي تفوق دهشة الحكومة . لست أذكر انني أدليت بأي تصريح كان .

فحاولت مراراً يوم السبت ، ودون جدوى ، ان أتصل هاتفياً بوكالة الأنباء العربية . يبدو ان مراسل هذه الوكالة المدعو «كولبرت» وهو مؤلف التصريح المنسوب لي ، شخصية يصعب الاتصال بها .

أما يوم الاحد ٨ ت. ١ فقد قضيت صباحي منفرداً في غرفتي في « الريتز » اقرأ وأكتب عدة رسائل .

خرجت بعد الظهر أتنزه في حدائق لندن التي بدأت أعرف معارجها .

في المساء أعقبت الانذار غارة جوية هي الثالثة منذ وصولي الى انكلترا . القنابل الطائرة تنطلق في الفضاء محدثة ضجة تشبه ما تحدثه الدراجة البخارية الكبيرة ، فيتراءى لكل واحد انها تمر فوق رأسه تماماً ويمسك أنفاسه لحظة .

وصباح الثلاثاء حضر لزيارتي الكولونيل « نيو كومب » . انه الثالث من رفاق «لورانس» الاحياء الذين عرفتهم . اما « ستيرلنغ » فغائب عن انكلترا . وأما « وينجيت » [1] الذي بلغ الثانية والثمانين من عمره ، فهو معتكف في إحدى قرى الريف الهادئة . ان « نيو كومب » نفسه لم يعد شاباً ولكنه يحتفظ بشخصيته القوية ولهجته النشيطة الجريئة . فهو يحفظ للشرق حباً صادقاً

---

[1] — سر ريجنالد فرنسيس وينجيت الذي كان حاكماً للسودان وسرداراً للجيش المصري ثم مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر في الجزء الاخير من الحرب العالمية الاولى .

ويصرح بان الحكومة البريطانية ترتكب خطيئة كبرى اذا لم تؤيد الى النهاية استقلال لبنان وسوريا الناجز التام .

عند الظهر زارني الشيخ حافظ وهبه الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية . فقد أصر على ان يجتمع بي ، وان لم أكن قد قدمت أوراق اعتمادي ، ضارباً عرض الحائط بالمراسم المعتادة والتقاليد ومع ان حديثنا لم يجاوز اللياقات والابحاث السطحية ، فقد كان في هذه الزيارة ترويح وعزاء لانها وضعت حداً لوحدتي الدبلوماسية الجبرية .

وتناول العشاء معي مساء الاربعاء في « الريتز » كل من « روبن هانكي » والسيدة « هانكي » والسيد دنداس من القسم الشرقي في وزارة الخارجية . سوف أعقد لهم اجتماعاً طويلا في الاسبوع القادم ومع مستشار هذا القسم السيد « باكستر » .

سألني « روبن هانكي » عن أوراق اعتمادي ، ولما شعر بالحرج الذي استولى عليّ حاول ان يخفف أثره بقوله ان علاقتي بوزارة الخارجية ستتبع مجراها الطبيعي برغم عدم تقديم أوراق الاعتماد ، وان في وسعي الاتكال ، في الوزارة ، على أصدقاء مخلصين !

في نهاية السهرة دخل علينا سر « رونالد ستورز » وسلمني بطاقة عضوية شرف في نادي المسافرين .

ونادي المسافرين تأسس منذ مائة وأربعين سنة ويشغل بناء كبيراً في « بل مل » يرجع الى ستين سنة فقط . الجدران مزدانة برسوم مشاهير الرجال الذين ضمتهم عضوية النادي : دوق ولنغتون ، تاليران ، ادوار السابع وسواهم . ومن يرتقي الدرج الى الطابق العلوي يشاهد لوحة نحاسية مشبوكة بحاجز الدرج ومحفوراً عليها باللغة الفرنسية : « ان هذا الحاجز صنع لاستعمال الامير

تاليران سفير صاحب الجلالة ملك فرنسا في عام ١٨٣٠ » .

وأخبرني سر « رونالد ستورز » ان تاليران فقد بصره أثنـــاء اقامته في انكلترا فصار يتعذر عليه ارتقاء الدرج ، ولما كانت يداه الضعيفتان تنزلقـان على الحاجز النحاسي المستدير الأملس رأت ادارة النادي ان تضيف اليـه على مسافات متقاربة ، أوتاداً بارزة تستند اليها يدا تاليران وتتمسكان بهـا . وقد نقل هذا الحاجز الخاص مع اللوحة النحاسية من النادي القديم الى بنايته الجديدة عندما انتقل النادي اليها منذ ستين سنة .

جلسنا في الردهة الكبرى نتناول شراباً . وقد فاضت قريحة السر رونالد فأخذ يروي لي قصصاً ونوادر مختلفة . فلما وردت سيرة ابي العلاء قال لي انه أرسل الى فخامة رئيس جمهورية سوريا لمناسبة الذكرى الالفية لفيلسوف المعرة برقية طويلة ، وان أحداً لم يرد عليها .

وتلقيت يوم الجمعة مخابرة من وزارة الخارجية البريطانية تنبئني بان عائلتي تصل الى « غلاسكو » صباح الأحد الواقع في ٢٢ .

قضيت بقية النهـــار في الاتصال بوزير أميركا المفوض لتنظيم سفري الى الولايات المتحدة .

ثم زارني بصورة مفاجئـة السر رينولد ستورز الذي تناول طعام العشاء معي في « الريتز » للاطـلاع على موقف الرأي العام الحقيقي في لبنان وسورية بما له صلة بعلاقاتنـا المقبلة مع فرنسا . فأجبتـه ان موقف البلدين قد حدد بالتصريحات الحديثة التي أدلى بها كل من رئيسي وزارتيهما وانه ليس في طاقتي ان اضيف أي شيء .

وسألني السر رينولد بعدما أكد لي اهتمامه الشخصي من كل جهة بقضيتنا ،

اذا كنا مستعدين ، مع احترام استقلالنا احتراماً تاماً ، ان نتنازل لفرنسا عن بعض القواعد البحرية والجوية وأن ننهي النزاع الذي يفصلنا عنها . وأمـام الدهشة التي قرأها في عيني أضاف : ان انكلترا نفسها قد تنازلت لاميركا عن بعض المطارات دون ان يمس هذا التنازل سيادتها بأي شكل من الاشكال .

وأضاف قائلا : « المصيبة هي انكم لن تجدوا أية حكومة بريطانية مستعدة للضغط على فرنسا لتكرهها على الجلاء عن لبنان وسورية دون مقابل . اننـا شديدو التمسك بالصداقة الفرنسية في اوربا بشكل لا يسمح لنا بان نحرجها . »

ان مهمتي لا تسمح لي بقبول أي اقتراح من هـذا النوع . وفضلاً عمّا تقدّم فانا أفهم اني جئت الى انكلترا يحدوني الايمان والامل باستكمال استقلال بلادي لا لأوفـّق الى ايجاد قالب انيق لاخضاعها . ليس لفرنسا أية مصلحة في الحصول على قواعد استراتيجية في لبنان وسورية لانهما ليسا على طريقها الى ممتلكاتها عبر البحار . واذا كانت تصر على المطالبة بهذه القواعد فلأنها ترغب في بسط نفوذها عليهما وحسب . وهذا يتناقض تماماً مع التعهدات الرسمية التي الزمت انكلترا نفسها بها .

لقد تركتني زيارة السر رينولد قلقاً مضطرباً . أتراها عملية جس النبض أم مقدمة لمفاوضة ؟

ويوم السبت ابلغتني وزارة الخارجية ان القـافلة المنتظرة في غلاسكو لن تصل اليها بكاملها . فهل ان عائلتي موجودة على احدى البواخر التي ستصل صبـاح الاحد ، أم على احدى البواخر المتخلفـة ؟ الحصول على خـبر دقيق مستحيل .

ثم ان اصابات بالجدري قد ظهرت بين ركاب بعض المراكب . ومن المحتمل ان يفرض عليها البقاء اياماً في المصح (الكرنتينا) .

وأخيراً بلغت عائلتي « غلاسكو » عند الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر يوم الاحد ٢٢ ت ١ ، وستستقل القطار الى لندن غداً مساء .

وفي الساعة السادسة من صباح الثلاثاء نهضت لاذهب الى محطة « بوستن » . لا يزال الليل مخيماً ، والمطر ينهمر بغزارة ، والبرد قارساً . وكالمألوف منذ الحرب تأخر القطار ما يقرب من الساعة عن موعده .

واخيراً التقيت عائلتي . لا تلوح ملامح العافية على زوجتي واولادي . فقد تحملوا مشقات السفر طيلة اربعة عشر يوما في ظروف هائلة من قلة الغذاء ورداءة المأوى .

ولكني مضطر ، وانا لم اكد اجتمع الى عائلتي ، أن اسافر الى واشنطن ، فشيكاغو ، للاشتراك في مؤتمر الطيران المدني . ولقد عين السابع والعشرون من الشهر الجاري موعداً للسفر على متن طائرة اميركية .

اطلعني احد موظفي الخارجية البريطانية المستر « هيتر » على وجهة نظر بريطانيا ، كما اطلعني أحد موظفي المفوضية الاميركية في لندن المستر « ساترستويت » على وجهة نظر الولايات المتحدة . غير اني ، وانا من تعوزه الخبرة في هذه الامور ، لم التقط كنه كل من وجهتي النظر ولا قدرت مدى اهميتها .

أما يوم الخميس فقد قرأت ، ثم قرأت ، « الكتاب الأبيض » الانكليزي عن الطيران المدني والوثائق المتضمنة وجهة النظر الأميركية . بين وجهتي النظر هاتين فروقات أساسية .

يقترح البريطانيون مراقبة المشحونات بحيث يسمح لكل شركة من شركات الملاحة الجوية بنقل الركاب والبضائع من البلاد التابعة لها . أما فيما يتعلق

بالمسافرين الآخرين وبانواع البضائع الاخرى التابعين لبلدان أخرى فان توزيعهم على شركات الملاحة الجوية يجب ان يتم طبقاً لاتفاقات خاصة .

يدعم البريطانيون مقترحاتهم بكون صناعة الملاحة الجوية عندهم قد اضطرت طيلة خمس سنوات لان تواجه حالة الحرب في اوربا ، فلم تصنع على الأخص إلا طائرات مطاردة وقاذفات قنابل محدودة المدى نسبياً . وان هذه الصناعة تتطلب سنوات قبل ان تتمكن من انشاء طائرات النقل الكبيرة واللازمة . أما صناعة الملاحة الجوية الاميركية فهي على عكس ذلك . انها تنشيء طائرات نقل كبيرة وتتمتع بتقدم محسوس على الصناعة البريطانية التي تجد نفسها مهددة لهذه الأسباب بخطر مميت .

أما الاميركيون فيطالبون بفضل ثقتهم بتفوق انتاجهم في الطيران ، بنظام الحرية المطلقة لنقل الاشخاص والبضائع جويا . وفي رأيهم ان مؤتمر شيكاغو يجب ان يقر هذا النظام بموجب معاهدة دولية .

ان النزاع بين البلدين حول هذه النقطة قد احتدم كثيراً حتى الآن ، فأبدت الصحف الانكليزية رأيها في الاسبوع الأخير معربة عن اعتقادها بفشل المؤتمر . وراح الاميركيون يتحدثون عن ضرورة دفع المحاولات البريطانية ، وعن تصميمهم على احتلال مركز عالمي في الجو مماثل للمركز الذي كان يحتله البريطانيون قبل الحرب في البحر .

مؤتمر شيكاغو

الجمعة ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٤

اقلعت الطائرة عند الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل الظهر من مطار عسكري في شمالي شرقي لندن وحطت في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر في برستويك في اسكوتلندا .

لقد خلت الرحلة من الطوارىء . وها نحن مضطرون الى قضاء الليلة في برستويك لعدم وجود طائرات .

وتابعنا يوم السبت رحلتنا تحت الامرة العسكرية. وقد طلب الينا ان نذهب الى المطار في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة قبل الظهر . المعاملات بطيئة وطويلة ، ولم نأخذ مقاعدنا على متن طائرة قوية ذات اربعة محركات الا عند الساعة الواحدة بعد الظهر . نحن خمسة وعشرون مسافراً اكثرهم شبان من صفوف الضباط يسافرون لقضاء العطلة . ادلى ضابط الطائرة قبل قيامها بالارشادات الاخيرة : ضعوا الاحزمة الواقية عند القيام وعند الهبوط . لا تدخنوا الا بعد ان ترتفع الطائرة الارتفاع الكافي لانطلاقها . لا تعرقلوا الطائرة بتنقلكم ضمنها جيئة وذهاباً . آمل ان تكون لكم الخبرة الكافية لاستعمال حزام الوقاية وقارب الانقاذ في حالة الطوارىء .

ها نحن نحلق على ارتفاع ثمانية آلاف قدم باتجاه شمالي غربي وفوق عدد من الجزر الصغيرة الصخرية السوداء . ندخل من ثم في الضباب ولا شيء بعدُ غير الضباب حتى ايسلندا حيث حطت الطائرة في الساعة السادسة والدقيقة العشرين

بعد الظهر .

الثلوج تكسو الجزيرة باستثناء مساحة تقرب من عشرين كيلو متراً وتمتد من الجنوب الى الشمال . وهي بقعة مقفرة كئيبة . لا نبات فيها ولا حياة ، لا حيوان ولا انسان ، سوى موظفي المؤسسات العسكرية وبعض اسراب الاوز التي اجفلت في مراعيها عندما أخذنا ننحدر نحو المطار .

عند الساعة السابعة عدنا الى التحليق باتجاه الارض الجديدة . وهذه المرحلة هي اطول مراحل السفر باعتبار انها تستغرق معدلا وسطاً لا يقل عن عشر ساعات . ان الطائرة تحافظ على سرعة متوسطة تتراوح بين ١٨٠ و ٢٠٠ ميل في الساعة . لقد دعاني القبطان للجلوس مكانه وسط عدد لا يحد من آلات الملاحة والمراقبة ، وخيِّل لي خلال ما يقرب من ساعة انني اقود الطائرة بنفسي .

لا يلوح خارج الطائرة غير منظر واحد غريب دائم . اننا نسير فوق الغيوم التي كانت تتخذ اشكالا رهيبة كلما اشتد الظلام . وحوالي الساعة التاسعة برز القمر فجأة وهو في منتهى الحسن يبدو حجمه اكبر من المعتاد ، ويرسل أشعة صافية نقية .

وعند الساعة الخامسة من صباح الاحد استيقظنا . لكن الساعة الخامسة تعادل الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين على الاكثر في الارض الجديدة .

بعدما تناولنا الشاي الساخن وطعام الافطار السخي عدنا الى الجو باتجاه واشنطن . وهذه آخر مراحل السفر .

كان الظلام لا يزال مخيماً عندما حطت طائرتنا عند الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين في المطار العسكري في واشنطن . وكانت وزارة الخارجية قد حجزت لنا في نزل « ماي فلور » حيث نمت نوماً عميقاً طيلة ما قبل الظهر .

قمت بعد الظهر بنزهة في انحاء واشنطن . الشوارع واسعة ونظيفة . لا تبجح في هندسة البيت الابيض . اما هندسة الكبيتول فتنم عن ضخامة ومتانة خالية من الجمال .

انبأت صحف المساء ان الاتحاد السوفياتي بعدما وافق مبدئياً على الاشتراك في مؤتمر شيكاغو غيَّر في اللحظة الاخيرة رأيه . وكانت حجته ان بعض البلدان كالبورتغال واسبانيا وسويسرا المعروفة بتنكرها للشيوعية قد دعيت الى هذا المؤتمر .

وذهبت عند الساعة العاشرة من صباح الاثنين الى مقر وزارة الخارجية لتسلُّم اوراق الاعتماد التي كان من المفروض على حكومتنا ان ترسلها اليها . ولكن لا أثر لهذه الوثائق ولا خبر عنها . الا ان الموظفين المكلفين تأمين الاتصال بين مختلف الوفود أكدوا لي انه يمكن اصلاح هذا الاهمال بان اكتب الى امين السر العام للمؤتمر فأطلعه على صفتي وأعده بأن اقدم له اوراق اعتمادي في أول فرصة ممكنة .

كانت اتصالاتي الاولى بوزارة الخارجية الاميركية جد مرضية . فاستقبلني « غوردن ميريام » رئيس قسم الشؤون الشرقية و « بول ألنج » المدير الثاني لهذا القسم و « كلر » المدير الثاني المعاون ، بكثير من الترحاب وبرقّة تقريباً وظهروا جميعاً بمظهر المهتم على الخصوص بالقضايا اللبنانية والسورية وبالمسائل المتعلقة بالشرق الاوسط . لقد وعدتهم بان أعود الى واشنطن بعد انتهاء اعمال المؤتمر واجري معهم محادثات اطول عن لبنان وعن سورية . وتركوني أفهم أنه سيتاح لي مقابلة أما كوردل هول — المريض الآن — وأما ستاتينيوس الذي يعمل وكيلا لوزارة الخارجية .

ثلاثة أخبار تملأ الصحف صباح الثلاثاء : النصر الذي احرزه الاسطول الاميركي ضد الاسطول الياباني في الباسفيك . انتخابات الرئاسة ، وقد راح

المرشحون يهشم بعضهم بعضاً بلا شفقة او لباقة . ورفض الاتحــاد السوفياتي الاشتراك في مؤتمر شيكاغو .

اما الخلاف في وجهات النظر الاميركية والبريطانية حول الطيران المدني فلم يعد جديداً . وصحف واشنطن تعتقد ان تخلف الاتحاد السوفياتي عن حضور المؤتمر ، ووجهة نظره قريبة من وجهة النظر الاميركية ، قد يقوي ، بطريقة غـير مباشرة ، الموقف البريطاني الذي تؤيده حكومات الدومنيون ، والهنـد وبعض الدول الاخرى .

استقلينا القطار في الساعة السادسة بعد الظهر الى شيكاغو .

ولأول مرة منذ عدة ليالي انام نوماً عميقاً طيلة ساعات ما قبل ظهر الاربعاء بفضل رفاهية قطارات النوم الاميركية .

وصل قطارنا الى شيكاغو عند الساعة الحادية عشرة . وأول شعور سادني في هذه المدينة الشهيرة هو الشعور بقوتها الصناعية الساحقة . لقد كان القطار يكر كراً عادياً خلال ما يقارب عشرين دقيقة بين صفين من الافران العالية والمصانع ، ووراء هذه الصفوف صفوف اخرى من المصانع والافران تطاول السماء بدخانها السوداء .

وقـع الاختيار على « ستيفنس اوتيل » كمكان لانعقـاد المؤتمر ومقر الوفود الكثيرة المختلفة . انه بنـاء ضخم يـكاد ان يكون مربعاً ، وهو يحتوي على ما يقارب ثلاثة آلاف غرفة وسبعة وعشرين طابقاً .

اجتمعت اللجنة التنفيذية للجمعية العمومية ، وهي مؤلفة من رؤساء وفود البلدان الممثلة ، عند الساعة الثانية ، وتميز الاجتماع بحادث صغير : اذ ان رئيس الوفد الفرنسي احتج بشدة على عدم اعتبار اللغة الفرنسية لغـة رسمية للمؤتمر ، وفي نفس الوقت طلب ممثلو بلدان اميركا اللاتينية ان تعدّ اللغة الاسبانية لغـة

رسمية . الا ان اللجنة التنفيذية قررت ابقاء اللغة الانـكليزية لغة المؤتمر الرسمية الوحيدة مع امكانية ترجمتها عند الاقتضاء الى اللغتين الاسبانية والفرنسية .

عقد المؤتمر جلسته الاولى عند الساعة الرابعة بعد الظهر ، وافتتحت برسالة موجهـة من رئيس الولايات المتحدة . ان بعض عبارات الرسالة تبـدو كأنها موجهة ضد الموقف الانكليزي ، كالعبارة التالية :

« ان التسلط على البحار من قبل بعض الامم ضد مصالح البعض الآخر كان يؤلف في ما مضى ينبوعاً للمنازعات لا ينقطع له سيل . »

ثم عقـد المؤتمر جلسة في الساعة الثالثة من بعد ظهر الخميس ، فبسط المستر « برل » الذي انتخب رئيساً للجمعية العمومية وجهة النظر الاميركية . وكان خطابه الانيق المحلّى بالاستشهادات الادبية المأخوذة عن « كبلنغ » و « تنيزن » و ج. آ. « ويلث » سلسلة من الاعتبارات الموجهة ضد المشروع الذي وضعتـه بريطانيا العظمى و « الكومنولث » اكثر مما هو برنامج . فشدد على مخاوفه فيما يتعلق بمستقبل السلم اذا أخفق هذا المؤتمر في وضع خطة عامـة للتعاون الدولي المنسجم في حقل الطيران المدني .

الا ان الافكار الآتية تبرز من خلال العرض الاميركي :

— حرية التحليق فوق اراضي الدول الممثلة في المؤتمر .

— حرية الهبوط الاضطراري ونقل المسافرين والبضائع من اية نقطة كانت من نقاط الطرقات الدولية .

— وجوب انشاء مؤسسة دوليـة لا لتفرض رقابة على النقليات بل لترعى القواعد التكنيكية المتعلقة بالتحليق وبلغـة الاشارات والانارة التي ينبغي ان تتقيد بها كل الدول لتنسيق الدوائر الجوية تنسيقاً موحداً .

وعقب رئيس الوفد البريطاني ، اللورد سونتن ، رئيس الوفد الاميركي على المنبر ، فبسط المشروع البريطاني الذي يعتمد على مراقبة النقليات بواسطة مؤسسة دولية تكون لها صلاحية توزيع النقليات بين البلدان صاحبة العلاقة ، والذي يرمي الى منع المزاحمة الشديدة بين الدول ، والى الغاء نظام المساعدات العديم الفائدة والمرهق مالياً ، والى الحيلولة دون تفرُّد أية دولة باحتكار النقليات العالمية نظراً لتفوقها الصناعي في الوقت الحاضر .

ولقد نجح المشروع البريطاني ، نظراً لدقته ولكونه منطقياً ، في استمالة معظم الدول التي لا صناعة جوية مزدهرة لها والتي ترغب في امتلاك اسطول جوي مستقل ، بعدما رأت في المشروع الاميركي الذي يعتمد الحرية المطلقة خطر مزاحمة مميتة تهدد طيرانها في المستقبل .

ابدى الوفد الاميركي في جلسة الجمعة ، وبعدما أدرك موقفه ، بعض التراجع ونوّه بان أعمال المؤتمر قد لا تنتهي الى اتفاق على جميع القضايا المبحوثة ، الا انه لا يرى مانعاً يقعد بالوفود عن الاتفاق على المسائل التكنيكية الفنية ، كمسألة التحليق فوق اراضي الدول الأعضاء ، والهبوط الاضطراري ، ونقل البريد الدولي . أما نقل الاشخاص والبضائع فيمكن ان يكون موضوع اتفاقات ثنائية أو جماعية بين الدول الراغبة في تنسيق جهودها .

لكن وجهات نظر الدول الصغيرة كلبنان مثلاً ، وسط هذه الفوضى التي تهدد بالتزايد ، تلوح وكأنها جهود خاسرة . فنحن لا مطامع لنا ولا يهمنا عملياً إلا تقرير أكبر قدر من الفوائد سواء أسفر المؤتمر عن اتفاقات تامة أو جزئية .

وقد خطرت لفوزي الحص الذي كان يرافقني كمندوب ثانٍ ، فكرة عقد اجتماع بين دول الشرق الأوسط لبحث مصالحهم الاقليمية فيما خص الطيران المدني ، وشاطرتنا الافغانستان هذا الرأي . لكن ذلك لا يكفي . فيجب ،

لكي نكون أقوياء ، أن نؤلف كتلة متضامنة قادرة باقتراعها الاجماعي ان تفرض وجهة نظرها .

أما النقاط الأولى التي ينبغي مناقشتها في الاجتماعات ، كما يبدو حتى الآن ، هي الآتية :

١ — ما هي الطرقات التي ستلقب بالدولية ؟

٢ — ينبغي ألا تسيء حركة انتقال البضائع بين الدول بشيء الى حركة انتقالها بين الأقاليم .

٣ — يجب ان تكون دول الشرق الأوسط ممثلة في المؤسسة الدولية الدائمة التي ستنشأ مهما كان مدى صلاحياتها .

أما فيما يتعلق بلبنان ، فان المسألة تتخذ الشكل الآتي : اننا بلد سياحة وأسفار ، وبمقدورنا توسيع نطاق السياحة الى حد بعيد بالاعتماد على تنظيم محطات الاصطياف والاشتاء ، تنظيماً معقولاً . وينبغي منذ الآن ان نفكر في الوسائل التي تمكننا من بلوغ هذه الأهداف وأهمها جعل بيروت عقدة من عقد المواصلات الجوية .

ومن حق لبنان ان تكون له خطوطه الجوية الخاصة التي يمكن ان تتطور وتتسع بفضل موقعه الجغرافي ومؤهلات اللبناني وقدرته على الابداع والابتكار .

ان وضع هذه الأفكار موضع التنفيذ يوجب ، والمؤتمر لا يزال في مرحلته التحضيرية ، القيام بمسعيين : مسعى لدى الأمم التي لا تستطيع ، بسبب امتلاكها أكبر عدد من المصالح الجوية ، ان تجعل من بيروت قاعدة لانزال المسافرين وترحيلهم ، ومسعى آخر لدى دول الشرق الأوسط لحملها على القبول

بان تنقل الطائرات اللبنانية الأشخاص والبضائع من مرافقها لقاء المعاملة بالمثل .

لقد أعد فوزي الحص تصميماً اولياً للخطوط الجوية التي يمكن للطيران اللبناني ان يؤمنها في المستقبل ، وأودعته الأمانة العامة لتوزعه على الوفود المشتركة في المؤتمر .

أثناء جلسة اللجنة التي عقدت صباح السبت قدم وفد الولايات المتحدة مشروعاً يتضمن إنشاء مجلس مؤقت لمدة سنتين أو ثلاث سنوات يتولى الأعمال باسم جميع الدول الممثلة في المؤتمر . ويتألف من خمسة عشر عضواً موزعين على الوجه الآتي : عضوانِ للولايات المتحدة ، مركزان احتياطيان للاتحاد السوفياتي غير الممثل في المؤتمر ، عضوان للمملكة البريطانية ، عضو للبرازيل ، عضو للصين ، عضو لفرنسا ، ثلاثة أعضاء لبلدان اوربا الأخرى ، عضوان للقارة الغربية ، عضو لآسيا وافريقيا .

لكن التفاوت في هذا التوزيع ولّد احتجاجات صاخبة عند الدول الصغرى والوسطى التي وجدت فيه محاولة لسيطرة سياسية واقتصادية بواسطة النقليات . وهوجم وفد الولايات المتحدة بشدة فراح يتراجع موضحاً ان المشروع ليس سوى اقتراح قابل للتعديل عند الاقتضاء .

التقيت وزير مصر عند الظهر في أروقة ستيفنس فأسر إليّ بتفسير عن حقيقة الاقتراح ، اطلع عليه من مصدر اميركي ، يفيد بان الاقتراح لم يكن من وضع الولايات المتحدة ، لكنها الجئت اليه بسبب البريطانيين الذين كانوا يطلبون ان يمثلوا هم والدومنيون التابعة لهم باكبر عدد ممكن . أما الاميركيون الذين لم يكن بوسعهم القبول بممثلين أقل عدداً من ممثلي البريطانيين فقد قبلوا بالوحي البريطاني .

ان هذا التفسير يساوي ما يساوي . وخير الأمور هو الانتظار لتبين حقيقة

الحالة التي يكتنفها قدر كبير من الغموض .

غادرت شيكاغو في المساء الى ميشيغان سيتي حيث تعيش جالية لبنانية مؤلفة مما يقرب من مائة وخمسين عائلة تحت الرعاية الروحية التي يشملها بها كاهن يلفت النظر بمواهبه ، هو المنسنيور السمعاني . ان السيد نقولا سلامه اللبناني المقيم في شيكاغو نقلني اليها بسيارته .

بعد تناول طعام العشاء ذهبنا الى النادي حيث كان بانتظارنا مئات من الاشخاص . فلاحظت ان غالبية الحاضرين هم من المتقدمين في السن، لان الشبان غائبون في مكان ما من العالم تحت السلاح .

تحدثت اليهم طوال ساعتين عن لبنان وأجبت عن أسئلتهم المتعلقة بالحالة العامة في لبنان : عن الاستقلال ، عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وعن آمالنا في المستقبل . ان هؤلاء المغتربين لم يفقدوا الشعور الذي يربطهم بلبنان بالرغم من انقضاء عشرات السنين على هجرتهم ومن جو الرخاء والبحبوحة الذي يتقلبون فيه . لقد كانوا يريدون الاستماع الى صوت بلادهم فسمعوه ، وهذه المناسبة وحدها كانت كافية لتفجير كنز من العواطف التي لم تكن تجد وقتاً مؤاتياً للظهور . فبينما كنت أحدثهم كنت أرى دموعاً تنحدر بغزارة على خدودهم الموسومة بسمات الوجه اللبناني الطيب .

وظهر الأحد ٥ ت ٢ عقد رؤساء وفود بلدان الشرق الأوسط اجتماعاً تمثل فيه كل من اليونان وتركيا وايران وافغانستان والعراق وسوريا ولبنان ومصر ، وبحثنا القضيتين التاليتين : ١ً – ينبغي الا يضر اتساع نطاق الخطوط الجوية العالمية اتساعاً فعالاً بالخطوط الاقليمية . ٢ً – ان التمثيل في اللجنة الموقتة الملحوظة في الاقتراح الاميركي ينبغي ان يقتصر على ممثل واحد من قبل الدول الكبرى وان يتسع نطاقه بحيث يؤمن تمثيل الأقاليم تمثيلاً أنسب .

زرت بعد الاجتماع رئيس الوفد الهولندي الذي تقدم بتصميم لخط جوي دولي يمتد من امستردام الى القاهرة فالبصرة حتى الهند الهولندية ، ودرسنا معاً تعديلاً طفيفاً لهذا الخط يجعل من بيروت محطة هبوط عالمية .

استفدت من انقطاع المؤتمر عن متابعة اعماله وقت بعد ظهر اليوم بنزهة في الشوارع القذرة . إذ ان النظافة معدومة في شيكاغو باستثناء الشوارع الفسيحة الممتدة على طول البحيرات . ومع ذلك فان المدينة تجذبني اليها لأنها من المدن النادرة ذات الطابع الخاص في الولايات المتحدة . ونقولا سلامه الذي يحيطني وعائلته بما لا استطيع ان أنساه من العناية جعل من نفسه مرافقاً لي .

وعقدت اللجنة الفنية يوم الاثنين اجتماعاً لمناقشة القواعد المشتركة التي يجب اتباعها بكل ما له علاقة بالملاحة الجوية والاشارات وبناء المطارات . ومن حسن الحظ ان الجميع كانوا على اتفاق فانقضى الصباح دون حوادث .

اجتمعت في الساعة الخامسة الى « برل » رئيس وفد الولايات المتحدة وبحثنا احتمال جعل بيروت محطة هبوط للطائرات الأميركية في طريقها الى استنبول – البصرة ، فالهند . وبالرغم من ان الوفد الأميركي أبدى ميلاً كبيراً لهذه الفكرة فقد أبى التقيد به منذ الآن . ويلوح لي انه يوفر استعداده هذا ليجعل منه مادة مبادلة عندما تطرح على بساط البحث قضية حرية نقل الأشخاص والبضائع .

وعلى أية حال فان الاتفاق مع اميركا لا يكون له حظ بالنجاح وبتحقيق نتائج عملية إلا اذا كنا مصممين في لبنان على ان نقوم بالتضحيات اللازمة لبناء مطار عصري له من السعة ما تستوجبه طائرات النقل الكبيرة المجهزة بأحدث الأجهزة ، واعتقد باننا مستعدون لتحمل هذه التضحيات ليكون لنا مكاننا تحت الشمس في مجال له من السعة والخطورة مثل ما للطيران .

يوم الثلاثاء ٧ ت ٢ هو يوم انتخاب الرئاسة . كنت أتوقع ان اشاهد نوعاً من عرض شريط سينمائي اميركي : قافلة من السيارات وجماهير متنوعة يرفع بعضها الأعلام بالوان روزفلت وبعضها يرفع الأعلام بالوان ديوي .

لم يحدث ما كنت أتوقعه بل بدت المدينة اكثر هدوءاً من الايام الاخرى . بدأ الاقتراع عند الساعة السادسة صباحاً وتقدم الجميع من صناديق الاقتراع ، يحدو التشاؤم الجمهوريين والتفاؤل الديمقراطيين .

عند الساعة السادسة بعد الظهر بدأت مكبرات الصوت المركزة على الأعمدة الكهربائية في الشوارع الكبيرة تعطي نتائج الانتخابات الرئاسية . وعند الساعة الحادية عشرة اعلن اعادة انتخاب الرئيس روزفلت .

أما يوم الأربعاء فتميز بمناقشة اقتراح مهم ومميز تقدم به وفد نيوزيلندا . وهو ينص على ان تصبح ملكية الطيران المدني مشتركة بين جميع الدول الممثلة في المؤتمر بنسبة ما تملك من طائرات عاملة . وبهذه الطريقة تنال كل بلاد حصتها من الأرباح ويقضي على المزاحمة .

ان صوت الخطيب الهادىء ، المتزن ، الذي ذكر بكلمات مؤثرة ، وهو يبسط نظريته ، التضحيات التي تحملتها بلاده الصغيرة ابان الحربين الكبيرتين ، الاخيرتين ، أكسبه عطف المستمعين . لكن العطف وحده لا يكفي للظفر بالاصوات ، خاصة أصوات البلدان الكبرى . لكن رئيس وفد الولايات المتحدة علق على الاقتراح ، فوصف الناحية الخلابة فيه ، لكنه رفضه باعتبار انه غير صالح على الأقل لسنوات مقبلة طويلة . ولم يعد أحد الى التحدث عنه طوال ذلك النهار .

وبينما كانت أعمال اللجان الفنية تتقدم دون صعوبات كبيرة اجتمعت ، يوم الخميس ، اللجنة الفرعية المكلفة تنظيم اللجنة المؤقتة لدرس المشروع المعاكس

المقدم من المكسيك وكوبا ، والذي يشكل تعديلاً للمشروع الأميركي . ويبدو ان هذا المشروع يحظى بموافقة جميع دول اميركا الجنوبية ويمتاز على الأخص بتعادل نسبة التمثيل في اللجنة المؤقتة بين الدول ذات المصالح الهامة فيما يتعلق بالطيران المدني . أما الدول الأخرى فتتمتع بتمثيل اقليمي واسع النطاق . وقد حاز مبدأ هذا التمثيل على رضى الاميركيين والانكليز .

أما فيما يتعلق بصلاحيات اللجنة المؤقتة فان وفود بلدان اميركا اللاتينية رفضت وجهة النظر الاميركية كما رفضت الاعتراف لأميركا بأية سلطة من شأنها ان تمس بسيادة أية دولة .

وقد تسرعت الصحف الصادرة صباح الجمعة بالتأكيد ان الجلسة التي عقدتها اللجنة الفرعية أمس كرست المشروع الاميركي القائل بالحرية المطلقة للطيران المدني ، وبالتالي اخفاق وجهة النظر البريطانية .

وطلعت الصحف — وانا استطرد هنا الى ناحية اخرى من التفكير — بنبأ زيارة رئيس الوزارة البريطانية لباريس ، ونشرت له تصريحات جاء فيها ان الصداقة الفرنسية — الانكليزية كانت دائماً حجر الزاوية في سياسة بلاده . وبالرغم من ان هذه التصريحات لم تلمح ، بأية اشارة ، الى الشرق فقد تركتني قلقاً ، ذلك انه عندما ينساق بلدان كبيران في تيار العواطف السخية ، فان ذلك يؤدي ، غالباً ، الى التضحية باحد البلدان الصغيرة على مذبح صداقتهما .

صادف يوم السبت ذكرى الهدنة . ففيما يعنينا ان ذكرى التصرف غير المسؤول قاد ، في السنة الماضية ، الحكومة اللبنانية مخفورة الى سجن قلعة راشيا . ومنذ ذلك التاريخ سار لبنان في طريق الاستقلال . وما اشتراكي في هذا المؤتمر إلا الدليل المباشر على صحة ما أقول .

اما على صعيد المؤتمر فان اللجان الفنية تعمل وحدها اليوم . ويبدي فوزي

الحص نشاطاً طيباً . استفدت من الفرصة لأستريح ولأجيب عن البرقيات الكثيرة الصادرة عن مئات اللبنانيين المقيمين في الولايات المتحدة والذين يطلبون مني ان أزورهم .

دعاني السيد سام سعد أحد وجهاء الجالية في شيكاغو الى عشاء هو بالواقع مأدبة كبرى اجتمعت خلالها بكثيرين من الفئة المختارة من اللبنانيين .

وتوالت يوم الاثنين اجتماعات اللجان الفنية وحدها دون سائر اللجان لسبب واضح : هناك محاولات وراء الستار لايجاد حل للقضايا المهمة التي لا تزال معلقة .

ومن جهة أخرى نقلت « نيويورك تيمس » بعض الانباء عن موضوع محادثات تشرشل — دي غول في باريس . التفاصيل الآتية تستحق بعض الاهتمام : ١ً — ان الفرنسيين يطلبون أسلحة ليتمكنوا من تعبئة جيش قوي بعد الحرب . والظاهر من هذا الطلب انه يناقض نفسه بنفسه . إذ من المعتاد ان تعبأ الجيوش القوية للحرب لا لفترة ما بعد الحرب. ٢ً — يطالب الفرنسيون، باصرار ، باقصاء الجنرال ادوارد سبيرس وبانهاء الانتداب بمعاهدة توقع بينهم وبين لبنان وسورية .

ما عسى ان يفعل البريطانيون ؟ هل ترجح ارتباطاتهم السياسية في اوربا نهائياً كفة الميزان لجهة فرنسا ؟ ينبغي ان نتوقع بخوف هذا الاحتمال .

وما عسى ان تفعل حكومة الولايات المتحدة واعترافها باستقلالنا لا يزال حديث العهد ؟ وما عسى ان يصنع الاتحاد السوفياتي وموقفه كان صريحاً ؟ لقد قررت ان أنبه الحكومة اللبنانية وان اشدد على الاستقبال الذي قوبلت به في واشنطن وعلى الاهتمام الذي تبديه وزارة الخارجية الاميركية للتعاون مع بلدان الشرق الاوسط ولا سيما مع لبنان وسورية .

هذه المشاغل لم تمنعني وفوزي الحص من اعداد اقتراح لبناني يعدل الاقتراح

الاميركي المتعلق بصلاحيات المجلس المؤقت . ان المشروع الانكليزي ـ الكندي تجاوز كل حد لانه خص المجلس المؤقت بصلاحيات عطلت تقريباً صلاحيات الدول نفسها . أما المشروع الاميركي ، وقد استوحى الحرية المطلقة ، لم ينظم شيئاً ، بل أشار الى وجوب تأليف جمعية عمومية ومجلس مؤقت لا يتمتع إلا بالصفة الاستشارية التي لا تمكنه من فرض احترام القواعد الموحدة التي لها علاقة بالاقتصاد والفن وبالمراقبة لا سيما المراقبة الصحية . مع ان تنظيم الطيران المدني الدولي – وليس تركه ضحية للمزاحمة وللارتجال – كان احدى غايات المؤتمر الاساسية .

ان الاقتراح اللبناني ، وقد استوحى هذه القاعدة ، وضع ثلاثة مبادىء :

١ – حصر المزاحمة بتحسين النوع والسرعة والترفيه ، لا بتخفيض بدل النقل ، بحيث يكون للمجلس المؤقت صلاحية تعيين الحد الادنى للبدلات وهو الحد الذي لا يجوز لاية شركة ان تقبل بأدنى منه . ولكن البدل ينبغي الا يكون واحداً لجميع فئات الطائرات ، بل يمكن ان يتنوع وفقاً لنوع الفئات من الطائرات ولسرعتها ولأسباب الترفيه واتقانها .

٢ – أما القاعدة الثانية فتتعلق بالناحية الفنية من الملاحة الجوية . فمن أجل سلامة النقل لا بد من ان تكون للمجلس المؤقت السلطة الكافية لفرض القواعد الصارمة المتعلقة ببناء الطائرات والملاحة وبالتخاطب بواسطة الاشارات والراديو .

٣ – أما القاعدة الثالثة فتلاحظ وجوب اعطاء المجلس المؤقت صلاحية وضع طريقة واحدة للرقابة الصحية وفرض هذه الطريقة .

واستقبلت يوم الثلاثاء بعض ممثلي الصحف في شيكاغو الذين طلبوا بعض الايضاحات عن المقترحات اللبنانية .

وقد أماطت الصحافة الاميركية ، بوجه عام ، اللثام عن مدى الخلاف البريطاني ـ الأميركي بعدما بلغ أشده وراح الوفدان البريطاني والاميركي يعقدان ، منذ السبت ، اجتماعات متتالية لتوحيد وجهتي نظرهما دون جدوى . فالنقاش اتصف على ما يقال بالعنف الشديد . واتهم البريطانيون الاميركيين بانهم استقدموا وفود البلدان الأخرى الى الولايات المتحدة ليفرضوا عليها ارادتهم ، بينما يتهم الاميركيون البريطانيين بانهم يحاولون جعل الطيران المدني نوعاً من « كارتل » يؤدي الى ارتفاع الاسعار وعدم انتظام الخطوط الجوية وبالتالي عدم انتظام النقليات والتجارة الدولية .

ونظراً لهذه الخلافات فان المؤتمر قد يتجاوز المهلة المقررة له .

وحتى يوم الأربعاء لم تتقدم اعمال المؤتمر . هذه المهلة تسمح لي بالتفكير في الفوائد التي يمكن ان نجنيها من اهتمام وزارة الخارجية في واشنطن بقضايا لبنان وسورية .

المساعدة الاميركية نافعة جداً ويمكن ان تتخذ شكلاً فاصلاً في حالة احتدام الخلاف مع فرنسا . ثم ان التقرب من اميركا يتفق مع رغبة مئات الالوف من اللبنانيين الذين يعيشون في هذه البلاد . والمغتربون يدلون ببراهين لا ينقصها شيء من المنطق ، ويعتبر الكثيرون منهم ان التقرب من الولايات المتحدة لا يفيدهم ، وحسب ، بل يساعد على حل قضية احوالهم الشخصية بصورة نهائية . انهم يرغبون من اعماقهم في ان يظلوا لبنانيين ويحسبون ان الاتفاق بين البلدين قد يسمح لهم بالاحتفاظ بجنسيتهم الأصلية وبالاستفادة من حقوق الاقامة التي تضمنها جنسية الولايات المتحدة .

زارني ظهراً سيادة المنسنيور السمعاني مصحوباً بأحد كبار الصناعيين اللبنانيين ، السيد جوزف نادر ، مخترع الجهاز المختص بمحرك الطائرات .

وجوزف نادر يمثل اللبناني الموهوب المقدام . وعندما سجل اختراعه منذ سبع سنوات لم يكن معمله يضم أكثر من سبعة عمال ، لكنه يدير ، اليوم ، معملين يشتغل فيهما الف وخمسماية عامل .

يوم الخميس اطل عليّ وجه لبنـــاني آخر . لقد جاء الأب بطرس عيد من بونغستون اوهيو ليراني . ان رعيته تشمل مئتي عائلة لبنانية ، وقد وضع خططه لادارة هذه الجالية الصغيرة : انشاء كنيسة ، وناد رياضي وناد اجتماعي. وكالالوف من اللبنانيين يشعر ، وهو في بونغستون او في شيكاغو ، بانه في بلاده مع انه لم ينقض اكثر من اربع سنوات على مغادرته قريته الصغيرة في الشوف.

تلقيت برقية من سلوم مكرزل ، الصحافي اللبناني الشهير ، ينبئني فيهـا بان لجنة من اللبنانيين في نيويورك قررت اقامة احتفال كبير في ذكرى الاستقلال بتاريخ ٢٢ ت ٢ ، وهي تدعوني لحضوره .

وحوالي اواخر النهار طلب مكتب الدعاية والنشر تصريحاً لمناسبة ذكرى استقلال لبنان ليذاع من محطة الاذاعة الاميركية في نيويورك .

كان تصريحي جاهزاً مساء الجمعة في استوديو الاذاعة الاميركية (ن ب ث) ليذاع بتاريخ ٢٢ ت ٢ يوم ذكرى استقلال لبنان .

استقبلت رئيس الوفد الصيني حوالي الســاعة الرابعة والنصف . فأبلغني كما ابلغ ، على الأرجح ، الوفود الاخرى انه على أثر مفاوضات طويلة جرت بـين الاميركيين والبريطانيين توصل الفريقان الى اتفـــاق ، وان الوفود الانكليزية والاميركية والكندية تعمل الآن على وضع نص واحد . لكن رئيس وفد الصين لم يدل بأية تفاصيل .

وعلى الرغم من مساعي رئيس وفد الصين فقد راجت يوم السبت شائعات

تقول ان الخلاف بـــين الانكليز والاميركيين لا يزال حاداً . اذا صحت هذه الشائعات فان اعمال المؤتمر ستمتد الى مـــا لا نهاية له . وهناك بعض الوفود تتسائل بسخرية عما اذا كان يقدر لهذا الخلاف ان يحل قبل نهاية الشتاء .

استقليت الطائرة مع فوزي الحص الى « ديترويت » يوم الاحد ١٩ ت ٢ تلبية لدعوة الجالية اللبنانية الكثيرة العدد في هذه المقاطعة .

وصلناها بعد تحليق ساعتين . وكان في استقبالنا عدد غفير من اللبنانيين ، وسار رتل مؤلف من اربعين سيارة يواكبه اثنا عشر رجلاً من رجال الشرطة على دراجاتهم يتأهبون لدخول المدينة بمظهر فخم .

أعد الاستقبال في نزل « كاديلك » ثم تناولنا العشاء في قاعـة كبرى من مطعم لبناني سوري . واقيم لنا احتفال حوالي الساعة الثامنة في النادي اللبناني. كانت القاعة تعج بالحضور فدخلناها وسط التصفيق ، وعزف النشيدان الوطنيان الاميركي واللبناني .

يعيش في ديترويت ما يقرب من ثلاثين الف لبناني . لكنهم غير متحدين . فقد حملوا معهم منازعاتهم المحلية التي تسود القرية اللبنانيـة فتحتدم في كل وقت . وكانت زيارتنا لديترويت مناسبة لبعث هذه الروح . فقاطع اعضاء الجاليـــة الاجتماع لان رأيهم لم يؤخذ بصدد دعوتنا . الكننا لم نكن السبب لاننا كنا نجهل كل شيء عن هذه المنازعات .

وصباح الثلاثاء الباكر تلقينا نسخة عن مشروع جزئي يتضمن النقـاط التي تمكن الانكليز والاميركيون من الاتفاق عليهـا . لكن قراءته كشفت وجود نواقص كثيرة دلت على ان الانسجام بين المتناظرين لا يزال بعيداً .

زارني هذا الصباح السيد ريمون هاير سكرتير السفارة الاميركية الاول في

لندن والملحق مؤقتاً بالوفد الاميركي ، وكانت زيارته لي في مكتبي في الستيفنس غير منتظرة ،فأبلغني ان السيد « برل » رئيس وفد الولايات المتحـــدة والسيد « بوغ » مستشاره الفني الاول ، يريدان التحدث اليَّ بشأن عقد اتفاق جوي بين الولايات المتحدة ولبنان، وترك لي حرية تعيين المـكان والساعة الملائمين .

وبعد هنيهة سألني عما اذا كنت مستعداً للخطابة غداً في جلسة المؤتمر تأييداً للمشروع المشترك الذي قدمه وفدا اميركا وانكلترا .

فاعتذرت مفضلاً التدخل عندما يتم مشروع الاتفاق . ولكني تساءلت بعد ذلك : ألم تكن هنالك علاقة بين عرض عقد اتفاق جوي مع لبنـــان والايحاء لي بالقاء الخطاب . ولاحظت ان الاميركيين خلافاً للبريطانيين يريدون التقرب من مختلف الوفود المشتركة في المؤتمر .

يوم الاربعاء ٢٢ ت ٢ حلت اول ذكرى لاستقلال لبنـــان . ان وحدتي ثقيلة عليَّ بصورة خاصة لأنني لم أتمكن بسبب أعمال المؤتمر من الالتحاق بجاليتنا في نيويورك للاشتراك في حفلات العيد .

القيت نظرة سريعة على عدة صحف . فقرأت في « السنداي إيفنن بوست » مقالا عن الارجنتين يتهم البريطانيين بانهم يستفيدون من كل فرصة للمحافظة على شعور عدائي للولايات المتحدة عند الشعب الارجنتيني . وهذا المقال يؤلف حادثة تهجم في وسط حملة موجهة في اميركا ضد بريطانيا العظمى . ولا يوجد مواطن اميركي واحد ، سواء كان ينتمي الى الحزب الجمهـــوري أم الى الحزب الديمقراطي ، الا ويعنى عناية خاصة بانماء موجة الكره التي يكنها للبريطانيين بعد اندحار الألمان ، ولا توجد صحيفة واحدة إلا وتبدي مثل هذا الاهـتمام بعدما اصبح الانكليزي منافساً في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية ، ينبغي تجريده ، بعد الحرب ، من القوة .

قد يكون الناس أقارب وأنسباء دون ان يفرض عليهم ان يكونوا اصدقاء .

اما يوم الخميس ٢٣ ت ٢ فهو يوم الشكر .

توقفت حركة الحياة تماماً في الولايات المتحدة . كل في بيته . وقد يتجشم الواحد مشقة قطع مئات الكيلومترات ليجتمع الى اهله في هذا اليوم المبـارك . واستهلك عشرون مليونا من الاوز لاعداد طعام العشاء او الغـداء التقليدي . وهذه المجزرة تتكرر مرتين في السنة : يوم الشكر ويوم الميلاد .

وقد صرفت هذا النهار برفقة عائلتين اميركيتين لطيفتين : السيد والسيدة « كومنغ » والسيد والسيدة « بوزرج » ، في سان بول ميتارزوتا ، المقاطعـــة ذات العشرة آلاف بحيرة التي تضم حوالي ثلاثماية الف نسمة . ثغرها القائم على ضفة المسيسبي يصلها بشقيقتها مينابوليس . وهما اجمل من شيكاغو . فشوارعها واسعة ونظيفة تزين الاشجار أرصفتها ، وبيوتهما أنيقة ومتباعدة .

هنالك ، كما في كل مـكان ، تعيش جالية لبنانيـــة برعاية المنسنيور اشقر الروحية . تعادل فرحي ودهشتي عندما رأيته قادماً لمقابلتي على رأس وفد من المغتربين .

تركنا مطار مينابوليس في الساعة السابعة من قبل ظهر يوم الجمعة وحطت الطائرة بنا في مطار شيكاغو في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة حيث تلقيت عند وصولي برقية من الجاليـــة اللبنانيـــة في تامبيكو-المكسيك تدعوني لزيارة مدينتهم .

ومن جهة اخرى عقدت اللجنة المتفرعة عن لجنة المؤتمر التنفيذية اجتماعين طويلين في الصباح وبعد الظهر ، بحثت خلالهما المقترحات المشتركة التي تقدمت بها الوفود الانـكليزية والاميركية والكندية .

ثم تلقيت يوم السبت دعوة برقية من لجنة الاتحاد اللبناني في مكسيكو تعبّر عن شوق اخواننا للاجتماع باول ممثل للبنان في الخارج . غلبتني الحيرة . فوقتي قصير ولا استطيع ان اتغيب طويلاً عن مقر عملي . لكنني لا اجهل أهمية جاليتنا في المكسيك ، ولا المساعدة التي تقدر ان تقدمها لتعمير لبنان بعدما اصبح مستقلاً . ثم عندما كنت لا أزال في لندن اتصلت بصورة غير رسمية بسفارة المكسيك لحملها على الاعتراف بلبنان . وقد لا تخلو رحلتي من فائدة من هذه الناحية .

قررت الا اعطي أي جواب قبل ان ينهي المؤتمر أعماله

وعقد في الساعة التاسعة والنصف من صباح الأحد اجتماع ضم ممثلي اميركا اللاتينية وممثلي بلدان الشرق الاوسط غايته تحديد عدد الاعضاء الذين ينبغي ان يمثلوا كلاً من هذين القطاعين في اللجنة المؤقتة . تقرر أن يمثل اميركا اللاتينية سبعة أعضاء وان يمثل الشرق الأوسط ثلاثة .

ان هذا الحل سيرغم الوفود الأخرى على القبول به لانه يرفع عدد المقترعين لمصلحته إلى ٢٦ وهو نصف أصوات المقترعين .

وحدثت يوم الاثنين مناقشة رائعة في اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة التنفيذية اذ تجلى الخلاف الاميركي البريطاني بأحد مظاهره. وقد كان البحث دائراً حول توزيع المواصلات على الطرقات الدولية بين الدول صاحبة العلاقة .

وبعبارة أخرى ان الحرية الخامسة تجسدت بشكل اقتراح اميركي . وهي تنص على السماح للطائرات التي تجوب الطرقات الدولية بحرية نقل المسافرين والبضائع من اية نقطة كانت وبصرف النظر عن جنسية المسافرين والبضائع وعن اتجاههم .

كان بوسع الاميركيين ان يستخدموا ، فوراً ، أكبر عدد من الطائرات وان يحتكروا بالواقع النقليات الجوية ، لذلك كانوا يسعون لاقرار الحرية الخامسة . أما الانكليز فكانوا يرغبون في تحديد مدى هذه الحرية بنسبة كبيرة .

ان النظرية الانكليزية تسمح بأن يُحتفظ للطيران المحلي ، في كل دولة من الدول ذات العلاقة ، بالانتفاع من النقليات الداخلية ومن النقليات بين الاقطار المجاورة .

دارت المناقشات عنيفة وطويلة دون جدوى . فان كلاً من المتناظرين كان يتمسك بنظريته ويخشى الاخفاق في حالة طرحها على التصويت . الا ان رئيس الوفد الكندي تدخل وعرض اقتراحاً وسطاً : ان ما اتفق على تسميته بالحرية الجوية الخامسة لا يقر على علاته من قبل المؤتمر ، ولكنه يكون موضوع اتفاقات خاصة ثنائية او اجماعية بين الدول التي ترغب في عقد مثل هذه الاتفاقات .

وعقدت جلسة أخرى بعد الظهر دون ان يطرأ على موقف الفريقين أي تعديل .

ثم عقدت يوم الثلاثاء جلستان لم تؤديا إلى أي تعديل في موقف كل من بريطانيا واميركا. هنالك بعض الدلائل على ان الاقتراح الكندي آخذ بالتقدم. واستمرت المناقشات حتى يوم الخميس حيث تمت تسوية بين وجهة النظر الاميركية ووجهة النظر الانكليزية ارضت الفريقين جزئياً ونصت على ان الحريات الجوية الخمس تكون موضوع بروتوكولات خاصة بدلاً من ان توضع في صلب الميثاق ، بمعنى أن كل دولة تنضم إلى الميثاق لا تكون ملزمة بالانضمام إلى البروتوكولات .

ان اتجاهات الدول الممثلة في المؤتمر هي بوجه عام : الولايات المتحدة وعدد كبير من دول اميركا اللاتينية توقع الميثاق والبروتوكولات . بريطانيا ودول

الاتحاد البريطاني والبلدان الواقعة تحت النفوذ البريطاني توقع الميثاق ولا توقع البروتوكولات . أما البلدان الاخرى فلم تقرر موقفها بعد .

والميثاق الذي سيسفر عنه المؤتمر قريباً يمكن اختصاره بما يأتي :

١ – ايجاد مؤسسة دولية ذات صلاحية محض استشارية تعمل على احصاء النقليات واتجاهاتها الكبرى وترسم الخطط لعقد اتفاقات لاحقة .

٢ – وضع قواعد فنية تتعهد الدول الموقعة باحترامها .

ويوم الجمعة وضعت النصوص ، بهمة وسرعة ، لجنة النصوص الفرعية على ضوء المناقشات الحديثة . والبروتوكولات تشمل وحدها الحريات الجوية الخمس ، أي أهم ما وصلت اليه أعمال المؤتمر . وهي بادرة غريبة وصفها ممثل كندا بقوله: « اخشى ان يكون الميثاق تابعاً للبروتوكولات لا البروتوكولات تابعة للميثاق . »

كان يبدو ، هذا الصباح ، ان المؤتمر سينهي أعماله يوم الاحد الواقع فيه الثالث من الشهر الجاري ، وان توقيع الميثاق والبروتوكولات يتم في النهار نفسه. ولكن حدث بعد الظهر ان لاغواردیا ، حاكم نيويورك ، تدخل بصفته نائب رئيس الوفد الاميركي محاولاً لآخر مرة تقريب وجهات النظر . وبعدما تحدث عن الاتحاد التام بين المقاتلين الذين يجودون بدمائهم في ساحات الوغى في سبيل القضية المشتركة ، الح على انه ينبغي الا يفرق أي خلاف بين الامم بعد اليوم . ثم ختم كلامه قائلاً : اذا كان يستحيل مؤقتاً ادخال الحريات الجوية فأنه يأمل ان يشتمل الميثاق على الحريات الاربع التي كانت المقترحات الانكليزية والاميركية والكندية تتضمنها .

وهذا التدخل اتاح للوفد الهولندي تقديم اقتراح يرمي الى ادخال الحريتين الاولى والثانية في صلب الميثاق ، أي التحليق فوق أراضي دولة أخرى ،

والهبوط الاضطراري .

وبذلك بلغت أعمال المؤتمر المرحلة الختامية . فاللجان كانت عاطلة عن العمل بينما كانت لجنة النصوص الفرعية تضع النصوص الجديدة .

وعند الظهر تلقيت برقية من وزارة الخارجية توافقني على اتّباع سياسة تعاون أوثق مع الولايات المتحدة ، مع ابداء جانب الحذر موقتاً .

وفي الساعة السابعة اقام اتحاد النوادي اللبنانية ـ السورية حفلة عشاء لمناسبة تقديم سيارة الاسعاف من قبل النوادي الى الصليب الاحمر الاميركي . حضر الاميرال « دون » الحفلة باسم حكومة الولايات المتحدة . خطب كثيرون وكنت من جملة الخطباء .

أما المؤتمر فقد انهى أعماله يوم الاثنين بالموافقة على الميثاق وعلى ثلاثة بروتوكولات .

وبعد ذلك اجتمعت الى السيد « ا . برل » رئيس الوفد الاميركي الذي سألني رأيي بالنصوص الجديدة التي صدّقت وعما اذا كنت أنوي توقيع الميثاق وحده أو توقيعه مع البروتوكولات . وشدد « ا. برل » ، على أهمية العلاقات التي يمكن ان تنشأ بعد الحرب بين الولايات المتحدة والشرق الاوسط . اجبته انه لا بد لي من الرجوع الى حكومتي بصدد هذا الموضوع ، ولذلك فلن اتمكن من توقيع أية وثيقة في شيكاغو بل في واشنطن .

وتركت شيكاغو ظهر الاربعاء منقبض الصدر . ان اقامتي خمسة اسابيع في هذه المدينة ، عودتني الاستئناس بشوارعها السوداء وحيويتها الخارقة وواجهتها المطلة على البحيرة .

وصلنا نيويورك بعد توقف الطائرة في « ديترويت » و « بيفالو » عند الساعة

الثامنة مساءً . كان بانتظاري في المطار كثيرون من الاصدقاء اللبنانيين . ان هذا الاجتماع الاول بممثلي جاليتنا اللبنانية دام حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

واستقبلت بعد عودتي عدداً متزايداً من أركان الجالية اللبنانية في نيويورك وبروكلن . لا يمكنني، بعد، تكوين فكرة نهائية عن العناصر التي تتألف منها هذه الجالية . لكنني استطيع ان استخلص من المحادثات الاولى الانطباعات التالية :

١ – غالبية المغتربين تجهل تقريباً كل شيء عن لبنان . فهم يعتقدون أنهم قد تطوروا وحدهم وان لبنان لا يزال كما تركوه منذ ثلاثين أو اربعين سنة . وهناك قلة من الجيل القديم زارت الوطن . أما الجيل الجديد فقد فقد كل علاقة « بالوطن القديم » .

٢ – المغترب اللبناني – واعني هنا أهل الجيل القديم – بقي وطنياً ممتازاً . ان تأثراته عفوية ومخلصة ، وهو فخور على وجه العموم باستقلال لبنان وبكونه صار يشترك في المؤتمرات الدولية .

٣ – الجالية منقسمة على نفسها . الى هنا اكثر من أي مكان آخر ، حمل اللبنانيون معهم جميع الخلافات التي كانت تفرق بينهم في لبنان : الا ان هذه الخصومات لا تمس ، على رغم عنفها احياناً ، الا السطحيات ، ولا تمنعهم البتة من توحيد جهودهم كلما حدث ما يمس بمصلحة لبنان العامة .

تلقيت من وزارة الخارجية يوم السبت برقية تطلب اليّ ان أوقع الميثاق والبروتوكولات مع الاحتفاظ بحق مراجعة الحكومة .

اني افهم سبب تروّي الحكومة . فهو يصور الوضعية الدقيقة التي رأت فيها السياسة اللبنانية نفسها ، وعلى حين غرة ، وسط خلاف قائم بين بلدين صديقين:

الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .

لم يقتصر الخلاف على شؤون الطيران المدني بل تعداها اخيراً الى السياسة الاوروبية . وهكذا فان الرأي العام الاميركي ناقم على التدخل الانكليزي في ايطاليا واليونان . والصحافة باجمعها تقريباً تخص بريطانيا بتعليقات مرة وساخرة .

ماذا تخفي هذه الانتقادات الموجهة بصورة دائمة ضد البريطانيين ؟ ان الاميركيين يعتقدون تمام الاعتقاد بانهم وحدهم قادرون على ربح الحرب . ويغيظهم من السياسة البريطانية مبادرتها الى ما لم يفكروا فيه هم من شؤون .

وتركت نيويورك هذا المساء عند الساعة العاشرة الى « فول ريفر » . المسافة التي تفصل بينهما هي ٣٥٠ كيلو متراً . قدم لي الوجيه اللبناني توفيق عطاالله من سكان « اورنج » – نيوجرسي سيارته للقيام بهذه الرحلة .

وبعد رحلة دامت ساعات في ليل قارس البرد وصلنا الى « سبرنجفيلد » فجر الاحد . كان بانتظارنا كاهن ماروني هو الاب ميشال صعب ، الذي اعد لنا طعاماً سخناً ، كنا بأشد الحاجة اليه . في الساعة الثامنة صباحاً تابعنا سيرنا باتجاه « فلارفير » .

في هذا الوسط الذي يضم مائة واربعين الفاً من السكان ، يعيش ما يقرب من اربعة آلاف لبناني . استقبلتني جماهير تهذي فرحاً . كانت الموسيقى تصدح في المقدمة والصبايا يرقصن مرتديات لباس العيد ، والسيارات من ورائنا تسير سيرها الوئيد في سرب طويل غير منقطع .

توقفنا حوالي الساعة الحادية عشرة أمام الكنيسة حيث استقبلنا من جديد كاهن ماروني هو الاب يوسف عيد مع رعيته . جرت حفلة القداس وفقاً للطقس

الماروني. ساد الزي اللبناني الكنيسة حتى خلت نفسي في احدى كنائس قرية من قرى جبلنا . ان لبنان موجود بكل بساطته في « فلارفير» . وليس بحاجة الى ايضاح أو تعليق لانه مطبوع على وجوه وفي قلوب جميع الشيوخ والعجائز الذين يرمقونني بنظراتهم والدموع في اعينهم .

حاولت عبثاً ان آخذ شيئاً من الراحة في بيت السادة الهنود . فقد اضطررت الى التحدث الى بعض الوفود القادمة من المدن المجاورة .

ثم تعاقبت الحفلات والمآدب حتى الساعة العاشرة ليلاً ، وكان عدد المدعوين خمسماية .

لم يكن من السهل وداع هذه الجماهير . فبين مصافحة الايدي وتوزيع توقيعي للتذكار قضيت ما يقرب من ساعة قبل ان أبلغ السيارة .

مر عليّ اربع وعشرون ساعة لم اذق خلالها طعم النوم . وها نحن من جديد على الطريق الطويلة اللامتناهية . ولم نبلغ نيويورك الا عند الساعة الخامسة صباحا حيث عكفت على اعداد تقريري الشهري عن تشرين الثاني لارساله الى الحكومة ، وهو عرض لاهم القضايا التي اثيرت في مؤتمر شيكاغو . وها انا أعود ، بالرغم من مشاغلي الاجتماعية المتعددة ، الى جمع عناصر تقريري عن كانون الاول.

تناولت العشاء في بروكلن على مائدة الشاعر المعروف ايليا ابو ماضي .

ان الضيافة اللبنانية لا تفقد طابعها ابداً . لقد كان عدد المدعوين كبيراً وكانت المائدة سخية بالمشروبات والمآكل المتنوعة . والقى ايليا ابو ماضي بعض قصائده الخالدة .

ويوم الثلاثاء ١٢ ك ١ تناولت طعام الغداء مع فرنسيس كتانه واحد اعضاء

مجلس الشيوخ الأميركي في الطابق الثاني والستين من مؤسسة روكفلر . وابلغني عضو مجلس الشيوخ ان وزارة الخارجية في واشنطن غير مستعدة لاستجابة طلب الهيئة الصهيونية المتعلق بهجرة اليهود الى فلسطين . لكنه لا يملك أية معلومات عن المشكلة الفرنسية ـ اللبنانية ـ السورية .

اما صباح الاربعاء فقد قضيته في شراء بعض الحاجات قبل عودتي الى واشنطن .

وفي المساء أقام سلوم مكرزل على شرفي مأدبة عشاء كبيرة اشتركت فيها عدة شخصيات من الجالية اللبنانية . ان سلوم مكرزل ، المقيم في نيويورك منذ أربعين سنة وقد خلف شقيقه على رأس الهدى ، اكتسب نفوذاً لا مثيل له في اوساط الجاليات اللبنانية في الاميركتين.

ربما كان حكمه على الامور يتأثر الى حد ما بالاعتبارات الخاصة . ولكن وطنيته صافية ، وفي مقدوره ان يفيد لبنان والمهاجرين كثيراً .

ودعت نيويورك يوم الخميس . وطوال الطريق الى واشنطن كنت اشعر بالعظمة الصناعية الهائلة نفسها التي شعرت بها في شيكاغو . ما عسى ان يحل بكل هذه المصانع بعد الحرب؟ هل ستوجد أسواق عالمية كافية لاستيعاب منتوجاتها، ام نحن مقبلون على ازمة زيادة في الانتاج تعادل بخطورتها أزمة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ؟

تقول بعض المعلومات ان حكومة الولايات المتحدة، وهي تعي هذا الخطر، تدرس منذ الآن الوسائل التي تستطيع ان تعتمدها لتلافي الازمة التي قد تهدد الاقتصاد الاميركي بكارثة .

وصلت الى واشنطن بعد أربع ساعات قضيتها في السكة الحديدية وكنت

مرهقاً . لكني آمل ان اجد هنا راحة حقيقية .

بعد غياب عدة اسابيع تجدد يوم الجمعة الاتصال بوزارة الخارجية . فانبأني جورج بركات اللبناني المحتد والموظف في قسم التجارة الخارجية ان كوهلر ينتظر لقائي بفارغ الصبر ليطلعني على أخبار سارة عن لبنان .

كان استقبال موظفي وزارة الخارجية لطيفا جداً . قال لي كوهلر ان اخبار لندن سارة في الوقت الحاضر ، ويلوح ان الحكومة البريطانية قد تخلت عن الحاحها بما يتعلق بعقد معاهدة مع فرنسا .

الا ان الحكومة الفرنسية المؤقتة لم تكتفِ بالضغط على البريطانيين لكن نشاطها امتد الى الولايات المتحدة فارسلت الى وزارة الخارجية الاميركية بتاريخ ١٨ ايلول سنة ١٩٤٤ مذكرة تطلب فيها من الحكومة الاميركية الا تعترف باستقلال لبنان وسوريا الا بعد الاعتراف بمركز ممتاز لفرنسا في هذين البلدين .

اما الحجج التي تضمنتها المذكرة الفرنسية فهي الآتية :

١ — ان اعلان الاستقلال من قبل الجنرال كاترو بتاريخ حزيران سنة ١٩٤١ والذي وافقت عليه حكومة الولايات المتحدة يتضمن تحفظات متعلقة بالمعاهدات التي تعقد بين هذين البلدين وفرنسا . وهذه الموافقة تقيد حكومة الولايات المتحدة .

٢ — بما ان الانتداب لم ينتهِ بعد من الوجهة القانونية فلا يمكن ان يوضع له حد الا باقامة نظام معاهدة .

اما جواب وزارة الخارجية المؤرخ في ٥ تشرين الثاني فقد دحض جميع

الحجج الفرنسية . ففيما يتعلق بالنقطة الأولى اعلن ان حكومة الولايات المتحدة، وقد بقيت فترة من الزمن في موقف المراقب ، اضطرت ، في الوقت الذي تمتع فيه لبنان وسوريا بكل معالم الاستقلال والسيادة ، ان تعترف صراحة بهذين الاستقلال والسيادة .

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية فهو يصفها بانها ساقطة وغير مجدية عملياً .

عقد اجتماع بعد ظهر اليوم في وزارة الخارجية حضره كل من : ولاس موري ، مدير شؤون الشرق الادنى وافريقيا ، بول ألنج معاونه ، جوردن ميريم ، كوهلر ، هير وأنا . استمر الاجتماع اكثر من ساعة بحثت فيه المشكلة الفرنسية – اللبنانية – السورية على ضوء المعلومات الأخيرة .

وبدا من المحادثات ان موقف حكومة الولايات المتحدة هو الآتي :

١ — ان حكومة الولايات المتحدة لا يمكن ان تقبل باية معاهدة تعترف بمراكز ممتازة لأية دولة من الدول لا يُعترف بمثلها للولايات المتحدة . وهي تعتبر ان لبنان مقيد بتصريح حكومته المعلن عن احترامها للتعهدات التي عقدت باسمه سنة ١٩٢٤ .

٢ — ان حكومة الولايات المتحدة تكون سعيدة اذا امتد مفعول أي عرض مقابل ، يحتمل ان يعرضه لبنان على فرنسا ، الى الأمم الأخرى والى الولايات المتحدة على الاخص، لا سيما فيما يتعلق بالاتفاقات التي يمكن ان تحل محل اتفاقات سنة ١٩٢٤ المعمول بها الآن . وهي ترد مشروع الاتفاق الثقافي مع فرنسا باعتباره غير مقبول .

٣ — ان حكومة الولايات المتحدة ستساندنا ، اذا ارتكبت فرنسا خطأ كأن تعمد الى استعادة مركزها الممتاز في الحقول السياسية والاقتصادية ،وذلك

بأن تتخذ مختلف وسائل الضغط ، ما عدا ارسال الجيوش ، لتمنع فرنسا من تحقيق هدفها .

٤ – وبالنظر الى كل ما تقدم فان على الحكومتين اللبنانية والسورية ان تحافظا باهتمام على بقائهما في افضل وضع ممكن ، بمعنى ان تضمنا ، دائماً ، مساندة الرأي العام الدولي . واذا عرض عليهما أي مشروع اتفاق فينبغي الا تكتفيا برفضه بل ان تتقدما بمشروع مقابل يكون متفقاً مع مصلحتهما وسيادتهما . وكل مشروع يتضمن الاعتراف بمركز ممتاز ، لا يتفق وسيادة لبنان وسورية .

ان عدم موافقة وزارة الخارجية على رفض العروض رفضاً باتاً مستوحى من الاهتمام بتسهيل التوصل الى الحل الممكن ، ومن الرغبة في الحيلولة دون ادعاء فرنسا أمام الرأي العام العالمي باننا قابلنا الحلول البناءة بالرفض . وهذا لا يعني ان الولايات المتحدة قد عدلت موقفاً اتخذته منذ حوادث ١٩٤٣ . لكن اعترافها الاخير باستقلال لبنان وسورية دون تحفظ قد اكد موقفها ووثّقه .

قابلت من جديد ، صباح السبت ، السيد كوهلر الذي أطلعني على خبر نقل الجنرال السر ادوارد سبيرس وتعيين المستر شون مكانه . لكنه يظن ان هذه البادرة لا تعني مطلقاً أي تبدل في السياسة البريطانية . أظهر كوهلر ارتياحاً لنتائج محادثات أمس ، وأبلغني ان موعداً سيحدد لي الاثنين أو الثلاثاء القادم للاجتماع بوزير الخارجية الجديد المستر ستاتينيوس .

تناولنا طعام الغداء في « الستتلر » بصحبة فيليب ايرلند ، ووليم يال ، وكمبل ، وجورج بركات . دار الحديث حول المواضيع نفسها : لبنان وسورية وفلسطين .

ثم وقّعت بعد الظهر ميثاق الطيران المدني والبروتوكولات وفقاً للتعليمات التي وردتني من الحكومة .

أما يوم الاحد ١٧ ك ١ فقضيته في بوسطن أزور ابناء الجالية اللبنانية – السورية فيها .

تستغرق المسافة بين نيويورك وبوسطن نحو ثلاث ساعات وفقاً لسرعة الطائرة .

الجالية اللبنانية – السورية فيها كثيرة العدد وتبلغ ثمانية آلاف تقريباً. لقد لقيت منها الحفاوة والحماسة نفسهما وسمعت الخطب نفسها وأقيمت لي المآدب السخية نفسها التي تعودتها من المغتربين في كل مكان . ولكن لم يتيسر لي ان ازور المدينة ولا جامعة هارفرد وهي من أعظم جامعات الولايات المتحدة . فبوسطن ليست وسطاً ثقافياً ممتازاً وحسب بل هي وسط محافظ متمسك بالتقاليد الانكليزية الصافية .

لكن يوم الاثنين حفل بالاعمال . قمت في الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين بزيارة السفارة البريطانية لاتمام المعاملات المتعلقة بجواز سفري .

وزرت عند الساعة الحادية عشرة مع السيد فرنسيس كتانة ، عضو مجلس الشيوخ ورئيس اللجنة الخارجية فيه ، المستر توم كونالي وأجريت معه محادثات دامت نصف ساعة وتناولت قضايا لبنان وسورية وفلسطين .

بحثت عند الظهر ، مع مورغن ، أحد موظفي وزارة الطيران المدني ، احتمال ادخال بيروت في عداد محطات الخطوط الجوية الاميركية الهامة .

تناولت الغداء برفقة « كوهلر » والماجور « سنيدر » ، الملحق بمكتب الاستعلامات السرية في مقر القيادة العامة للجيش الاميركي .

وفي الساعة الثالثة القيت محاضرة عن مشاكل الشرق الأوسط وقضية

فلسطين . كان « سنيدر » قد هيأ هذا الاجتماع في مكاتب مقر قيادة الجيش العامة . وكان الحضور ، ومعظمهم من رؤساء مصالح الاستعلامات السرية ، في غاية اللطف . يُستنتج من المناقشات التي تلت المحاضرة ما يأتي :

١ — يؤلف الشرق الادنى ، ولا سيما لبنان وسورية وفلسطين، موضوع اهتمام متزايد من قبل الأوساط الأميركية الرسمية .

٢ — ينبغي استرضاء الرأي العام العربي فيما يتعلق بفلسطين كما ينبغي عدم تشجيع الهجرة اليهودية خاصة وان الحرب لم تنته بعد .

٣ — يجب ان يكون للبلدان العربية مصلحة دعاية قادرة على تزويد الرأي العام الاميركي بالأنباء باستمرار ، لانه بطيء الانفعال وهو يجهل كل شيء عن القضية الفلسطينية .

٤ — يأسف العسكريون لكون الديبلوماسية الاميركية غير متقدمة كفاية، ولكونها لم تتمكن من انتهاج خطة تعميرية حتى الآن .

وصرفت صباح الثلاثاء في جمع المذكرات المتعلقة بشتى المواضيع التي شغلتني منذ وصولي الى واشنطن .

وفي الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين استقبلني وزير الخارجية المستر ستاتينيوس . لقد تناول الحديث ، بالاضافة الى قضايا لبنان وسورية وفلسطين، الجامعة الاميركية ونفوذها في لبنان والعالم العربي، وضرورة احتفاظ السياسة الاميركية بمستوى تقاليدها .

ان المستر ستاتينيوس ، وقد تسلم ملخصاً عن المحادثات التي أجريتها مع الاختصاصيين من موظفي وزارته ، كرر اهتمامه التام بقضيتنا .

انبأني « كوهلر » ان وزارة الخارجية الاميركية اتصلت ، وفقاً لطلبي ، بالحكومة المكسيكية راغبة اليها الاعتراف باستقلال لبنان وسورية اعترافاً يتفق في شكله واعتراف الولايات المتحدة .

غداً تقلني الطائرة الى بريطانيا .

لكن الطقس لم يكن في اليوم التالي مؤاتياً، فلم تتمكن طائرتي من التحليق. ويحتمل ان تسبب رداءة الطقس تأخيراً طويلاً. فالطائرات المعدة لنقل المسافرين المدنيين قليلة وأكثرها يُستخدم لنقل المعدات والعدد الصحية بسبب الهجوم الذي بدأه الالمان على الجبهة الاميركية .

والمناخ السياسي مضطرب ايضاً . ان تصريح الرئيس روزفلت حول ميثاق الاطلنطيك الذي يصفه بأنه ورقة بسيطة خالية من التوقيع لا قيمة رسمية لها ، وموقف الحكومة البريطانية من المشكلة البولونية، خيبا الرأي العام الجمهوري والديمقراطي .

ان الصحافة ومحطات الاذاعة والاميركي الوسط ، يدافعون بقوة عن ميثاق الاطلنطيك ، ويذكرون بتصريحات سابقة لروزفلت تؤكد ان هذا الميثاق بروحه وبنصه هو الذي سيسيطر في عالم ما بعد الحرب .

خابرت المطار تلفونياً صباح الجمعة فلم أتلقَّ أي جواب دقيق عن موعد الرحيل . كل الأولويات ، الا ما يتعلق منها بالضرورات الحربية ، قد الغيت .

لقد استفدت من هذه الراحة الجبرية للاسراع في تنظيم تقريري عن الحالة السياسية في الولايات المتحدة ، وعن انشاء مفوضيتنا في واشنطن ، وعن حالة مغتربينا .

هذا ، ونشرت الصحف يوم السبت تصريحـات جديدة للرئيس روزفلت تتعلق بميثاق الاطلنطيك ، وهي ترمي الى تطويق رد الفعل السيء الذي أحدثه تصريحه الأول لدى الرأي العام الاميركي .

يشبِّه الرئيس روزفلت ، هذه المرة ، ميثـاق الاطلنطيك بالوصايا العشر التي تتألف منها المبادىء التوجيهية في حياة الشعوب من الوجهتين الاخلاقيـة والاجتماعية ، والتي يتجاهلها البشر غالبـاً . ويشبّه ايضاً الميثاق بنقاط ويلسن الاربع عشرة .

لكن التصريحات الجديدة اثارت انتقادات حادة بدلاً من ان تهدىء الحالة .

وأخيراً حل الفرج . فانبأني قائد المطار بوجوب الاستعداد للسفر في الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين .

تركنا واشنطن عند الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين باتجاه نيويورك فجزر « البرمود » حيث يبدو المناخ دافئاً بالنسبة الى الولايات المتحدة بعدمـا أخذ البرد يشتد فيها .

لبنان.. والرأي العام البريطاني

الاحد ٢٤ كانون الاول ١٩٤٤

بعد تحليق دام ثلاث عشرة ساعة ، بين السماء والماء ، بلغنا جزر (اسور) حيث توقفنا قليلاً وعدنا الى التحليق باتجاه بريطانيا العظمى . لكن الحالة الجوية المضطربة في القسم الجنوبي من انكلترا اوجبت علينا الهبوط في « برستفيك » في اسكوتلندا بعد ظهر الاثنين .

ولم يطرأ أيّ تغيير على برستفيك مذ تركتها منذ شهرين ، الا ان البرد فيها اشد والسماء اكثر تلبداً بالغيوم . ابلغنا ان طائرة ستقلنا عند الساعة العاشرة الى لندن اذا كانت الحالة الجوية مؤاتية . لكن الحالة الجوية لم تتحسن . لذلك، قطعت الامل من تمضية ولو قسم من يوم الميلاد على الأقل مع عائلتي . بل قضي عليّ ان اظل في نزل « برستفيك » الصغير الذي يعتبر أيضاً نادياً عسكرياً .

ولم نستقل قطار الليل الا عند الساعة العاشرة باتجاه لندن ، فوصلتها صباح الثلاثاء حيث استقبلتني زوجتي وموظفو المفوضية على المحطة .

وكانت المفوضية قد تمكنت اثناء غيابي في الولايات المتحدة من التمركز في مسكن اللادي « نورمان » في « وستمنستر » . ان هذا المسكن اكبر من ان يصلح داراً لعائلة واصغر من ان يصلح مقراً لمفوضية . الاثاث قديم ، عريق في

القدم ، فيه من كل فن لون. فنحن من هذه الناحية نقيم وكأننا في أحد المتاحف الى حد ما . أما وهذا المسكن هو الوحيد المتوافر فلا بد من القبول به دون تحفظ أو تذمر .

كان أول عمل قمت به هو الاجتماع بالجنرال سبيرس الذي عاد من بيروت . ان اقصاءه المؤقت لم يؤثر في حيويته أو حزمه . لكنه رسم لنفسه خطة للعمل. تبدأ بتأليف لجنة مختلطة يشترك فيها جميع الممثلين الدبلوماسيين للدول العربية ، وشخصيات سياسية بريطانية كبيرة . لأن قيام مثل هذه اللجنة يساعد في الاوساط السياسية ولا سيما داخل البرلمان نفسه على ايجاد رأي عام مؤات لمصلحة لبنان وسورية .

عقدت مع معاونيَّ اجتماعاً أولياً يوم الاربعاء . ونظراً لكون العمل في المفوضية لم يبدأ رسمياً فان اتصالاتهم بالاوساط السياسية في لندن لم تتجاوز حدود الاتصالات الخاصة . على ان التقارير التي وضعت عنها بدت لي مشجعة جداً .

ان اوراق اعتمادي ، التي كان ينبغي ان تسبقني في ايلول ، لم تصل إلا منذ ايام . فارسلت نسخة عنها مرفقة بالكتاب التقليدي الى وزارة الخارجية البريطانية .

اودعت البريد صباح الخميس تقريري الى الحكومة اللبنانية عن الحالة السياسية في الولايات المتحدة ، وعن حالة المغتربين ، وعن انشاء مفوضية في واشنطن .

واخبرني فيكتور خوري ، مستشار المفوضية ، بعد الظهر ، وقد تناول طعام الغداء مع روبن هانكي ، أحد موظفي وزارة الخارجية البريطانية ، ان اقامتي الطويلة في الولايات المتحدة اثارت شكوك هذه الوزارة . لم اعلّق على الخبر اية أهمية .

ويوم الجمعة تناولت طعام الغداء مع زوجتي في « كليفدن » على مائدة اللادي استور . انها وابنها عضوان في البرلمان وزوجها عضو في مجلس اللوردات .

تتحدر اللادي استور من أصل اميركي لذلك أرادت ان تقف على الحالة الفكرية السائدة حالياً في الولايات المتحدة ، وعلى الحملة التي يشنها الرأي العام الاميركي على بريطانيا العظمى . أما فيما يتعلق بقضايانا الشرقية فانها وابنها صديقان للبنان ولسورية ولعرب فلسطين .

تعرفت لأول مرة بعد عودتي من « كليفدن » الى الضباب في لندن . كل الحكايات التي سمعتها في الماضي عن الضباب في لندن ليست الا ظلاً نحيلاً لهذه الحقيقة الكثيفة . الانكليز يسمونه « بي سوب » او حساء البازيلاّ ، بسبب كثافته الخارقة .

ينبغي ان يكون سائقو السيارات من ابرع الأشخاص ليتمكنوا من السير في هذا الليل من الضباب الداكن الكثيف. لقد تواضع الناس على القول ان الانكليز اكتسبوا حاسة سادسة هي حاسة التوجه بالسليقة . ومن أجل ذلك فهم يبرعون في مهنة البحارين والطيارين ، ويحلّتون في الأعمال المالية .

وفي اليوم التالي تلقيت ، لمناسبة السنة الجديدة ، برقيات عدة من بيروت ، خلفت عندي حنيناً الى لبنان .

كما زارني الجنرال سبيرس في الصباح واخبرني ان مشروعه يتقدم وهو يرجو ان يحمل اليّ بشائر النتائج العملية في الخمسة عشر يوماً القادمة .

استقبلت ، يوم الاحد ، ج . لورنس ، الموظف في وزارة الخارجية البريطانية ، و « نانسي موريس » التي كانت امينة سر الجنرال سبيرس عندما كان في بيروت والتي لا تزال امينة سره في لندن .

اخبرتني نانسي موريس – وكانت قد اطلعت على الحكاية بواسطة أحد موظفي مكتب الاستعلامات الحربية في واشنطن – ان الجنرال ديغول حاول اثناء زيارته لموسكو ان يوطد حقوق فرنسا في لبنان وسورية . لكن مساعيه لم تصادف اذناً واعية لأن موسكو احبت ان تظل منطقية مع نفسها ومع السياسة الحديثة التي اتبعتها نحو هذين البلدين .

يوم الاثنين اول كانون الثاني سنة ١٩٤٥ هو رأس السنة الميلادية .

اتشحت لندن من جديد ، لمناسبة مطلع السنة ، برداء الضباب .

هذا ، وحمل اليّ بريد وزارة الخارجية اللبنانية أوراق اعتمادي لدى حكومتي البلجيك وبولونيا . يمكن حل مشكلة تقديم أوراق الاعتماد الى الحكومة البلجيكية عند الاقتضاء بالرغم من وجود ملك ووصي على العرش فيها . لكن ما العمل فيما يتعلق ببولونيا ؟

الحوادث تتطور ، في عصر السرعة ، تطوراً يفوق سرعة اتصال الحكومة اللبنانية بوزيرها في لندن . فلجنة « لوبلان » فرغت الآن من تأليف الحكومة البولونية الجديدة . ومن المؤكد ان حكومة الاتحاد السوفياتي ستعترف بها . اما أوراق اعتمادي فموجهة الى الحكومة البولونية الموجودة في لندن والمعترف بها من قبل الحكومة البريطانية والتي لن تتمتع على الاغلب باية سلطة في بولونيا نفسها .

الحكمة تقضي اذاً بالا احرّك ساكناً الآن وبأن اخابر حكومتي بانتظار ما سيسفر عنه تطور القضية البولونية بالنهاية .

استقبلت عند الساعة السادسة الجنرال سبيرس و « رندم سميث » وناقشنا اجدى وسائل الدعاية الممكنة لعرض وجهات النظر اللبنانية على الرأي العام

البريطاني .

وما ان حلت الساعة التاسعة من صباح الاربعاء حتى سقطت قنبلة صاروخية قرب المفوضية فاهتزت جنبات المسكن ونوافذه بعنف . لقد غدت القنابل الصاروخية والقنابل الطائرة غذاء اللندنيين اليومي منذ زمن ، وبات اللندنيون لا يبالون بها ، بل يكتفون بجمع موتاهم اذا احدث سقوطها خسائر بالارواح .

ليس لي ولزوجتي غيرهمّ واحد : وجود أولادنا في لندن ، مما اقض مضجعي ليالي طويلة .

ويوم الخميس نشرت « النيوز كرونيكل » تصريحاً للسر ادوارد غريك ، وزير الدولة البريطاني الجديد في القاهرة . وبالرغم من ان الغاية من هذا التصريح هي الحالة في فلسطين فان وزير الدولة قد اشار ، عرضاً ، الى لبنان وسورية فقال بالحرف الواحد : « على الرغم من ان فرنسا قد اعترفت باستقلال لبنان وسورية فان مسؤولياتها بصفتها دولة منتدبة لا تزال قائمة حتى الآن ولا بد من انهائها بشكل شرعي . » واضاف السر ادوارد غريك قائلا : « ان هذا الشكل هو الشكل نفسه – وهنا ظهرت لي خطورة التشبيه – الذي يجعل من بريطانيا العظمى ، بصفتها دولة منتدبة ، مسؤولة أمام جامعة الامم . »

بعد قراءة هذه التصريحات ، رجوت فيكتور خوري ان يتوجه فوراً الى مقر وزارة الخارجية البريطانية للحصول على ايضاحات وعلى نسخة عن هذه التصريحات .

وبانتظار ذلك حاولت عبثاً ان اجد السبب الذي أراد من أجله وزير الدولة في القاهرة ان يحدد الوضع الشرعي في دول الشرق ، بهذا الشكل ، دون ان يضطره اليه احد .

لعل هنالك الآن ما يوجب على بريطانيا ان تتودد الى فرنسا . وامسكت عفواً أحد التقارير التي ارسلتها أخيراً الى الحكومة في بيروت حيث وردت هذه العبارة : « كيف تتطور هذه العاطفة في المستقبل ؟ اني أخشى على وضعنا من هذا القبيل — وهو أسوأ ما يمكن ان يحل بنا — ان يكون مرتبطاً بالسياسة الاوربية العامة . كلما اشتدت حاجة انكلترا الى فرنسا اشتد استعدادها للتنازل لها عن امتيازات في دولتي الشرق . »

وما كدنا ننتهي من تناول طعام العشاء هذا المساء حتى سقطت قنبلة صاروخية في « لمبث بريدج » على مقربة من المفوضية فاهتزت السقوف والجوانب والاثاث واشرعت نوافذ قاعة الطعام . وبعد نصف ساعة سقطت قنبلة أخرى في مكان أبعد . أما الأولاد ، وقد فوجئوا بادىء الأمر ، لم يلبثوا ان عاودهم الضحك وعدم الاكتراث . لقد تعمدوا بمعمودية النار .

ارسلت برقية مطولة يوم الجمعة الى الحكومة بصدد تصريحات السر ادوارد غريك والمصاعب الدولية التي تحول دون تقديم أوراق اعتمادي الى الحكومة البولونية .

وقضيت القسم الباقي من صباح اليوم أحقق في صحة التصريحات . فوزارة الخارجية البريطانية تؤكد ان ليس لديها نص غير النص الذي نشرته التيمس ، وانها لم تتلق أية معلومات مباشرة عن المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الدولة في القاهرة . أما النص الذي نشرته التيمس فانه لا يشتمل على المقطع المتعلق بلبنان وسورية وعلاقتها بفرنسا . وكذلك النص الذي نشرته الديلي تلغراف والمخابرة التي وصلت الى وكالة الانباء العربية .

جاء فريزر ستارك وجورج لورنس من موظفي وزارة الخارجية البريطانية ليتناولا الشاي معي . ان فريزر ستارك كاتبة معروفة متخصصة بالقضايا العربية

والشرقية . وقد قامت برحلات عديدة وهي تعرف عدداً كبيراً من شخصيات الشرق الأوسط . تفكيرها ، فيما يتعلق بمستقبل هذه البقعة الهامة، سليم . وهذا المستقبل يكون كما نريده اذا عرفت البلدان المختلفة التي يتألف منها الشرق الأوسط ان تنسق جهودها وتوحدها .

وعكفت ، صباح السبت ، على درس التقرير الكامل الذي رفعه الملحق التجاري في المفوضية ، السيد نديم دمشقية ، عن مستقبل العلاقات الاقتصادية والتجارية بين لبنان وبريطانيا العظمى وبين لبنان والبلدان العربية المجاورة . آمل ان تتفهم الحكومة بدورها أهمية العنصر الاقتصادي وان تعمل بما يتفق معه .

ثم استقبلت بروس لوكهارت الذي عاش في بيروت ثلاث سنوات . ولبروس لوكهارت شقيق يرئس مكتب الاستعلامات في وزارة الخارجية البريطانية ، وشقيقة هي « فريدا » بروس لوكهارت ، تحرر مجلة « تيم اندتيد » ، وقد وعد بروس لوكهارت بان يستقدمها الى المفوضية اللبنانية .

وفي المساء وردت انباء من بيروت تفيد ان أزمة سياسية أصبحت على الأبواب ، وان الحكومة ، وقد هوجمت من جميع النواحي بسبب سياستها الداخلية ، تتأهب لتقديم استقالتها . لذلك قضيت يوم الأحد بكامله في المفوضية اتسقط أخبار الوطن بعدما أوردت آخر الانباء ان وزارة رياض الصلح رفعت استقالتها الى رئيس الجمهورية .

وحفل يوم الاثنين بتطورات مفاجئة . فقد قيل ان اللجنة البرلمانية التابعة لحزب المحافظين المتخصصة بشؤون الشرق الاوسط أرسلت الى وزارة الخارجية البريطانية اقتراحاً يقضي بتوسيع منطقة نفوذ فرنسا حتى تشمل طرابلس الغرب تعويضاً لها عن استقلال لبنان وسورية استقلالاً تاماً. ويقال ان وزارة الخارجية

البريطانية لم تجب على هذا الاقتراح بالقبول او الرفض ، وان الأوساط الفرنسية في لندن استقبلته بتحفظ .

وبعد الظهر تناول نيو كمب الشاي معي . فهو يزخر ، كالعادة ، بالنوايا الصالحة .

فاستعرضنا الحالة في البلدان العربية بوجه عام وفي فلسطين ولبنان وسورية بوجه خاص . النتيجة هي انه لا مناص لوزارة الخارجية البريطانية من تحقيق مطالبها اذا أيدتها جميع البلدان العربية .

قمت بعد ظهر الثلاثاء بزيارتي الاولى للوزير المستر انطوني ايدن ، فكان استقباله وديّاً .

وعندما تناول الحديث القضية السياسية ، التي لم يمر بها إلا سريعاً ، قال لي بالحرف الواحد :

« ان الحكومة البريطانية قد اعترفت باستقلال لبنان وسورية وضمنت هذا الاستقلال . وهي لم تفكر قط في التراجع عن هذه الخطة . اريد فقط ان الفت نظرك الى نقطة واحدة . انكم أصدقاؤنا والفرنسيون ايضاً أصدقاؤنا . وسيكون ادعى بكثير لراحة وزير الخارجية ، الذي هو انا ، ان توفقوا الى ايجاد حل فيما بينكم للمسائل التي تفرقكم » .

فأجبت بلهجة مماثلة من البساطة :

– لا يطالب الفرنسيون بما نستطيع القبول به . انهم يريدون ان يفرضوا علينا معاهدة تضمن لهم مركزاً ممتازاً في بلاد الشرق .

فعاد المستر ايدن الى القول :

– لقد حددت لكم موقفنا . انا لا أطلب منكم ان تعقدوا معاهدة ، اذا كنتم لا ترغبون فيها . المهم هو إيجاد شكل ما للتفاهم : ايجاد « تسوية » .

فأدخلت هذه الكلمات بالفرنسية . قلت :

– ايجاد « تصفية » .

فأجاب المستر ايدن وهو يضحك :

– انك تتقن الفرنسية الى درجة انني لا اغامر باللحاق بك فيها . ولكن الا تجد ان كلمة « تصفية » قاسية جداً ؟

– في حين انها المخرج الطبيعي الوحيد .

ان وصول ملك يوغوسلافيا الملك بطرس لمقابلة رئيس الوزارة واضطرار وزير الخارجية لحضور هذه المقابلة وضع حداً لمحادثتنا . ولقد رافقني المستر ايدن بنفسه الى مكتب السر «جون مونك» حيث كان عليّ ان اتزود المعلومات اللازمة المتعلقة بزيارتي لقصر بيكنغهام ، وبزيارتي وزوجتي لجلالة الملكة .

أفادت الأنباء يوم الأربعاء ان الوزارة الجديدة في بيروت قد شكلت بعد أزمة استمرت اياماً . لقد عاد الى الحكم الاشخاص انفسهم الذين كانوا يتولونه باستثناء عدد قليل من الوزراء الجدد .

وعند الظهر قمت بزيارة الجنرال سبيرس وناقشت معه الحديث الذي جرى بيني وبين المستر ايدن . شعوره الصريح كشعوري شخصياً ، هو ان هنالك دلائل قاطعة على تحسن موقف وزارة الخارجية البريطانية . لكن الجرأة وحدها هي التي تنقص لبضع الدمل ولاعلان موقفها دفعة واحدة في تأييد استقلال لبنان وسورية استقلالاً تاماً .

وبانتظار ذلك هنالك قضيتان لا تزالان معلقتين ولا بد من البت بأمرهما بطريقة من الطرق :

١ - تسليم الدرك اللبناني والسوري السلاح الذي سبق ان طلبه والذي لم يتسلمه ، بعد ، بسبب معارضة الفرنسيين .

٢ - تسليم الحكومتين اللبنانية والسورية الجيوش الملقبة بالجيوش الخاصة والمؤلفة من عناصر محض لبنانية ومحض سورية والتي لم يعد يحق للفرنسيين ان يحتفظوا بقيادتها .

وتلقيت بعد ظهر الخميس ١١ كانون الثاني نبأ وفاة سليم تقلا الذي عاد الى تسلم وزارة الخارجية في الوزارة الجديدة . كانت الصدمة عنيفة . لقد كانت تربطني به صداقة وطيدة ، وجاهدنا سياسيا جنبا الى جنب سنوات طوالاً معرضين احيانا حريتنا وأحيانا حياتنا للخطر . سليم تقلا وجه كبير يتوارى . ولن يُسدّ قريبا الفراغ الذي يتركه على مسرح السياسة اللبنانية .

ان الجنرال سبيرس الذي التقيته عند الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم تلقى النبأ بكثير من الأسف . ثم أسرّ اليّ انه تحدث طويلاً الى المستر ايدن وقد دار الحديث كله حول مهمته في لبنان وسورية . وزيارته أكدت له شعوره السابق بوجود تحسن ملموس في موقف وزارة الخارجية البريطانية من قضايانا .

في حديث جرى بين المستر ايدن ووزير خارجية فرنسا قال هذا الأخير ان الحكومة الفرنسية لا تضمر أي مأرب خاص بلبنان وسورية . وجل ما تطلب هو الا تبدو ، عند جلائها ، انها ترحل دون تعويض أدبي على الاقل .

ان هذا التأكيد حري بالاعتبار ولو كانت الحقيقة ، كما أرى ، مغايرة

له تماماً .

واعلن المستر ايدن أيضاً ان وزارة الخارجية البريطانية كلفت منذ يومين وزيرها المفوض في باريس ان يعود من جديد لمطالبة السلطات الفرنسية بارسال الاسلحة اللازمة للدرك اللبناني والسوري .

ودعيت يوم الجمعة لالقاء محاضرة في « شاتم هوس » . كتب اليّ المكتب الملكي للقضايا الدولية هذا الصباح يؤكد لي الموعد : الجمعة في التاسع من شباط .

يلوح لي الموضوع رائعاً . وللدلالة على روعته يكفي مطالعة كيفية تحديده في كتاب المكتب الملكي : « الشرق الأوسط ، موقف لبنان في الشرق الأوسط ، ثم موقفه في منظمة مؤلفة من دول الشرق الأوسط المستقلة ، وفي منظمة دولية لأجل نشر السلام والنظام والرقي العام . »

قابلني « رندم سميث » أثر زيارة قام بها لوزارة الخارجية البريطانية . فهو يعتقد اننا نسير في الطريق السوي . ومع هذا فان الحل النهائي قد لا يكون قريباً ، ليس لأن وزارة الخارجية البريطانية لا تريده ، بل لأن الحالة الداخلية في فرنسا توجب شيئاً من المداراة والا فانها تضعف الحكومة الفرنسية الحاضرة كثيراً .

ان موقف هذه الوزارة ليس بالواقع متيناً . فالعناصر النازية والتعاونية وسائر العناصر المخاصمة للحكومة ، تبدي نشاطاً أكبر من أي وقت مضى . ويقال ان النازيين خلفوا وراءهم في باريس وحدها ما لا يقل عن الف وخمسماية عميل ، يتعب نشاطهم السلطات الى حد بعيد . وهنالك عملاء منتشرون في المقاطعات الفرنسية فضلاً عن ان قسماً من فرنسا لا يخضع حتى الآن لحكومة الجنرال ديغول .

أما أخبار بيروت فكانت يوم الاثنين ضئيلة .

أنباء الصحف غير الأكيدة ، تفيد ان هنري فرعون قد خلف المرحوم سليم تقلا في وزارة الخارجية .

وعند الظهر أقام القائم باعمال المفوضية العراقية مأدبة غداء على شرف الوفد العراقي الى مؤتمر الطيران المدني لمناسبة مروره في لندن .

وكان بين المدعوين : اللورد « سونتن » وزير الطيران ، ورئيس الوفد البريطاني الى هذا المؤتمر ، ورؤساء البعثات العربية والجنرال سبيرس .

كان اللورد « سونتن » يبدو منزعجاً الى حد ما لاعتقاده اني اعتنقت بداهة النظرية الاميركية ولا سيما فيما يتعلق بالحرية الخامسة من حريات الطيران . فاضطررت ان أوضح له انني ، وفقاً للتعليمات التي كنت قد تلقيتها من حكومتي ، لم أوقع البروتوكول المتعلق بهذه الحرية الخامسة الا مع الاحتفاظ بحق مراجعة حكومتي ، ولكن لبنان سيتبع بالنهاية ما تمليه عليه مصلحته الخاصة في المفاوضات التي قد يجريها سواء مع الحكومة البريطانية أو مع حكومة الولايات المتحدة .

ونشرت « الدايلي هيرالد » يوم الثلاثاء ١٦ ك ٢ تحت عنوان : « السوفيات ينكرون قصة ديغول » خبراً من موسكو يقول ان الحكومة السوفياتية تنفي ان تكون طلبت من الحكومتين البريطانية والاميركية قبول الجنرال ديغول في مؤتمر الدول الكبرى . وتنفي أيضاً ان يكون الجنرال ديغول قد قبل تأييد الاتحاد السوفياتي في مشاكل شرق اوربا لقاء تأييد السوفيات للمطالب الفرنسية في منطقة الرين . »

جاء هذا الايضاح السوفياتي في أعقاب ما أشارت اليه صحف لندن عن

تأكدها من اشتراك الجنرال ديغول في مؤتمر الدول الكبرى الذي سيحاول تسوية المشاكل الدولية الناتجة عن الحرب .

ان الموقف السوفياتي خليق بان يعطي نتائج مباشرة وان يزعزع مكانة الجنرال ديغول في الداخل ، وذلك بحرمانه من تأييد الشيوعيين . وسيرافق تخلي الشيوعيين عن ديغول نشاط المعارضة الصامت الذي يقوم بـه التعاونيون ، وسرعة التفكك الذي ستمنى به الاحزاب السياسية التي كانت تجعل من الاستقرار الحكومي في فرنسا ، قبل الحرب ، وهماً .

ان الحكومة البريطانية ، وهي من الوجهة الدولية دائمة القلق لما يجري في فرنسا ومتخوفة من تعاظم النفوذ السوفياتي ، لن تجد عملاً أهم من الاسراع في مساندة حكومة الجنرال ديغول لتظل محتفظة بمكانتها وهيبتها .

ولعله يجب ان نجد في النصائح التي أغدقتها وزارة الخارجية البريطانية أخيراً على « رندم سميث » ، والتي زودني بدوره بها ، دلائل هذا التأييد .

اما يوم الاربعاء فقد تميز بالمحاضرة التي ألقاها الجنرال سبيرس وموضوعها « لبنان وسورية على الاخص والبلدان العربية عموماً » .

على نخبة من المستمعين قص الجنرال سبيرس تاريخ دول الشرق في السنوات الثلاث الاخيرة واثبت بلباقة متناهية ان استقلال لبنان وسورية متصل اتصالاً وثيقاً بمستقبل الصداقة بين بريطانيا العظمى والبلدان العربية . وقال بالحرف الواحد : « ان تهاوناً واحداً من قبل السياسة الانكليزية سيؤدي الى المس بعواطف الشعوب التي تعترض أهم طرق مواصلاتنا ، والانتقاص منها بصورة نهائية . »

ودافع عن وجهة النظر الفرنسية ، « هارولد نيكلسون » المؤرخ واحد

أعضاء البرلمان ، بينما دافع عن وجهة النظر اللبنانية – السوريـــة السر « رينالد ستورز » .

كانت المحاضرة انتصاراً تاماً لسبيرس . لقد كان يوجد في القاعـة موظفون عديدون تابعون لوزارة الخارجية البريطانية . وبالرغم من ان المناقشة لا يمكن ان تؤثر بصورة مباشرة على وزارة الخارجية البريطانية فانها تساعد على خلق رأي عام يؤثر على هذه الوزارة .

وظلت محاضرة الجنرال سبيرس موضوع تعليـــق الأوساط السياسية . فنسب أحد مراسلي « الدايلي تلغراف » يوم الجمعـة الى الجنرال سبيرس التأكيدات الآتية :

١ – على الرغم من ان الفرنسيين كانوا قد قبـلوا بتسليم دول الشرق كل معالم السيادة ، وذلك قبل أزمة ١٩٤٣ ، فانهم قـد احتفظوا لانفسهم بمراقبة الجيش .

٢ – الحالة العسكرية في لبنان وسورية لا تخـلو من التعقيد ، والسلطات الفرنسية تحتفظ ، وفقاً للانتداب المنبثق عن جامعة الامم ، بحق تحديد موعد تسليم سائر السلطات الى الحكومات . ولكن فراغ صبر اللبنانيين هو الذي أدى الى اضطرابات ١٩٤٣ .

كان هذا العرض المغلوط يستدعي توضيحاً لا يقبل الشك والمغالطة ،فكتبت الى « الدايلي تلغراف » مذكراً :

١ – بان اتفاقات تسليم الصلاحيات حصلت بعد تشرين الثاني ١٩٤٣ لا قبله .

٢ – بان الاتفاقات لم تكن تشتمل على أي تحفظ ، وبان المفاوضات لتسليم

الجيش جرت عام ١٩٤٤ عندما قطعها الفرنسيون من تلقاء أنفسهم وجعلوا من عقد المعاهدة شرطاً للعودة اليها .

٣ – واخيراً بانه ، خلافا لادعاءات مراسل الدايلي تلغراف ، فان السلطات الفرنسية لم تحتفظ قط بحق تحديد الوقت الذي يتم فيه تسليم الصلاحيات . ولا توجد اشارة الى ذلك في منشور الجنرال كاترو المؤرخ في ٨ ك ٢ سنة ١٩٤١ الذي كفله المعتمد البريطاني أو في اتفاق الثاني والعشرين من ك ١ سنة ١٩٤٣.

تلقيت يوم الاثنين ٢٢ ك ٢ مخابرة من وزارة الخارجية بالموافقة على وجهة نظري لجهة تقديم أوراق اعتمادي الى الحكومة البولونية وضرورة تأخيرهـا . وتتضمن المخابرة توجيه الشكر الي على تقاريري المتعلقة بوصف الحالة في انكلترا وفي الولايات المتحدة . ومع هذا فلم ترد أية أنباء عن الحالة السياسية .

ثم عكفت على تهيئة المحاضرة التي ينبغي ان القيهـا في « شاتم هوس » يوم الجمعة الواقع في ٩ شباط .

وتناولت يوم الاربعاء طعام الغداء معالسيدة بيرار وزوجها . فالسيد بيرار لا يزال، رغم تقدمه في السن، مرحا ، يقظ الفكر. لقد وجد في جعبة ذكرياته قصة طريفة قصتها عليه جدته مراراً ورواها لي :

اعتاد الفرنسيون ، في عهدَي القنصلية والامبراطوريـــة ، ان يجتاحوا البلجيك . فكانوا يدخلونها فاتحـــين مكللين بالمجد ويخرجون منها يطاردهم العدو وكره الاهلين . وكان البلجيكيون يقولون : ما أجمـل الدخول واقبح الخروج !

ويوم الخميس تناول طعام الغداء معي المستر « نفيل بتلر » ، وكيل وزارة الخارجية البريطانية ورئيس القسم الشرقي سابقاً ، وزوجته ، والماجور جنرال

السمر « فريدريك موريس » ، الشيخ الجميل ذو الرأس الابيض والقسمات الدالة على اناقة نادرة . وهو القائد الذي بدأ الجنرال سبيرس حياته العسكرية تحت إمرته .

كنت اليوم شاهداً على تبدل مفاجىء طرأ على سياسة وزارة الخارجية البريطانية .

فمستشار المفوضية ، فيكتور خوري ، الذي انتدبته ليظل على اتصال دائم باوساط وزارة الخارجية حمل اليّ بعد الظهر انباء عن الموقف الجديد الذي يفيد بان الوزارة تتمسك ،قبل أي اعتبار آخر، بتوطيد مركز الجنرال ديغول المتداعي في فرنسا . ولذلك فهي تفضل مؤقتا ألا تسمع شيئا عن قضايا لبنان وسورية ، ولو بصورة علنية على الاقل . واستقبالاتنا المتكررة ، واتصالاتنا مع اعضاء البرلمان ، والاسئلة التي يطرحها هؤلاء في مجلس العموم ، تبدو لها في غير محلها .

وأكد « روبن هانكي » ذلك بقوله :

— نريد مساعدتكم ، ولكن لا تعقدوا المهمة علينا بالتجائكم الى الرأي العام . ثم انه يوم يطلب من الرأي العام ان يختار بينكم وبين فرنسا فانه سيختار فرنسا . يريد رئيس الوزارة ان تكون فرنسا قوية كما ان تدخّل النواب لا يغير شيئا من سياسته .

ولما سأل فيكتور خوري عما اذا كانت هناك طريقة لحل متاعبنا بسرعة دون الاضرار بنا او بفرنسا ، أجاب « روبن هانكي » :

— تفاهموا مع الفرنسيين . لقد رفضتم دائما الاصغاء الى عروضهم . ولا يوجد شيء حتى الآن يسمح بالاعتقاد بانهم سيطالبون بمركز ممتاز في الشرق . ولا تظنوا ، على الاخص ، ان الاضطرابات التي قد تقع في بلادكم ستساعد على

تحسين الحالة .

وبينما كان فيكتور خوري ينقل اليّ نتيجة مهمته جاءت الاخبار تنبىء بوقوع تظاهرات عنيفة في دمشق امتدت الى المدن السورية الكبرى . وكان رفض الحكومة الفرنسية تسليم قيادة الجيش الى السلطات السورية سببا لتلك التظاهرات .

فهمت عندئذ معنى قلق وزارة الخارجية البريطانية . وفهمت في الوقت نفسه ، وبطريقة غير مباشرة ، أهمية الاتصال بالرأي العام البريطاني وأهمية تنويره بصدد حقيقة حالتنا وحقوقنا ومطالبنا وتعلقنا باستقلالنا . ان الرأي العام المدرك في بلاد حرة يمكن ان يؤلف درعا ضد الظلم وضد التسويات المجحفة .

فكرت طويلا في المحادثات التي دارت بين فكتور خوري و « هانكي » وخصوصاً في قوله انه من المستحيل ألا يطالب الفرنسيون بمركز ممتاز . ربما كان روبن هانكي قد قال — وهو تفصيل لم ألحظه أمس — انه عندما صحب في كانون الاول ١٩٤٤ المستر إيدن الى باريس سمع وزير الخارجية الفرنسية المسيو بيدو يقول انه لا يطلب شيئاً غير توقيع وثيقة يخرج معها من هذا المأزق بشرف .

لكن الجنرال ديغول كشف بنفسه لوزارة الخارجية البريطانية مدى انخداعها بحقيقة نياته . فأعلن في مؤتمر صحفي :

« لقد اعترفت فرنسا باستقلال لبنان وسورية . الا ان لها في هذين البلدين مركزاً ضخما ستحتفظ به .

« واذا كان قد تعذر عليها تحقيق استقلالها التام فذلك يعود الى تدخل

اجنبي » .

ودون ان يضطر الجنرال ديغول لتحديد هذا الأجنبي فانه كان يعني البريطانيين .

لم يعد بوسع وزارة الخارجية البريطانية التي كانت ، حتى أمس الاول ، تسدي النصائح وتبشر بالوئام وتنسب الى الفرنسيين النيـــات الطاهرة ، ان تتستر بجهلها او جهلنا نوايا فرنسا الحقيقية .

وصباح السبت ارسلت برقياً بعض الأنبـاء الى الحكومة في بيروت وبعض الايحاآت .

ثم كلفت من جديد فيكتور خوري بمهمة في وزارة الخارجية البريطانيـــة تنحصر بما يأتي :

١ – ان يحدد بوضوح انه لم يعد بوسع احد الاعتصام وراء جهلنا لنيـــات الحكومة الفرنسية .

٢ – ان موقفنا يبقى كما في الماضي موقف الدفاع عن النفس .

أما الأخبار فلم تحمل اي جديد عن دمشق . هنـــالك برقية وردت من بيروت الى احدى شركات الأنباء تفيد بان الحكومة اللبنانيـة اتخذت قراراً تجرد بموجبه كل لبناني يعمل في احدى الدوائر الاجنبية من جنسيته اذا رفض طلب الحكومة بترك هذه الدائرة .

أما محطة الاذاعة فتنبىء بان الحالة في لبنان تتطور بشكل مماثل للحالة في سورية .

واتضح لي يوم الاحد ٢٨ ك ٢ ان استقلال لبنان وسورية ، المتصل اتصالاً وثيقاً بقضايا الشرق الاوسط ، قد سار شوطاً بعيداً في الرأي العام البريطاني . فلا يخشى بعد ذلك من محاولة تصدر عن وزارة الخارجية لاخفات الصوت .

ويلوح ان قضية هذا الاستقلال تعود لتشغل الصحف من جديد . لقد ظهر مقالان في يوم واحد ، تبـــاينت شدة لهجتها . ظهر الاول في « السنداي اكسبرس » بتوقيع الجنرال سبيرس ، وهو رد على الجـنرال ديغول الذي بدت تصريحاته الاخيرة وكأنها تعلق عقد معاهدة فرنسية – بريطانية على تصفيـة المسألة السورية – اللبنانية لمصلحة فرنسا .

وظهر الثاني في « الاوبسرفر » بتوقيـع محرر هذه الصحيفة السياسي . وقد انتهى الى نتيجة عبـَّر عنها بكلمات تستحق ان تحفظ :

«لا يحتاج القارىء البريطاني الى التذكير بأهمية المصالح البريطانية في الشرق الاوسط . وقد أدرك القيصر ومن بعده هتلر أهمية النتـــائج في مهاجمة هذه المصالح . ان استراليا ونيوزيلنده وأفريقيا الجنوبيـة التي اشتركت في القتال خلال الحربين الاخيرتين في الشرق الاوسط تدرك قيمة الصلات الودية وأهميتها في هذه المنطقة » .

« لكن البلاد العربية تلاحظ اليوم ان بريطانيـــا العظمى تتراجع . وهي تتساءل في مثل هذا الظرف ماذا ينبغي ان يكون موقفها . فاذا بقيت طويلا في شك من أمرها فلا بد من ان تلتفت الى دول اخرى » .

ونشرت « الاوبسرفر » ايضاً نبـــأ مؤداه ان فرنسا لن تشترك في مؤتمر الدول الكبرى ، لان اميركا ترفض رفضاً باتاً قبولها في هـــذا المؤتمر . والرأي العام الفرنسي يلاحظ ان المساندة البريطانية – السوفياتيـــة لم تكن حازمة

بشكل فعال للتأثير على واشنطن .

وهكذا تبدو الصحافة البريطانية وكأنها متفقة على إظهار وجهة نظرنا .

« فالايكونوميست » ، وهي المجلة البالغة الخطورة ، نشرت مقالاً يثبت أهمية بلدان الشرق الاوسط وضرورة تشجيعها على المضي في السياسة الدولية التي بدأتها من ناحية ، والخطر الكبير الذي يهدد المصالح البريطانية ، اذا خسرت بريطانيا صداقة هذه البلدان ، من ناحية ثانية .

وكانت الانباء التي وصلتني اليوم تشير الى القلق الذي يسود اوساط وزارة الخارجية البريطانية بسبب عودة قضايا الشرق الادنى الى الظهور ، مرتبطة ارتباطاً وثيقا بقضايا لبنان وسورية .

تلقيت يوم الثلاثاء برقيتين من بيروت أحداهما غير واضحة فاضطررت لاعادتها . أما الثانية فتفيدني بأن الحكومة اللبنانية سلمت الحكومة الفرنسية مذكرتين تطالب أحداهما بتسليم الجيش انفاذاً للبروتوكول الموقع في ٢٦ حزيران سنة ١٩٤٤ ، وتطالب الأخرى بتحويل المفوضية العليا الفرنسية في بيروت الى مركز تمثيل دبلوماسي بسيط على غرار جميع الدول الحليفة .

ومن جهة أخرى فلا تزال الأنباء ترد عن التظاهرات المستمرة في أهم المدن السورية واللبنانية .

وانضمت « المنشستر غارديان » لسان حال حزب الأحرار ، الى الصحف الانكليزية التي تعالج قضية الشرق . فخص المحرر السياسي تظاهرات دمشق والقرارات التي اتخذها لبنان وسورية ، لتأليف جيش في كل منهما ، بمقال .

تناولت يوم الخميس طعام الغداء مع الكولونيل « ايلفنستون » وزوجته .

والكولونيل قضى سنوات عديدة في سورية ، وهو اليوم يشترك اشتراكاً فعلياً في أعمال مكتب المعهد الملكي للمسائل الأجنبية في « شاتم هوس » .

وظهر الجمعة أنهيت تقريري الشهري . وهو يعالج ، في القسم السياسي منه ، ثلاثة مواضيع : زيارتي للمستر ايدن والمحادثات التي دارت بيننا . التحول في موقف وزارة الخارجية البريطانية وعودتي الى سياسة الحذر . وأخيراً هبّة الصحف والرأي العام لمعالجة القضايا المتعلقة بلبنان وسورية وما لقضيتهما من صلة بقضايا الشرق ، على الرغم من جهود وزارة الخارجية البريطانية للحيلولة دون هذه الهبّة .

واضفت الى هذا العرض اقتراحين : احدهما يتعلق بوجوب عرض اتفاق على الحلفاء ذي صيغة واحدة ، ينكر على أي منهم حق الاستئثار بأي مركز ممتاز . والثاني يشير الى وجوب تحاشي أية لفظة في التصريحات الرسمية تلمح ، من قريب او من بعيد ، الى عدم تضامننا مع البلدان العربية المحيطة بنا .

وبعد الظهر تلقيت برقية من وزير الخارجية يطلعني فيها على خطورة الموقف . ان توتر العلاقات مع فرنسا ينذر كل دقيقة بوقوع اضطرابات جدية في بيروت ودمشق . وتدعوني البرقية الى القيام ، باسم لبنان وسورية ، بالمساعي اللازمة لدى الحكومة البريطانية التي يبدو توسطها ضروريا (كذا) .

طلبت حالاً مقابلة رئيس القسم الشرقي ، فعيَّن لي موعداً عند الساعة الحادية عشرة من نهار غد .

وبعدما اطلعت الحكومة على هذا المسعى اشرت بألا يقوم لبنان وسورية منفردين بأي نشاط دبلوماسي . فعليهما ان يتصلا بالدول العربية للقيام بمسعى مشترك ، وارجو ان تلاقي مشورتي آذاناً صاغية . خاصة وان راديو لندن

قد أذاع ان الوزارة الفرنسية اجتمعت اليـوم وقررت ان فرنسا ستستمر في الاشراف على الأمن في بلدي الشرق .

وهو ما يهدد بردّات فعل جديدة .

ونشرت « الديلي تلغراف » يوم السبت محضر الجلسة التي عقدهـــا أمس مجلس الوزراء الفرنسي . والمقررات المتخـذة تبدو عدائيـة تبطن التهديد ، وتتضمن زعم الحكومة الفرنسية بانها صاحبة الحق بالمحافظة على الامن في لبنان وسورية ، وتعبِّر عن ارادتهـــا في الدفاع عن مركزها في هذين البلدين ولو باستعمال القوة . واخيراً فانها تتضمن التعليمات الموجهـة الى الجنرال بينه ممثل فرنسا لاتخاذ التدابير اللازمة بهذا الصدد .

وبالرغم من اني لم أكن متفائلاً بنتيجة مقابلتي لوزارة الخارجية البريطانية فقد قصدتها في الساعة الحادية عشرة ، حيث قابلت « بكستر » رئيس القسم المتعلق بالشرق الأوسط ، واطلعته على البرقية الواردة اليَّ من وزارة الخارجية والتي تطلعني على خطورة الموقف ، وتطلب توسط الحكومة البريطانية لتسوية مطالب الحكومتين اللبنانية والسورية المتعلقة بتسليم الجيوش الخاصة ، وتحويل المفوضية الفرنسية العليا الى تمثيل دبلوماسي عادي .

فأجاب « بكستر » ان الحكومة البريطانية تلقت اخـيراً التأكيدات القاطعة من الحكومة الفرنسية بألاّ تسمح لمواطنيها المدنيين أو العسكريين بارتكاب أعمال الاستفزاز .

فاعترضت مشيرا الى ان هذا التأكيد يؤلف موقفاً سلبياً في حين ان هنالك ما يوجب اتخاذ موقف ايجابي للقضاء على وضع خطر قبل فوات الآوان . فعبثاً يؤكد الفرنسيون نواياهم السلمية ، لان مجرد رفضهم تسليم الجيوش يشكل ، بحد

ذاته استفزازاً كافياً .

فاعاد محدثي على مسمعي الاقتراح ، الذي صار لازمة مضنية ، بوجـوب تفاهمنا مع الفرنسيين على أساس ما ، والاستماع الى مقترحـاتهم دون ان نضطر لقبولها كلها . فقد يصبح في المستطاع عندئذٍ البت في مسألة تسليم الفرق الخاصة .

ولفتّ النظر ، قبل انصرافي ، الى ان تسليم الفرق الخاصـــة لم يكن قط مرتبطاً بالدخول في مفاوضات او بعقد اتفـاق او معاهدة . وان رفض فرنسا الالتزام بتعهداتها واعادة ما لنا من حقوق قد ازداد خطورة بعد المقررات التي اتخذها مجلس الوزراء الفرنسي أمس والتي ترمي الى احتفـاظ فرنسا بالمركز الممتاز المزعوم في لبنـــان وسورية والدفاع عنه، عند الحاجة، بقوة السلاح. كما اني نبهت الى انه ، اذا لم يكن رئيس قسم الشرق الاوسط قـادراً على بسط موقف الحكومة البريطانية بوضوح، فيكون قد صار من الضروري ان اتحدث الى الوزير بالذات .

والمستر إيدن غائب . فقد غادر لندن للاشتراك في مؤتمر الدول الثلاث الكبرى ، وعهد الى السيد « ريتشارد لو » بان ينوب عنه مؤقتـاً . لكن من المستحيل علي الاتصال به قبل أيام .

واذا كنت قد تركت بكستر بادي القلق بسبب ما افضت اليه محادثاتنا ، فقد كنت انا ايضاً مرهقاً لاخفاقي في الوصول الى مخرج .

وبانتظار مقابلة « ريتشارد لو » قررت ان استعين بالرأي العـام البريطاني وأطلعه على الواقع ، وأظفر بتأييده الادبي لقضيتنا التي أؤمن بعدالتها . لذلك قررت عقد مؤتمر صحافي نهار الاثنين .

وعكفت طوال يوم الاحد على اعداد البيان الصحفي بالتعاون مع جميع

موظفي المفوضية الذين عملوا بهمة لجمع العناصر اللازمة للتصريح الذي سأدلي به ، وللمناقشة التي ستتبعه حتماً . وبالاضافة الى موظفي المفوضية فان نانسي موريس قدمت لنا مساعدة قيمة عندما وضعت تحت تصرفنا مجموعة الوثائق التي تملكها .

قبل المؤتمر الصحفي وفي الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر الاثنين ذهبت الى مقر وزارة الخارجية البريطانية وطلبت مقابلة بكستر . فجاء أحد امناء السر ينبئني حالاً ان المستر بتلر، وكيل الوزارة ورئيس القسم الشرقي ، قد عاد الآن من القاهرة بعد ان رافق اليها ايدن ، وانه يرغب في مقابلتي لاطلاعي على مخابرة هامة .

قال المستر بتلر : « عدت الآن من القاهرة ، ولا يزال المستر إيدن فيها . وهو قلق جداً للحالة في الشرق . واني اود ان ابلغك مخابرة تلقيناها من وزيرنا المفوض في بيروت . فقد تقرر ، في اجتماع عقد برئاسة رئيس الجمهورية وحضور وزير الخارجية ،ان توافق الحكومة اللبنانية على الدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية على شرطين ، أولهما : ان تتخلى فرنسا عن أية فكرة ترمي الى الحصول على مركز ممتاز . وثانيهما : ان تتخلى عن الفرق الخاصة حالاً.

« فيما يتعلق بالمركز الممتاز فلسنا نمانع في منحه للفرنسيين . أما فيما يتعلق بالفرق الخاصة فقد بحثنا جدياً موضوعها مع الفرنسيين . ولكننا لا نجد تمسككم بالمطالبة بها كلها معقولاً قبل ان تبدأ المفاوضات بوجه عام وتصل الى نتيجة محسوسة . وعلى أية حال فان الحكومة البريطانية تنظر نظرة غير مرضية على الاطلاق الى أثارة حوادث دامية في الشرق ، يكون لها أثرها السيء على المجهود الحربي الضروري جداً في الوقت الحاضر . »

فأجبته : يبدو اننا مصممون على التخلي عن أية فكرة ترمي الى أعطاء

مركز ممتاز . ومن ناحية ثانية ، فانه لا بد لي من تأكيد موقف حكومتي بما له علاقة بتسليم الفرق الخاصة . لقد تعهد الفرنسيون بتسليمها دون قيد أو شرط . ولا ريب ان تنفيذ تعهدهم قبل المباشرة باية مفاوضة يكون دليلاً على حسن نيتهم . أما الاضطرابات التي يمكن ان تقع فانه من واجبنا ان نتجنبها قدر الامكان . ولكن عدم وقوع هذه الحوادث مرتبط أيضاً برغبة الفرنسيين .

فتشبث المستر بتلر بوجهة نظره الخاصة بتسليم الفرق الخاصة . وتشبثت بوجهة نظري . فاحتدم النقاش ... ثم بحثنا قضية علاقاتنا بفرنسا فألمح الى علاقات بريطانيا العظمى بمصر والعراق وختم حديثه بهذه العبارة :

— « سيقول التاريخ يوماً ان هذين البلدين مدينان بازدهارهما لتعاونهما معاً . »

فتداركت رأيه قائلاً :

— « استميحك عذراً اذا قاطعتك . ولكن هل تريد القول ، من وراء ذلك ، ان علاقاتنا في المستقبل يجب ان تكون مع فرنسا شبيهة بعلاقاتكم بالعراق أو بمصر ؟ »

أجاب : « لا » . ثم استدرك قائلاً: « أنا لا أقول: بلى ولا أقول: لا ، لأني لا أريد ان أعبّر عن رأي خاص بهذه القضية . كل ما استطيع ان أعمله هو ان أقرأ لك عبارة وردت في برقية وزيرنا المفوض في بيروت : « تسوية لا تمس بسيادة البلدين . »

انهذا التوجيه يتضمن الخطر نفسه الذي تضمنته الاشارة السابقة . والنظرية التي لا تزال وزارة الخرجية البريطانية تدافع عنها هي ، في الواقع ، ان لا

المعاهدة مع مصر ولا المعاهدة مع العراق تمس بسيادة أي بلد من البلدين . وبما اني لم اكن راغباً في ترك المجال لأي التباس فقد رأيت من الضروري ان أوضح بدقة :

— «مهما يكن، فانه من الواجب عليَّ ان أقول بطريقة جد واضحة لا تترك أي مجال للشك ان لا لبنان ولا سورية مستعدان للاعتراف لفرنسا بمثل المركز الذي تضمنه لبريطانيا المعاهدة مع مصر أو مع العراق . »

فبدأ المستر بتلر يرتبك وسكت طويلاً . ولما لم يبقَ لي ما أقوله استأذنت بالذهاب .

وكان القسم الثاني من الحديث قد جرى في جو مفعم بالبرودة .

وفي الساعة الرابعة عقد المؤتمر الصحفي وحضره أكثر من ثلاثين مندوباً صحفياً ودار حول المواضيع الاربعة المهمة الآتية :

١ — المحافظة على الامن في بلدي الشرق تقع مسؤوليتها على عاتق حكومتي لبنان وسورية كل فيما يختص باراضيها ، وهي حق ينبثق عن كون لبنان وسورية دولتين مستقلتين ذات سيادة ، وعن اعتراف السلطات الفرنسية ، عند تسليم السلطات ، بمسؤولية الحكومتين اللبنانية والسورية في المحافظة على النظام والامن ولا سيما في الاتفاقات المؤرخة في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٣ و ١٦ حزيران ١٩٤٤ .

وأخيراً استشهدت بخطاب القاه المستر ايدن في مجلس العموم واكد فيه ان ممارسة هذا الحق تعود للسلطات اللبنانية والسورية .

٢ — الفرق الخاصة :

ان تسليمها مسلَّم به ضمناً في بلاغات الجنرال « كاترو » المؤرخة في أيلول وتشرين الثاني ١٩٤١ وفي الاتفاق المؤرخ في ٢٢ كانون الأول ١٩٤٣ . فبعد هذا الاتفاق صرح رئيس وزراء سورية أمام مجلس النواب بقوله :

« ان الجنرال كاترو عرض على الحكومة السورية تسليمها الفرق الخاصة . ولكننا ارجأنا البحث بانتظار حل الناحية المالية من القضية . »

وأخيراً فان البروتوكول الموقع في ١٦ حزيران ١٩٤٤ ينص على وضع فرقة يقودها ضباط لبنانيون ويظللها العلم اللبناني تحت تصرف السلطات اللبنانية بانتظار تسليم كامل الفرق الخاصة .

٣ — المعاهدة :

ان الحكومة الفرنسية تطلب الدخول في مفاوضات لعقد معاهدة لا تكون الا معاهدة ضمان ، لكنها تصر في الواقع على اتفاق يضمن لها مركزاً ممتازاً من النوع الذي أشار اليه الجنرال ديغول اخيراً .

إلا اننا قد اتخذنا قراراً لا عودة عنه وهو ألا نعترف بأي مركز ممتاز لأية دولة أجنبية ، والا نعقد أي اتفاق خاص مع أي بلد من البلدان الا على أساس المساواة التامة .

أما فيما يتعلق بالدخول في مفاوضات لعقد معاهدة صداقة ، فان الروح التي أوحت ببروتوكول الاسكندرية المؤرخ في ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ توجب علينا ألا نفرض على الدول العربية الاخرى صداقات من شأنها ان تحول دون التعاون الوثيق الذي يرمي اليه هذا البروتوكول .

٤ — السياسة العامة :

ان سياستنا العامة تهدف في الوقت الحاضر الى مساعدة مجهود الحلفاء الحربي

بوضع كل امكاناتنا تحت تصرفهم . أما في المستقبل فاننا لا ننوي الاشتراك في اتفاقات خاصة بل في منظمة عامة تهدف الى اقرار السلام والأمن في العالم .

وقد أبدت الصحف اهتماماً كبيراً بتصريحاتي، ومنها التيمس ، والمنشستر غارديان ، والديلي تلغراف ، والنيوز كرونيكل ، والدايلي كرونيكل . يمكنني الاستنتاج، في ضوء المقاطع التي نشرت، ان موقف الصحافة منا موالٍ . ان وكالات الانباء: رويتر، اليونيتدبرس، اسوشيتدبرس،الوكالة العربية ومراسلي الصحف الاميركية اذاعوا النص الكامل للتصريحات. وطلبت إلي سفارة الولايات المتحدة نسخة عن البيان .

لم يكن هدفي من تصريحاتي الى الصحف ان أصل الى نتيجة حاسمة . فهذا الهدف لا يمكن بلوغه الا بالوسائل الديبلوماسية . بل كان القصد تحطيم الصمت الذي كانت وزارة الخارجية البريطانية تريد ان تغمر به مشاكل الشرق ، وتنوير الرأي العام البريطاني والعالمي باطلاعه على حقيقة المصاعب التي نواجهها في علاقتنا بحكومة الجنرال ديغول .

وظهر اليوم التالي تناولت طعام الغداء في السفارة المصرية ، وكان بالقرب مني سفير تركيا والسر ارثور غرينوود ، وريتشارد لو والسر برسي لورين . فقال سفير تركيا :

— قرأت باهتمام كبير تصريحاتكم الى الصحف . وأرى انكم فعلتم حسناً بكشف متاعبكم للرأي العام العالمي .

فأجبت بطريقة يسمعها الجميع : كان غرضي ان أطرح على الرأي العام قضية يحاولون احاطتها بالكتمان . وليس اسوأ من الاسرار في السياسة ، فهي تترك الشك مسيطراً ، أو تنصر الخطأ . وكم من أخطاء ترتكب مع انه يمكن

تجنب الخطأ اذا أتيح للرأي العام ان يعبّر عن آرائه .

فأجاب السر برسي لورين : شرط ألا تفضح سر الآخرين . فأنا شخصياً قد ناقشت بصورة علنية القضايا اللبنانية والسورية التي هي قضايانا .

وبينما كنت متجهاً الى فسحة الدار ، بعد الانتهاء من الطعام ، تأبط السر « ارثور غرينوود » ذراعي وهمس في أذني قائلا : « أتمنى لكم حظاً سعيداً . » وعبّر لي « ريتشارد لو » ، وهو يمزح ، عن أسفه لان تصريحاته في تشرين الاول سنة ١٩٤٣ عن بقاء الانتداب نظرياً افضت الى اعتقالي واعتقال الحكومة اللبنانية في صباح الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

ثم تناولت طعام العشاء مع « ريتشارد استوكس » وهو نائب من حزب العمال مقتنع تماماً بصحة قضيتنا خصوصا وقضايا العرب عموماً . وسيوجه غداً مع ثلاثة من النواب اصدقائه أسئلة الى الحكومة عن تطور الحالة في الشرق الاوسط .

يوم الاربعاء هو موعد زيارتي الرسمية لقصر بيكنغهام لتقديم أوراق اعتمادي الى الملك .

استقبلني عند وصولي الى القصر السر « جون مونك » واثنان من كبار الضباط . وعند الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين دخلت قاعة الاستقبال حيث كان الملك ، يرافقه السر « اورم سرجانت » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية ، واقفاً بالقرب من الموقد وعلى ثغره ابتسامة ترحيب .

استغرقت الزيارة خمساً وعشرين دقيقة سألني خلالها الملك عن اخبار لبنان، وعن آثاره التاريخية وعن الشخصيات البريطانية التي زارته ، أو التي قضت فيه ردحاً من الزمن . واهتم ايضاً بعائلتي وعلى الخصوص بمدرسة اولادي . وسألني

عن مؤتمر شيكاغو وعن الحالة السياسية في الولايات المتحدة وعلى الاخص بالنسبة الى بريطانيا العظمى . فأعربت عن أسفي لوجود شيء من سوء التفاهم بين البلدين وذكرت انتقاداتي التي وجهتها للاميركيين الذين اكتفوا بتوجيه اللوم الى بريطانيا على تصرفها في ايطاليا واليونان دون ان يقدّموا أي حل بناء .

فسألني الملك :

– كيف استقبل الاميركيون ملاحظاتك ؟

– بروح رياضية ، يا صاحب الجلالة ، معترفين على العموم للانكليز بخبرتهم الطويلة في معالجة الاوضاع الدولية المعقدة او الدقيقة .

وقمت يوم الخميس بزيارة رسمية للملكة ماري وبزيارة الضباط الملحقين بقر الملك ورئيس مجلس اللوردات ،فرئيس مجلس العموم .

وبعد عودتي الى المفوضية قرأت في « الديلي تلغراف » تصحيحاً صادراً عن الحكومة اللبنانية تؤكد فيه ان كل دولة من الدول العربية الموقعة على بروتوكول الاسكندرية تستطيع عقد معاهدات دولية دون موافقة الدول الاخرى .

لم يكن لهذا التصحيح حاجة . ولم يخطر لي ان لبنان قد تنازل عن حقه في عقد المعاهدات الدولية بحرية . قلت في المؤتمر الصحفي ان روح البروتوكول توجب على موقعيه الامتناع عن عقد اتفاقات يكون من شأنها الاضرار بالسياسة العامة التي رسم هذا البروتوكول خطوطها .

والقيت يوم الجمعة محاضرتي في « شاتم هوس » عن لبنان وعلاقاته بالدول العربية المجاورة ، وتنظيم الشرق الأوسط في المستقبل ، والدور الذي يمكن ان يلعبه في منظمة عالمية للسلم والأمن .

كان المستمعون يتألفون ، بالاضافة الى أعضاء المعهد العلمي ، من بعض موظفي وزارة الخارجية البريطانية وعلى الأخص من الموظفين التابعين لقسم الابحاث .

وتلقيت بعد الظهر برقية من الحكومة تبلغني فيها الايضاحات التي اذاعتها أثر تصريحاتي . فأجبت ، آسفاً ، للاسباب التي حملت الحكومة ، بسرعة ، على اذاعة هذه الايضاحات المستوحاة من اعتبارات تتعلق بالسياسة الداخلية مع انها خالية من أي تأثير في لندن .

ثم تلقيت يوم السبت مخابرة جديدة من بيروت تفيدني بان الحكومتين اللبنانية والسورية اتفقتا على الاستماع الى العروض التي قد تقدمها الحكومة الفرنسية ، ورفض كل ما له علاقة بالمركز الممتاز الذي تطالب به فرنسا .

زارني بعد الظهر المستر « بتلر » وفقاً لرغبة الملك ليبحث قضية مدرسة أولادي . وأكد لي ان جميع التسهيلات ستعطى لادخالهم الى افضل المعاهد العلمية في انكلترا .

وبالرغم من المحادثة الطويلة التي جرت ، لم نتعمق في المواضيع السياسية . لكني وجدته أكثر تفهماً لقضايانا ، كما وجدني أكثر هدوءاً دون ان أكون اقل تصميماً على الدفاع عن موقف لبنان . محادثتنا هذه بددت تماماً البرودة التي سادت محادثتنا الأخيرة في وزارة الخارجية البريطانية .

ووصل مساء الأحد ١١ شباط الى لندن السيد نجيب الارمنازي وزير سوريا المفوض الى بلاط سانت جيمس ، فوضع بوصوله حداً للتفويض الذي فوضتني به الحكومة السورية لانطق باسمها .

استقبلته في محطة فكتوريا ورافقته الى الريتز . فاخبرني ان تقريريّ عن

الشهرين الأولين ارسلا أيضاً الى سورية ،وان حكومته سلمته نسخة عنها لاطلاعه الشخصي. وقد رحبت مصر والبلدان العربية عموماً ترحيباً حماسياً بالتصريحات التي أدليت بها في المؤتمر الصحفي الذي عقدته ووجدت الدول العربية التصحيح الذي أذاعته الحكومة اللبنانية صبيانياً . . .

تناولت يوم الاثنين طعام الغداء في الريتز برفقة القائم باعمال المفوضية العراقية والجنرال سبيرس ونائبين من حزب الاحرار .

كان الحديث في بادىء الأمر عاماً ، ثم أخذ ينحصر بالقضية العربية . لاحظت ان لاحد النائبين ميولاً صهيونية تنبع من العاطفة لا من الاقتناع ، ذلك لأنه يجهل ، على الأخص ، كل شيء عن وجهة نظر العرب ، ويعترف ان رأيه قابل للتبدل إذا تمكن من الاطلاع على سائر معطيات القضية .

فعرضت ان أساعده على التوصل الى الحقائق التاريخية المتعلقة بفلسطين ، واشرت عليه بمطالعة « استفاقة العرب » لجورج انطونيوس .

اثناء انعقاد مجلس العموم يوم الاربعاء طرح بعض الاعضاء على الحكومة أسئلة تتعلق بلبنان وسورية ،أولها وجهه السر « ا . سوثبي » حول تصريح وزير الخارجية الفرنسية والذي جاء فيه ن فرنسا تدافع عند الاقتضاء بالقوة عن مكانتها في لبنان وسورية . والسؤال يرمي الى معرفة ما إذا كانت الحكومة البريطانية ، بالنظر للضمانة التي قدمتها ، تستطيع التأكيد ان المفاوضات بين فرنسا ودولتي الشرق يمكن ان تتم ، هذا اذا تمت ، بحرية ودون اكراه .

فأجاب الوزير ريتشاردلو : ١ — انه تلقى تقارير عن هذا التصريح ، لكن المعلومات التي لديه تفيد انه لم يعط بالصيغة التي ذكرها السر « ا . سوثبي » . ٢ — ان المفاوضات ينبغي ان تتم بحرية دون ان يشوبها الاكراه ، وان حكومة

صاحب الجلالة تنوي بذل المساعي مع الحكومة الفرنسية في سبيل ذلك عند الأقتضاء .

أما السؤال الثاني فكان أدق لأنه جاء نتيجة منطقية لازمة للسؤال الأول . فقد طلب الى وزارة الخارجية البريطانية ان تعلم مسبقاً الحكومة الفرنسية بانها ـ نظراً للضمانة البريطانية المتعلقة باستقلال لبنان وسورية ـ تنظر ، بكثير من التخوف إلى التهديد أو الاكراه اللذين قد يتعرض لهما هذان البلدان .

أما جواب ريتشاردلو فقد جاء غامضاً ومبهماً. قال: « صحيح ان الحكومة البريطانية تبنت اعلان فرنسا الحرة لاستقلال هذين البلدين ، ويهمها جداً ان ترى هذا الاستقلال محققاً ، لكنها تظن ان هناك موضوعاً للمفاوضة بين الفرقاء أصحاب العلاقة . ويعتقد ، من ناحية ثانية ، ان تبني اعلان فرنسا الحرة للاستقلال لا يؤلف ضمانة لتنفيذه . وعندما تبنينا هذا الاعلان قلنا اننا نعترف باستقلال البلدين . »

وقد أرسلت الى بيروت يوم الخميس برقياً نص الاسئلة والأجوبة التي تبودلت في مجلس العموم .

ثم جاءتني الاصداء الآتية عن هذه المناقشة : ان فريقاً من النواب اصدقائنا لفتوا الوزير ريتشارد لو الى الخطأ الذي أرتكبه في تفسيره للموقف البريطاني من بلدي الشرق ، فوعدهم بأن يدلي بتصريحات كاملة يوم الاربعاء ٢١ شباط في جلسة عامة أو في جلسة اللجنة .

وحفلت صحف الاحد في ١٨ شباط بانباء لبنان وسورية واجتماع القاهرة . لقد لفت نظري خبران متناقضان .

ظهر الأول في « الاوبسرفر » وهو صادر عن مراسلها السياسي ويفيد بان

الممثلين الفرنسيين في سورية ولبنان تلقوا تعليمات من حكومتهم لاجراء مفاوضات مع الحكومتين اللبنانية والسورية . فاذا رفضت الحكومتان تعرضتا للوم ، لا من بريطانيا والولايات المتحدة وحسب ، بل من البلدان العربية ذات الشأن .

وظهر الثاني في « السنداي تيمس » وهو صادر عن مراسلها في القاهرة ومفاده ان الملك ابن سعود علق انضمامه الى جامعة الدول العربية على حصول لبنان وسورية على الاستقلال وعلى تعهد الدول العربية بأن تؤلف جبهة واحدة ضد كل اعتداء يستهدف أي بلد منها .

ويوم الاثنين اجتمع رؤساء الوفود الدبلوماسية العربية الذين قرروا اقامة مأدبة للجنرال سبيرس تكريماً له على الخدمات التي قدمها للقضيتين اللبنانية والسورية . اني عميد الوزراء المفوضين العرب في غياب الشيخ حافظ وهبي ، وتقع عليّ مهمة تنظيم المأدبة والقاء الكلمة التقليدية .

وزارني بعد الظهر اللورد استرابولجي ، وهو سياسي غير خطير وصهيوني مؤمن . لم افهم الباعث على هذه الزيارة غير المنتظرة .

ونشرت يوم الثلاثاء ثلاث صحف لندنية معلومات تزعم انها تلقتها من القاهرة ، تقول ان رئيس الوزارة المستر تشرشل ، بعدما تحدث الى شخصيات عربية مسؤولة ، سيدلي بتصريح في مجلس العموم يضمنه خطة عامة لتنظيم الشرق الاوسط يقال انها ترتكز على النقاط التالية :

١ — تأسيس اتحاد للبلدان العربية . ٢ — ضم العراق وسورية وشرق الاردن وقسم من فلسطين في دولة واحدة يرئسها الامير عبدالله . ٣ — جمع لبنان والقسم الآخر من فلسطين في دولة واحدة يهودية — مسيحية يمكن ان تؤلف كياناً مستقلا أو جزءاً من دولة الاتحاد العربي .

هذه المعلومات المغرضة اقلقت ، كما يبدو ، الاوساط العربية والاوساط السياسية الانكليزية في لندن على السواء . فانهالت المخابرات التلفونية على المفوضية ، لكننا كذبنا باصرار ، ولا نزال ، هذه الشائعة ، وكانت هذه الاوساط تتوقع صدور تصريحات جريئة وحازمة عن رئيس الوزارة .

حل المساء ولم يصدر غير بلاغ واحد يشير الى زيارة المستر تشرشل للقاهرة واجتماعه بالملك فاروق والملك ابن سعود ورئيس الجمهورية السورية .

لكن بعض الصحف نفى يوم الاربعاء وجود خطة لتنظيم الشرق الأوسط ، وفق ما ذكرته بعض الصحف أمس ، غير ان اجتماع رئيس الوزارة البريطانية بملوك العرب ورؤسائهم ورد بتفاصيله الدقيقة .

حتى ان « التيمس » نفسها ، وقد كانت متحفظة حتى درجة العداء لقضيتنا ، كتبت افتتاحية طويلة عن الشرق الأوسط بينت ان ميولها ، وان لم تكن معاكسة لفرنسا ، لم تعد موالية للنظرية الفرنسية . ترى هذه الصحيفة الكبيرة انه لم يعد من الموافق ابداً النظر الى الدول العربية ككيانات صغيرة غير ثابتة ، بل كمؤسسة دولية متراصة ومتضامنة خليقة بالمكانة التي تستحقها في السياسة العالمية القائمة على العقل . ان علاقات الدول العربية بسائر الأمم ينبغي الا ترتبط بالمصالح الأكثر او الأقل اعتباراً التي تدلي بها دولة من الدول ، بل ينبغي ان ينظر اليها من الناحية العالمية العامة . وان اشتراك الدول العربية باقرار السلام في المستقبل ستكون له الأهمية نفسها التي ستحرزها هذه الدول .

وعندما ألاحظ تطور الرأي العام أشعر بعاطفة اعتزاز وكبر . من الواضح ان هذه النتيجة ليست وليدة مساعيّ . ولكن عندما اقارن بين سكون الموت الذي كان يخيم على الشرق الأوسط العربي قبل انشاء المفوضية اللبنانية وبين الدور

الذي لعبه بعد انشائها لا يمكن الا الاعتراف بعظيم فائدة النضال الذي ناضلناه بلا هوادة .

ومهما يكن ، فان الآراء التي عبّرت عنها الصحف اللندنية تتفق ووجهة النظر التي دافعت عنها في تصريحاتي الى الصحف وفي محاضرتي في «شاتم هوس» .

وهناك حدث آخر غذّى الرأي العام ، هو رفض الجنرال ديغول الاجتماع بالرئيس روزفلت في إحدى مدن أفريقيا الشمالية. ان الاميركيين ، وقد غاظهم الحادث ، اذاعوه ، فكان له صدى هائل في الولايات المتحدة وفي لندن ، وشجبه الجميع .

لقد زعمت الحكومة الفرنسية ، تبريراً لهذا الموقف ، انها لم تتبلّغ الدعوة الا قبل الموعد بوقت قصير ، ولكن البيت الأبيض أوضح ان دعوة الرئيس روزفلت أرسلت قبل الموعد بستة أيام .

وقد وصفت الصحف والرأي العام هذا التصرف بانه «عاق» ازاء اميركا التي أرسلت ثلاثة ملايين جندي (كذا) وحررت فرنسا . وتحسب بعض الأوساط ان الحادث سيترك تأثيرات سياسية خطيرة. لم يحن الوقت بعد لاصدار حكم على النتائج ، لكن الحادث يدل على تباين في الطبع بين الرئيس روزفلت والجنرال ديغول ، وهو ما نستطيع ان نستغله عند الحاجة لمصلحتنا .

ومن جهة اخرى نقلت وكالات الانباء تصريحاً لرئيس الوزارة المصرية أدلى به أمام مجلس النواب في القاهرة شدد فيه على تصميم الحكومة الملكية المصرية على متابعة سياستها في تأييد استقلال لبنان وسورية .

في سان فرانسيسكو

السبت ٢٤ شباط ١٩٤٥

اعلان تركيا الحرب على المانيا يبشر بحضورها مؤتمر سان فرنسيسكو المقبل. وتفكر مصر في انتهاج خطة مماثلة .

فيما يتعلق بمؤتمر القرم وبالمؤتمر الذي سيعقد في سان فرنسيسكو فان عدداً كبيراً من النواب الاشتراكيين قدموا اقتراحاً الى مجلس العموم ينتقدون فيه موقف الدول الثلاث الكبرى ويتهمونه بالتناقض مع ميثاق الاطلسي . يتضح من المقررات التي اتخذت في القرم ان الأمم التي اعلنت الحرب على المحور وعلى اليابان ستدعى وحدها الى سان فرنسيسكو .

فالى أي مدى سيؤثر غياب البلدان غير المحاربة في مصالحها ، ولا سيما في تنظيم السلام العالمي ؟

أما المعلومات التي تسربت من وزارة الخارجية البريطانية عن مشاكلنا فتبعث الأمل بتطور مؤاتٍ دون أن تكون مطمئنة تماماً . ان المفاوضات التي قد تبدأ في بيروت ودمشق يمكن ان تنتهي بنجاح خلال مهلة لا تتجاوز الاسابيع الأربعة. فتسلم الفرق الخاصة الى الحكومتين وتعترف فرنسا باستقلال

البلدين اعترافاً صريحاً .

وتبقى ، مع ذلك ، مسألة النقـــاط الستراتيجية . ان البريطانيين الذين يرغبون في المحافظة على نقاطهم الستراتيجية في الشرق الأوسط ، يميلون الى الاعتراف لفرنسا بهذه الامتيازات . وبالاضافة إلى ذلك فان النقاط يمكن ان تكون فرنسية خالصة في البلدان التي كانت تخضع للانتداب الفرنسي، وانكليزية خالصة في البلدان الواقعة تحت النفوذ البريطاني ، أو يمكن أن تكون مشتركة في الحالين . لقد الحت الصحافة أخيراً الى المصالح المشتركة بـــين الفرنسيين والبريطانيين في البلدان العربية .

ومن ناحية أخرى هنالك آراء عديدة صادرة عن مختلف الأوساط لا يمكن أهمالها ، وهي تبعث على الاعتقاد بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يهتمان من ناحيتهما بهذه النقاط. كما ان الأوساط الدولية تعتبر الجامعة العربية ، المنبثقة عن بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة ، هيئة دولية . لكن الخطر الذي تواجهه ناتج عن الخوف من أن تُستخدم الدول المشتركة فيها لتحقيق اطماع الدول الكبرى الكثيرة والمتضاربة . مثل هذا الاحتمال يقيم عقبة جدية تعرقل عمل الجامعة ونمو الدول المنضوية اليها نمواً صحيحاً .

تناقلت الصحف يوم الاحد ٢٥ شباط نبأ اغتيال أحمـــد ماهر باشا رئيس الوزارة المصرية بينما كان متوجهـاً من مجلس النواب الى مجلس الشيوخ يحمل وثيقة اعلان الحرب على المانيا .

الصحف التي اثبتت هذا النبأ لم تشر الى مسبباته ولا الى اسم المعتدي. وتكتفي « السنداي ديسباتش » بالقول عن المجرم انه شاب متطرف .

واعلنت في اليوم التالي هوية المعتدي على أحمد ماهر باشا . فهو محامٍ فق وضع سابقاً في أحد المعتقلات بسبب نشاطه الفاشستي . ولقد قرر ارتـكاب

جريمته عندما علم باعلان بلاده الحرب على المانيا .

وهذا الاغتيال أفسح المجال في لندن للتعليق على السياسة المصرية تعليقات مختلفة . لكن الجو مشبع بالود الصحيح نحو مصر .

وابرقت يوم الثلاثاء الى بيروت مذكراً بوجوب اعـــلان الحرب على أعداء الحلفاء توصلاً الى الاشتراك بمؤتمر سان فرنسيسكو . وبالرغم من ذلك فلا بد لي من التأكيد : ١ — على مهزلة اعلان الحرب من قبل الدول في الدقيقة الأخيرة . وهو ما تضطر الدول الكبيرة اليه بلداناً لن تشترك في الحرب ٢ — طابع الحقد الذي يمهر مؤتمر سان فرنسيسكو وتنظيم السلام في العالم .

وفي المساء القى تشرشل رئيس الوزارة خطابه المنتظر بفارغ الصبر ونشرت جميع الصحف اللندنية تقريباً في اليوم التالي النص الكامل للخطاب . ان المقطع المتعلق بلبنان وسورية لا يخلو من الصراحة واللباقة . بـــدأ رئيس الوزارة بتحديد موقف الحكومة البريطانية باعتبار انها لا تزال على موقف سنة ١٩٤١ : استقلال هذين البلدين وسيادتهما من جهة ، ومصالح فرنسا الثقافية والتاريخية من جهة ثانية . وجود هذه المصالح يمكن ان يحفز الى الاعتراف لها بمركز ممتاز . ويأمل المستر تشرشل ان تتوصل فرنسا الى المحافظة على هذا الوضع . ان بريطانيا العظمى لا تفرض بالقوة استقلال لبنان وسوريـــة ولا المطالب الفرنسية . وليست ، في أية حال، وحدها وهي لا ترهق نفسها بحمل ثقيل جداً. فهناك ، الى جانبها ، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة اللذان اعترفا ، دون تحفظ ، باستقلال بلدَي الشرق . ان هاتين الدولتين لا تميـــلان الى الاعتراف بمركز ممتاز في لبنان وسورية لاية دولة .

الشعور العام هو اننا في طريق الحل . ستحاول الحكومة الفرنسية الحصول على بعض المنافع في المحادثات التي ستجري في بيروت ودمشق . عدد هـــذه

المنافع واهميتها يتوقفان على صلابة المفاوضين اللبنانيين والسوريين ، وعلى مدى مساندة الدول العربية لنظريتهم .

كتبت الدايلي تلغراف ، من صحف حزب المحافظين ، هـذا الصباح مقالاً رئيسياً يقول: نظراً لاتساع الحركة التي أخذت تظهر في البلدان العربية ، وفي حال عدم ظهور التصريح الفرنسي البريطاني ١٩٤١ ، فان الانتداب على لبنان وسورية يجب ان يزول من تلقاء نفسه ليحل محله وضع بناء . ولا يمكن الابقاء على المصالح الفرنسية غير العادية أو مصالحها العادية ، اذا كانت البلدان العربية غير راضية عن الانتداب .

وعند الساعة الحادية عشرة تلقيت برقيات من بيروت تفيد ان اجتماع القاهرة أسفر عن نجاح تام ، وتطالبني بابلاغ الحكومة البريطانية اعلان لبنان الحرب على المانيا واليابان .

وعند الظهر استقبلتنا الملكة أنا وزوجتي في قصر بيكنغهام ودامت المقابلة عشرين دقيقة . لا شيء يعادل بساطة الملك وحسن وفادته الا بساطة الملكة ورقّتها . ان مثل هذه الحوادث مهرت حياتنا بطابع لا ينسى .

استمرت مناقشة خطاب تشرشل في مجلس العموم يوم الخميس وتحولت من جديد ، والى حد ما ، الى لبنان وسورية والبلدان العربية .

وقمت بزيارة رسمية الى المستر وينانت سفير الولايات المتحدة وتحدثنا عن مؤتمر شيكاغو وعن عاطفة الود التي أبدتها حكومته بصورة دائمة للبنان . وسألته ما اذا كنا نستطيع الاعتماد على حكومته لقبولنا في مؤتمر سان فرنسيسكو ، فأجابني أنه ، دون ان يضمن النتائج ، سيقوم بالمساعي اللازمة لدى واشنطن .

وتناول الجنرال سبيرس طعام العشاء هذا المساء في المفوضية . كان يبدو مرهقاً ، لكن مطمئناً ، الى سير الحوادث ومتفائلا تمام التفاؤل . فقد أعلن ان قضيتنا حظيت في مجلس العموم باهتمام حقيقي ، وان رئيس الوزارة المستر تشرشل لا يكنّ للجنرال ديغول صداقة ، خصوصاً بعد تصريحات الجنرال وحادثته مع الرئيس روزفلت .

ويوم الجمعة نشرت الحكومة البريطانية بناءً على تدخل بعض النواب « كتاباً أبيض » يتضمن نصوص التصريحات التي أعطيت خلال ١٩٤١ عن استقلال لبنان وسورية .

تحتوي هذه الوثيقة على بيان كاترو المؤرخ في ٨ حزيران ١٩٤١ الذي يعترف باستقلال دولتي الشرق ويضع حداً للانتداب ، وعلى بيان السر ميلز لمبسون الذي ضمنت بموجبه بريطانيا العظمى التعهدات التي قدمتها فرنسا الحرة ، وعلى الرسائل المتبادلة بين ليتلتن وديغول ، كما تحتوي على فقرات من خطاب رئيس الوزارة تشرشل المؤرخ في ٩ ايلول ١٩٤١ .

وقمت ، في هذا اليوم ، بزيارة رسمية لسفارة الاتحاد السوفياتي . ان السيد غوزف لطيف الوفادة لكن حديثه بارد . فهو لا يحب ان يقول الا ما هو ضروري جداً . لقد شرح لي باختصار كلي ان مبدأ السياسة السوفياتية يقوم على مناصرة الأمم الصغيرة في مطالبتها بالاستقلال . وهذا المبدأ هو الذي أوحى الى الاتحاد السوفياتي موقفه عندما انتصر لقضية لبنان وسورية .

ثم استقبلت عند الساعة الرابعة رؤساء البعثات العربية وناقشت معهم ما ينبغي القيام به من مساعٍ لتأمين قبول جميع الدول العربية في مؤتمر سان فرنسيسكو .

أنهيت تقريري الشهري عن شباط ، يوم السبت ، وهو يشتمل على قسمين :

الأول يتناول تطور الرأي العام البريطاني بصدد قضايا الشرق الأوسط وتعليقاتي على آخر خطاب لرئيس الوزارة البريطانية في مجلس العموم .

والثاني،السياسة التي ينبغي ان تتبعها الحكومة اللبنانية فيما يختص بالطيران المدني . ان الحكومة الاميركية تعرض عقد اتفاق معنا يسمح لشركات الملاحة الجوية بأن تنقل وتنزل الركاب والمشحونات على المطارات اللبنانية . رأيي هو ضرورة الاحتفاظ لشركات الملاحة الجوية اللبنانية بمدى حيوي كاف بينما نشجع شركات الملاحة الجوية الاجنبية على إنزال اكبر عدد ممكن من الركاب في لبنــان .

وحفلت صحف لندن الصادرة يوم الأحد ٤ آذار بالاخبـــار الواردة من فرنسا ، والتي تنبىء بتصدع العلاقات تصدعاً قوياً بين الجنرال ديغول وفئـات المقاومة . أما في الأوساط الفرنسية الاخرى فان الشكوى،وان لم تصبح علنية بهذا القدر ، فلا بد انها موجودة بالواقع .

لقد تغيب كثيرون من اعضاء المجلس الاستشاري عن الجلسة التي القى فيها رئيس الحكومة المؤقتة خطابه ، وقابل الحاضرون من النواب ايضـاحاته ببرودة ظاهرة .

وتفيد الأنباء نفسها ان العداء لبريطانيا العظمى يـتزايد في باريس. ان كره الانكليزي ينتشر فيها على ما يظهر . ولم تتردد الصحافة الفرنسية في اتهـام تشرشل بانه تحدث عن فرنسا في إحدى خطبه لدى مجلس العموم بلهجة تنازل يكاد لا يسترها شيء .

أعددت صباح الاثنين مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية ، وفقـاً لمخابرات سابقة جرت بهذا الصدد ، تشتمل على الحجج التي تؤيد قبول لبنـان في

مؤتمر سان فرنسيسكو وتستند الى تصريحـات السر ميلز لمبسون بتاريخ ٨ حزيران ١٩٤١ التي تؤكد للبنانيين تمتعهم بالحقوق الممنـوحة للأمم الحرة اذا انضموا الى جانب الحلفاء . كما تؤكد اشتراكنا بالمجهود الحربي ، بوضعنـا كل مواردنا تحت تصرف الحلفاء ، بصرف النظر عن الوف اللبنانيين الذين تطوعوا في الجيوش المقاتلة .

لكن فرنسا رفضت ان تكون في عداد الدول الخمس الداعيـة الى مؤتمر سان فرنسيسكو . فهي غير متفقة مع الدول الاخرى على بعض المقررات التي اتخذت في مؤتمر القرم ، ولانها ترغب في الاحتفاظ بحرية تصرفها ، إما بانتقاد هذه المقررات او بتقديم مقترحات جديدة .

نشرت الصحف هذا النبأ دون تعليق . واكتفت التيمس وحدها بالقول ان فرنسا أصرت على الرفض على الرغم من الجهود التي صرفت لحملها على العدول عنه . ان نقمة الرأي العام الفرنسي التي اقتصرت ، حتى الآن ، على بريطانيـا والولايات المتحدة ستتناول الاتحاد السوفياتي ايضاً . فقد اتضح نهائيـاً ان الاتحاد السوفياتي علق قبـول فرنسا في عداد الدول الداعية الى مؤتمر سان فرنسيسكو على موافقتها على جميع مقررات « يلطا » .

النبأ الثاني من أنباء اليوم خطير جداً وهو يتناولنا مباشرة . فلبنان وسورية ليسا في عداد الدول المدعوة الى سان فرنسيسكو . وفهم من مصدر شبه رسمي ان هذا الاهمال المقصود جاء نتيجة مساعٍ قام بها سفير فرنسا في لندن ، فلفت نظر وزارة الخارجية البريطانية الى الصعوبات التي تلاقيهـا الدول الغربية في التفاهم مع الجنرال ديغول ، والى ان دعوة لبنان وسورية الى مؤتمر الدول المستقلة لا يمكن الا ان تزيد هذه الصعوبات. فخضعت وزارة الخارجية البريطانيـة ، وهذا شأنها دائماً ، للمطالب الفرنسية .

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف قمت ووزير سوريـــا المفوض بمسعى مشترك لدى السر الكسندر كادوغان ، أحد أمناء السر الدائمـــين في وزارة الخارجية البريطانية ، وقدمنا له مذكرة تتضمن الاسباب التي تدافع عن حقنا بالاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو .

ثم القيت محاضرتي في مجلس العموم . الموضوع : القضية الفلسطينية . ولقد افدت من هذه المناسبة لألفت نظر الكثيرين من النواب الحاضرين ، واكثرهم من أعضاء لجنة الشؤون الشرقية ، الى التناقض الفاضح بين الوثائـق الرسمية الصادرة عن الحكومة البريطانية والسياسة التي تتبعها . وذكرت ، للتدليل على هذا التناقض، اعتراف بريطانيا باستقلال لبنان وسورية من جهة ،وعدم دعوتهما للاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو من جهة ثانية .

وكانت النتيجة ان هذا التنويه بالتناقض أثار استنكار الحضور جميعاً فكلف رئيس اللجنة الاستفسار رسمياً من المستر ايدن عن أسباب هذا الأهمال .

وعندما عدت الى المفوضية أبرقت الى بيروت بنتيجة مسعاي ونوهت بضرورة قيام الدول العربية بمسعى مشترك تعرب فيه عن تضامنها مـع لبنان وسورية .

وزرت يوم الاربعاء سفيري الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وطلبت تدخلهما لدى حكومتيهما لحملهما على قبولنا في سان فرنسيسكو .

فقدما لي أجوبة مشجعة . وتحاشى ممثل الاتحـــاد السوفياتي ان يعطي أي رأي شخصي مكتفياً بالتأكيد ان قضيتنا تؤخذ جدياً بعـين الاعتبار من قبل حكومته .

ثم تلقيت يوم الجمعة رسالة من رئيس الوزارة اللبنانية موجهة الى رئيس الوزراء

المستر تشرشل فاوصلتها فوراً . موضوعها يتعلق بمسعى جديد لتأمين حضورنا مؤتمر سان فرنسيسكو .

ويوم السبت بلغني ان رئيس لجنة الشؤون الشرقية اتصل بالمستر ايدن وفقاً لقرار اللجنة المتخذ بتاريخ ٦ آذار وسأله عن الدوافع التي أدت الى أهمال دعوة لبنان وسورية الى مؤتمر سان فرنسيسكو . فأجاب المستر ايدن بكثير مـن التردد ان المفاوضة مع الاتحاد السوفياتي لدعوة تركيا شغلت الحكومة الى حد ان الوقت أعوزها لمناقشة قبول لبنان وسورية . الشعور السائد في اللجنة هـو ان هذا الايضاح ليس ايضاحاً وانه لا يستر الاسباب الحقيقية التي أهمل من أجلها البلدان .

فكانت النتيجة ان ثلاثة نواب وجهوا الى الحكومة أسئلة بغيـة مناقشة الموضوع في مجلس العموم .

ونشرت « الهويتهول لتَّر » في عددها الصادر بتاريـــخ ٩ آذار ١٩٤٥ ، الاسباب التي حملت فرنسا على رفض الانضمام الى الدول الداعية الى مؤتمر سان فرنسيسكو . قالت : « هو فصل تعس كان يمكن تلافيه لو ان الديبلوماسية الفرنسية أظهرت لباقة أكثر . ويظهر ان الجنرال ديغول قد نجح بطريقة مـن الطرق خلال الاسابيع الاخيرة في وضع فرنسا في خصام مع الجميع . ان النفور السوفياتي تذكير قاسٍ للتنبيه الذي سبق للمارشال ستالين أن أرسله الى الجنرال ديغول بواسطة أحد رجال الدولة الاوربيين المرموقين . ومؤدى هـــذا التنبيه ان الماريشال ستالين لا يتحمل من قبل الفرنسيين أية محـاولة ترمي الى اثارة الحلفاء بعضهم على الآخر ويضعف وحدتهم . »

أهتمت الصحافة يوم الاحد ١١ آذار بموقف فرنسا من مؤتمر سان فرنسيسكو . وبدا ان رفض الحكومة الفرنسية الاشتراك في المؤتمر كدولةٍ داعية سبقه أرسال الدعوات باسم الدول الاربع الأخرى .

ان لهجة الصحافة تميل لفرنسا . الصحافة لا تخفي ان هذا الوضع المزعج ناتج في الاصل عن خطإ كبير أرتكبته حكومة الجنرال ديغول . لكنها تقول في الوقت نفسه ، ان موقف حكومة الاتحاد السوفياتي هو المسؤول عن هذا الوضع في النهاية . ان جريدة كالاوبسرفر تعطي لفرنسا الحق دون ان تخطّىء الاتحاد السوفياتي وتشجع الجنرال ديغول على موقفه الذي تصفه بانه ثابت ومنطقي .

من الصعب ان نعرف، على وجه التحديد، الى أي حد تعبّر الصحافة عن رأي وزارة الخارجية البريطانية وسياستها . لكن، بعد القلق الذي أثاره في بريطانيا عقد الاتفاق الفرنسي — السوفياتي ، أصبحت الدوائر الرسمية تميل الى افهام الفرنسيين ان عليهم ان يفتشوا عن اصدقائهم الحقيقيين لا في روسيا السوفياتية بل في هذه الناحية من أوروبا .

وكانت المعلومات المتعلقة بموقف وزارة الخارجية البريطانية من قبول لبنان وسورية في مؤتمر سان فرنسيسكو متضاربة وغير مشجعة يوم الاثنين . واذا لم تتدخل الدول العربية وتقوم بسعي قوي فان الحظ بتحسن الموقف ضعيف جداً .

جاء الكولونيل « نيوكمب » يحدثني عن الموضوع . فهو لا يملك أخباراً كثيرة ، ويبدو على الاكثر أنه مرهق . ان الانباء الواردة من دمشق وبيروت تفيد بانه ، اذا لم يسترضَ لبنان وسورية ، فالقضية ستطرح على بساط البحث إبان انعقاد دورة الجامعة العربية المقبلة في القاهرة . وسيطلب عندئذ من الدول المدعوة الى سان فرنسيسكو ان تتخذ الموقف الذي يفرضه التضامن بينها .

ويوم الثلاثاء ارسل المستر «وينانت» سفير الولايات المتحدة، السكرتير الاول « ر . هاري » ، الذي أكد ان الادارة الاميركية مهتمة غاية الاهتمام بقضية قبولنا في سان فرنسيسكو . ان السفير لا يستطيع التنبؤ على الاطلاق وبكل

تأكيد عما ستؤول اليه المساعي الجارية ، لكنه لا يعتقد بوجود اسباب هامة تحول دون قبولنا .

أما الانباء التي وردت من بيروت يوم الاربعاء فتفيد بان الجو السياسي في لبنان طبيعي وان الجنرال بينه هو في طريقه الى فرنسا يحمل معه بعض المقترحات التي يجب بحثها مع الحكومة الفرنسية . لم يرشح شيء حتى الآن عن هذه الاقتراحات . ولا يزال الغموض التام يغمر نيات « الكه دورسه » .

فيما يتعلق بسان فرنسيسكو يبدو ان الفرنسيين يميلون الآن الى اشراك لبنان وسورية في هذا المؤتمر .

نواب عديدون في مجلس العموم هاجموا بالحاح في محاولة للحصول على جواب واضح من المستر إيدن عن موقف الحكومة البريطانية من هذا الموضوع .

وفي المساء جرى استقبال في مقر المفوضية، ضم ما يقرب من خمسين شخصية من الشخصيات التي تنتمي الى الأوساط اللندنية الرفيعة .

وقمت وزميلي السوري بزيارة السفارة السوفياتية، يوم الجمعة ، لبحث مؤتمر سان فرنسيسكو . فاستقبلنا السفير استقبالاً يكاد ان يكون ودياً . وبعدما أوضح ان قبولنا في المؤتمر ينبغي ألا يكون موضوع جدل ، أصر بطريقة ذات مغزى ، على معرفة رأي الحكومة البريطانية معيداً الكرة ثلاث مرات . ووعدنا بأن يبلغنا جواب موسكو حالما يصله .

أما المعلومات عن موقف الحكومة الفرنسية فترد باستمرار متناقضة . جاء عن العاصمة الفرنسية ان المسيو بواتفان التابع لوزارة الخارجية القى محاضرة في معهد الحقوق قال فيها : ان قبول دولتي الشرق في مؤتمر سان فرنسيسكو

يستوجب بادىء ذي بدء التثبت من وثائق استقلالهما .

كتبت « الهويتهول لتر » يوم السبت بصدد موقف فرنسا من قضيتي سورية ولبنان ، قالت : « ان لسورية ولبنان حقوقاً بأن يدعيا الى مؤتمر سان فرنسيسكو ، ولا يقلّ حقهما عن حقوق البلدان الاخرى . ولكن نظراً للطابع الدقيق الذي تتسم به العلاقات بين هذين البلدين وفرنسا ، ونظراً لسرعة وشدة تأثر الدبلوماسية الفرنسية ، فان أللياقة توجب استشارة فرنسا بشأن دعوتها . لكن الحكومة الفرنسية عندما رفضت ان تشترك كعضو داعٍ الى المؤتمر حرمت نفسها من حق اختيار الدول التي ينبغي ان توجه اليها الدعوات » .

وعلى العموم فان « الايكونوميست » ، وهي المجلة الخطيرة ، كتبت عن مركز فرنسا الدولي فقالت :

« ان الفرنسيين الرصينين يستطيعون بحق ان يقلقوا عندما يكتشفون المركز المنعزل الذي أوصلتهم اليه سياسة الجنرال ديغول . لقد نجحت سياسة الجنرال ديغول في الماضي لا سيما في مشاحناتها مع انكلترا واميركا بسبب عنادها وقسوتها . ومن الواضح انه ليس من السهل ، بهذا القدر ، اتباع هذه الطريقة مع الروس . لقد اضطربت باريس واستغربت في الاسبوع الماضي صدور بلاغ عن موسكو يوضح بدقة ان الاتفاق الفرنسي — الروسي ليس الا أداة ثانوية تضاف الى مقررات يلطا .

وأخذ الرأي العام الفرنسي يستنتج من الموقف الروسي انه ينبغي على فرنسا ان تتوصل الى تفاهم أرحب مع الدول الكبرى الاخرى .

فعاد الميل الى اتفاق فرنسي — بريطاني الى الظهور . وينطوي هذا المظهر على صفة انتهازية غير مستحبة على الأغلب . فاذا كانت قيمة الاتفاق مع بريطانيا

معلقة على موقف موسكو فلن تكون للاتفاق ، والحالة هذه ، اسس واقعية » .

استقبلت يوم الاثنين على التوالي سفيري الاتحاد السوفياتي وتركيا . فاستوضح السيد غوزف بالتفصيل عن الحالة في لبنان . وأكد لي ، فيما يتعلق بسان فرنسيسكو ، انه نقل الى حكومته طلبي الذي قدمته نهار الجمعة الفائت وانه سيبلغني جوابها عندما يرده .

أما سفير تركيا فقد كان متشائماً سواءً لجهة قبول لبنان وسورية في مؤتمر سان فرنسيسكو او لجهة الحالة الدولية عموماً . فهو يرى في الحوادث التي وقعت في رومانيا مقدمة لاحتكاكات جديدة بين الدول تبدد الأمل بايجاد إتفاق طويل الأمد بينها .

والقيت يوم الثلاثاء محاضرة في الروتري كلوب في « أشير » وهي مدينة صغيرة واقعة في ضواحي لندن . كان موضوع المحاضرة: لبنان وتاريخه وعلاقاته بالعالم العربي .

والتقيت بين الحضور ، وهم مؤلفون من أعضاء الروتري كلوب ، المستر رولنسن ، الوزير المفوض المتقاعد ، الذي سبق له قبل ١٩١٤ ان جاء بيروت مرتين بصفة نائب قنصل . فأخبرني كيف تدخّل ذات يوم لاعادة السلام بين أهالي سوق الغرب وأهالي الجوار ، وان حاكم لبنان وجه اليه كتاب شكر . وهو لا يزال يحتفظ بهذا الكتاب كتذكار عزيز عليه .

الأنباء المتعلقة بقبولنا في سان فرنسيسكو والتي وردت الخميس تدعو الى التفاؤل . أعلن المسيو بيدو وزير الخارجية الفرنسية في تصريح رسمي ان الحكومة الفرنسية لا تجد أي مانع لاشتراك لبنان وسورية في هذا المؤتمر . والنتيجة الحتمية لهذا التصريح ، اذا لم تحدث مفاجآت ، هي ان دعوتين

ستـرسلان الى الدولتين .

خصصت التيمس يوم السبت مقالاً ثانياً عن القضايا التي تهم العـالم العربي . والمقالان كناية عن درس واقعي للحالة الجديدة التي نشأت في الشرق الاوسط عن توقيع ميثاق القاهرة . وتشير التيمس ، دون تفاؤل كبير أو ميل خاص وبوضوح ، الى مصلحة بريطانيا بالدرجة الاولى من تأليف كتلة قوية ومزدهرة مؤلفة من الدول العربية .

وقضيت يوم الاحد ٢٥ آذار في « ووكن » على بعد ٧٠ كيلو متراً من لندن . كانت السماء كثيفة الغيوم . لكن المطر كان متقطعاً مـما اتاح لنـا القيام بنزهة في العراء البريطاني الذي بدأ يرتدي حلة الربيع .

واقتصرت أنباء صحف الأحد على العمليات الحربية ، ومشاكل السياسة الداخلية التي تشغل في الوقت الحاضر الحكومة والرأي العام البريطانيين .

لكن الانباء التي تلقيتها يوم الاثنين عن اشتراك لبنان وسورية بمؤتمر سان فرنسيسكو تتحسن باطّراد ، وارسال الدعوة اليهما مرتقب بين يوم وآخر .

ان وزارة الخارجية البريطانية ابلغتني هذه المعلومات. واعتقد، بعد جهود دامت أياماً ، ان مساعينا تكللت أخيراً بالنجاح . وآمل ان يخلو الأفـق من أية شائبة .

قمت بزيارة سفير الارجنتين يوم الثلاثاء وتحدثت اليه بموضوع الاعـتراف باستقلال لبنان .

ثم عجلت في وضع تقريري الشهري الذي يشتمل ، عدا الظروف التي احاطت باهمال دعوتنا الى مؤتمر سان فرنسيسكو ، على علاقاتنا المقبلة بالمكسيك . ان

هذه الدولة تشير في المذكرة التي أرسلتها بواسطة وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الى استعدادها لعقد معاهدة صداقة مع لبنان .

الرأي الذي بعثت به الى بيروت بسيط وهو يستند الى تجربتي الحديثة التي نتجت عن تمرّسي بالسياسة الاوربية .

فقد اصررت على انه يجب ان نتخذ المقررات بالنسبة الى مصالحنـا العليا وبعدما نتأكد من اننا نفهم هذه المصالح العليا. اذا كنا نرغب في تدعيم مركزنا بان نقوم بعمل يدل على تمتعنا بمطلق السيادة في الحقل الدولي . اذا كنا نريد ان نشعر مغتربينا باننا أقرب اليهم وانه لا توجد أية عقبة تفصلهم عن وطنهم الام . اذا كنا نريد ان نهيء لنا في العالم قواعـد متينة ، بل امـتن من مجرد الاعتراف باستقلالنا . اذا كنا أخيراً نريد ان نخلق ، بعقدنا معاهدة صداقة مع المكسيك ، سابقة نقدمها انموذجاً للدول الراغبة في التفاوض معنـا لعقد معاهدات صداقة ، فان عملاً ايجابياً بهذا المعنى يفرض نفسه فرضـاً والضرورة ملحّة .

واضفت ان معاهدة مماثلة يجب ان تعقد مع البرازيل والارجنتين وكثير من دول اميركا اللاتينية .

ناقش مجلس العموم، يوم الاربعاء ، موضوع دعوة لبنـان الى مؤتمر سان فرنسيسكو . فاجاب المستر ايدن على الاسئلة العديدة التي وجهها اليه عدد من النواب قائلاً انه ينتظر ان ترسل الدعوات الى لبنان وسورية لحضور هذا المؤتمر.

وتلقيت من الطلاب اللبنانيين والسوريين في باريس كتاباً حماسياً يعربون فيه عن شكرهم وتقديرهم للعمل الذي أقوم به في لندن دفاعاً عن استقلال لبنان وسورية . ان مثل هذه الشهادات تؤثر في الجوارح مباشرة ، وهي أعز مـن

الشهادات الرسمية الاكثر جلاءً .

ارسلت الدعوات الى مؤتمر سان فرنسيسكو يوم الخميس . وظهر الخبر بشكل بلاغ وزع على الصحف ، ومكتوب بأسلوب يترك المطالع متوهماً ان لبنان وسورية مدينان لفرنسا بدعوتها الى المؤتمر .

ان الانباء الواردة من باريس يوم السبت تلقي ، اذا تأكدت ، ضوءاً خاصاً على موقف الولايات المتحدة من المشكلة الفرنسية ـ اللبنانية ـ السورية الذي يقوم على ما يأتي :

ان حكومة الولايات المتحدة اعترفت باستقلال لبنان وسورية دون ان تعترف بالمركز الممتاز الذي تدعيه فرنسا لنفسها في هذين البلدين . لكن هذا الموقف نسبي بمعنى ان حكومة الولايات المتحدة لا تتساهل مع المطالب الفرنسية فيما يتعلق بأي مركز ممتاز ، لكنها لا تمانع في منح فرنسا هذه الامتيازات اذا مُنحت في الوقت نفسه للولايات المتحدة .

ان مروجي هذه الانباء ينسبون الى الاوساط الاميركية في باريس الرأي الآتي :

ـ اعقدوا معاهدة مع فرنسا ثم اعقدوا معاهدة معنا .

من رأيي ان نستقبل هذه المعلومات بشك وتحفظ لانها تناقض تماماً التأكيدات المثالية التي اعطتها وزارة الخارجية الاميركية .

يوم الاحد اول نيسان هو عيد القيامة ! ولولا صوت الاجراس تقرع عالية لخيّل الي ان لندن مدينة ميتة .

صحف الاحد ظهرت كالمعتاد ملأى ، ليس فقط بانباء الحالة الحربية التي

تتطور بسرعة نحو المشهد الاخير ، بل بأنباء النشاط الدبلوماسي تأهباً لانعقاد مؤتمر سان فرنسيسكو .

ترى بعض الاوساط الدبلوماسية ان انعقاد المؤتمر سيرجأ الى موعد آخر . ان احد اسباب التأجيل هو ان المقاومة الالمانية على الجبهة الغربية تنهار باسرع مما كان مرتقباً . ان وقف القتال في مثل هذه الحالة قد يثير قضايا تستوجب حلاً سريعاً ، لا يسمح بالتريث حتى الانتهاء من مناقشات مؤتمر سان فرنسيسكو .

والعوامل الظاهرة تخفي ، في الواقع ، خلافات عميقة في وجهات النظر بين الدول الكبرى . فالاتحاد السوفياتي مثلاً يبدو وكأنه قد قطع الامل تماماً من عقد الاجتماع المقرر . وعدم تمثيل الاتحاد السوفياتي من قبل وزير الخارجية واكتفاؤه بأن يمثله سفيره في واشنطن ، يفسر على انه انسحاب من المؤتمر ولكن بطريقة مهذبة . وتظن بعض الاوساط السياسية في لندن ان الاتحاد السوفياتي قد ينسحب نهائياً الا اذا قبلت الدول الاخرى مطالبه .

اما المطالب فكثيرة ، واهمها :

١ ـ قبول حكومة « لبيلان » البولونية . وقد رفضت حكومتا بريطانيا والولايات المتحدة هذا الطلب استناداً الى مقررات يلطا . ان حضور بولونيا مؤتمر سان فرنسيسكو معلق بموجب هذه المقررات على تأليف حكومة مؤقتة تمثل بولونيا . ثم ان بريطانيا والولايات المتحدة لم تنشئا علاقات دبلوماسية مع حكومة « لبيلان » .

٢ ـ قبول « البيالورسيا واوكرانيا » كدولتين مستقلتين ، وهو ما يعطي روسيا ثلاثة اصوات بدلاً من صوت واحد .

٣ ـ تريد روسيا ان يظل الحلف الفرنسي ـ الروسي والحلف الانكليزي ـ

الروسي معمولاً بها بصرف النظر عن مؤسسة الامن التي ستنشأ في مؤتمر سان فرنسيسكو . في حين ان انكلترا واميركا تجدان ان هـذين الحلفين ينبغي ان يكونا خاضعين للمؤسسة العامة المختصة بالامن في العالم .

ثم ان الدومينيون البريطانية ليست موافقة ابداً على مقررات يلطا ، بـل تريد ان تحتفظ بحرية تصرفها في سان فرنسيسكو . اما موقف الرأي العـام الاميركي فلم يتضح حتى الآن . لكن الرأي العام ، وقـد تأثر على التوالي باكتشاف المقررات السرية التي اتخذت في يلطا ، يميل الى تأجيل المؤتمر .

اما الاوساط الرسمية فقد نفت يوم الثلاثاء فكرة تأجيـل مؤتمر سان فرنسيسكو . فالتأجيل ، اذا تم ، كارثة . وهي تأمل ان تذلل العقبات القائمة حالياً ، اما في اجتماع الدول الاربع الكبرى وانضمام فرنسا اليهـا أو بواسطة الطرق الدبلوماسية العادية .

أقامت سفارة مصر يوم الاربعاء حفلة غداء حضرها ممثلو الصحف البريطانية والدولية . وتلا القائم باعمال السفارة المصرية فذلكة عامة عن ميثاق جامعـة الدول العربية الموقع في القاهرة بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٤٥ . وتكلمت انا أيضـاً مجيباً على اكثر من اثني عشر سؤالاً طرحها الصحفيون .

وترأست عند الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين الحفلة التي أقامتهـا في « الدورشستر » وفود الدول العربية لمناسبة توقيع ميثاق القاهرة . كانت الحفلة فريدة ، فبلغ عدد الحاضرين حوالي سبعمائة شخص ، بينهم اعضاء الحكومة البريطانية وكثيرون من البرلمانيين اعضاء المجلسين ، واعضاء السلك الدبلوماسي واكبر الشخصيات التي يتألف منها المجتمع البريطاني .

لا تزال الاوساط البريطانية شبه الرسمية حتى يوم السبت تميل الى تأجيل

مؤتمر سان فرنسيسكو . وهي تقول انه ينبغي فسح المجـال أمام الحوادث الاوربية لتتخذ شكلاً نهائياً ، وينبغي على الأخص ترك المجال مفتوحاً أمـام المسعى الاخير لتأليف حكومـة بولونية واسعة النطاق وفقـاً لمقررات يلطا . وهذه الأوساط متأثرة بشكل سيء جداً باخفاق لجنة موسكو التي تحاول إيجاد حل لهذه المسألة ذات المرامي الدولية الخطيرة .

أما وزارة الخارجية في الولايات المتحدة فتميل الى عقد مؤتمر سان فرنسيسكو حالا . واهتمام الحكومة الاميركية ناتج عن اعتبارات محض داخلية . فالرئيس روزفلت ، وقد انتقدت غالبيـــة الصحف سياسته بشدة ، يخشى ان يُعتبر التأجيل افلاساً كاملا لهذه السياسة وان تصاب مكانته اصابات مميتة .

ووصلتني يوم الاحد ٨ نيسان رسائل من باريس تكشف عن رأي الاوساط السياسية الفرنسية ، قبيل محادثات سان فرنسيسكو ، والدول الخمس الكبرى . بمستقبل المستعمرات والانتدابات التي أسندت الى بعض الدول في أعقاب الحرب العالمية الاولى .

تعتبر هذه الاوساط ان أكثر الانتدابات من فئة (أ) لم يعد لهـا سوى شأن اسمي . لبنـان وسورية قد حصلا على استقلالهما وسيحضران مؤتمر سان فرنسيسكو. وما بقي من الانتدابات على هذه البلدان اصبح في طريق التصفية ، ويمكن ان تعلن التصفية عند الاقتضاء من قبل اية سلطة تقوم مقـام لجنة الانتدابات او من قبل لجنة الانتدابات نفسها اذا كانت لا تزال باقيـة . ليست هذه الا قضية شكلية ، غير ان الفرنسيين يعلقون عليها بعض الاهمية الحقوقية .

اما البريطانيون فيعتبرون ان كلمة انتداب فقدت معناها فيما يتعلق ببلدان الشرق التي اعترفت باستقلالها أهم الدول .

الفرق بين النظريتين ظاهر . فبينما يعتبر البريطانيون ان نظام الاستقلال في

لبنان وسورية قد استقر نهائياً ، يرى الفرنسيون ان الانتداب ، بالرغم من الوثائق الدولية الواقعية ، لا يزال مستمراً من الوجهة القانونية طالما لم تعلن انتهاءه سلطة دولية ذات صلاحية .

أما رأيي ، خلافاً لما تقول به المراسلات الباريسية ، فالقضية تتعدى حدود قضية شكلية ذات مغزى حقوقي . فهي وليدة موقف مدروس يقصد منه اشاعة جو من التهديد بالانتداب النظري على استقلال البلدين . وانه بالاستناد الى هذه التحفظات تستطيع فرنسا ان تستفيد من ظروف مؤاتية لتدعيم مركزها في الشرق .

وقد بدأت بعض الاوساط البريطانية يوم الثلاثاء تضع الخطط لمستقبل الشرق الأوسط .

هنالك افكار لم يكن لها إلا بعض المؤيدين ، وتبنتها التايمس ، فقالت :

« ان الشرق الاوسط ، نظراً لموقعه الستراتيجي ، يتسلط في وقت واحد على الاوقيانس الهندي وعلى المتوسط ، وعلى طرق المواصلات بين قارات ثلاث . أما بلدان الشرق الاوسط نفسها فغير منظمة وضعيفة وغير قادرة على الدفاع عن مركزها . من هنا ان كل واحدة من الدول الكبرى تطمع في بسط نفوذها عليها ، وسيفضي هذا التزاحم حتماً الى نزاع مسلح . فالحل العاقل يقوم اذاً على اشراك بريطانيا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وفرنسا في مراقبة سياسة هذه المنطقة واقتصادها » .

من المشكوك فيه ان تؤيد الأوساط الرسمية هذا الرأي الذي يفضي الى الامبرياليسم المشترك بين عدة دول بدلاً من الامبرياليسم الخاص باحداها .

أما أخبار اليوم فهي :

اشترطت وزارة الخارجية الفرنسية ، لعقد حلف مع بريطانيا ، ان ترفع سلطة

الجيش التاسع البريطاني عن القوى العسكرية الفرنسية المرابطة في لبنان وسورية ، كما طلبت انسحاب القوات البريطانية من هذين البلدين وتسليمهما لاشراف القوى الفرنسية وحدها .

اذا صح هذا الخبر فانه يعني بكل بساطة ان الفرنسيين يحاولون تدعيم مركزهم قبيل الدخول في مفاوضات مع حكومتي البلدين .

كما ان فيكتور خوري توجه الى السفارة الفرنسية وتمكن من تسوية الخلاف الذي نشب حول حق السلطات القنصلية الفرنسية في لندن في التأشير على جوازات المسافرين الى لبنان . ستمتنع السلطات القنصلية الفرنسية عن التأشير بعد اليوم تاركة هذه المهمة للسلطات القنصلية اللبنانية .

وقررت يوم الخميس ان أسافر الى بيروت لتجديد اجازتي من قبل المجلس وللاتصال بالحكومة . وعين موعد سفري في ١٧ الجاري .

اجتمعت هذا الصباح بخبراء وزارة الطيران البريطانية . ودار البحث حول مستقبل الطيران المدني في الشرق الاوسط . وكانت فكرة الاحتفاظ لطيران البلدان التي تتألف منها جامعة الدول العربية وحدها بالمشحونات في هذه المنطقة سائدة ، بحيث لا يحتكر تأمين نقل الأشخاص والمشحونات من نقطة الى أخرى داخل البلدان العربية وحسب بل حق استعمال الطرق الدولية أيضاً .

وستكون القاهرة احدى نقطتي الارتكاز للطرق الدولية ، كما تكون اثينا النقطة الثانية . يقول الخبراء البريطانيون انهم لا يرغبون مطلقاً في التدخل مع مؤسسات الطيران المحلية الا بمقدار ما تحتاج الى خبراء بريطانيين أو الى أدوات بريطانية .

ان توجيه السياسة الجوية البريطانية التي تتفق ومصلحة مؤسسات الطيران

المحلية في البلدان العربية وعلى الاخص في لبنان ، يستهدف معاكسة الضغط الذي تقوم به اميركا لتصديق البروتوكول الخاص بالحرية الخامسة من حريات الطيران .

نفت وزارة الخارجية البريطانية بشكل قاطع يوم الجمعة الخبر القائل ان الحكومة الفرنسية طلبت انسحاب الجيوش البريطانية من سورية ولبنان ، أو انشاء قيادة فرنسية مستقلة عن قيادة الجيش التاسع في الشرق .

لكن مقابلة المعلومات المختلفة المصادر التي جرت يوم السبت أوضحت ان الحكومة الفرنسية طلبت ، عبثاً ، سحب الجيوش البريطانيــة من الاراضي اللبنانية والسورية .

ويتضح من هذه المعلومات ومن موقف الكه دورسه ، الذي يبدو موالياً في ظاهره ، ان نشاط الحكومة الفرنسية يتفرع الى فرعين :

يرمي الفرع الأول الى اكتساب ود اللبنانيين والسوريين بايهامهم انه يوافق على استقلال لبنان وسورية بقدر ما توافق عليه الدول الأخرى . وآية هـذه السياسة هي الدعاية التي احيطت بها دعوتنا لحضور مؤتمر سان فرنسيسكو .

ويرمي الفرع الآخر الى تدعيم المركز العسكري الفرنسي قبيـل تقديم المقترحات الرامية الى تسوية علاقاتها بدولتي الشرق بصورة نهائية .

جولة في العواصم العربية

الاثنين ١٦ نيسان ١٩٤٥

تركت لندن هذا المساء مستقلاً قطار الساعة السادسة . وها أنا في بورتسموث لاستقل الطائرة الى القاهرة .

وكنت قد توجهت قبل مغادرتي لندن الى وزارة الخارجية البريطانيـة حيث قمت بزيارة طويلة للرئيس الجديد للقسم الشرقي فيها ، السر رونالد كامبل. وتناول الحديث الحالة العامة في بلدان الشرق ولا سيما الحالة التي قد تسفر تسويتها عن نزاع بين الفرنسيين وبيننا . واستعرضنا الاحتمالات الآتية :

ان الفرنسيين يستطيعون :

١ — الا يبلّغوا الحكومتين اللبنانية والسورية مقترحاتهم بقصد ربح الوقت وانتظار الظرف المؤاتي . وتعتقد وزارة الخارجية البريطانية انها تستطيع في هذه الحالة اقناعهم بوجوب تقديم هذه المقترحات وفتح باب المفاوضة في أقرب وقت ممكن .

٢ — ان يطالبوا بقواعد استراتيجية . ومن شأن هـذا المطلب ان يمس باستقلال بلدَي الشرق وسيادتها . ان موقف بريطانيا ليس واضحاً حيال هذا

الاحتال . ولكن يمكن استنتاجه من الاساليب العامة التي استخدمتها الاوساط الرسمية في لندن واعتمدتها أكثر من مرة . كالقول مثلاً برفض كل ما من شأنه ان يمس سيادة لبنان وسورية . وكقولهم اننا نؤيدكم في حالة تقديم مطالب فرنسية غير معقولة .

٣ – يستطيع الفرنسيون ان يطالبوا بابقاء الفرنك كأساس لنقدنا . ان وزارة الخارجية البريطانية تدرك تماماً شرعية اهتمامنا باستقلالنا النقدي . ولكن من المسلم به ان الفرنسيين لن يثيروا هذه المسألة الآن لان اثارتها ستزيد القضية تعقيداً . ومن ناحيتنا فلا ينبغي ان نثير هذه المسألة الا بعدما تكون سبل القضايا الاخرى قد مهدت .

وبحثنا أيضاً قضية فلسطين ، وتأثير السياسة البريطانية بشكل مفيد أو مضر على الشرق الاوسط بقدر ما تراعي في النهاية مصلحة اماني العرب أو تعارضها في فلسطين .

ثم جاء البريغادير كلايتن يزورني بينما كنت اهم بمغادرة المفوضية الى المحطة . انه متفائل على العموم بالرغم من ان بعض رجالاتنا السياسيين قد خيبوه . ان كلايتن لم يذكر أية أسماء .

وغادرنا مطار بورتسموث يوم الثلاثاء الى القاهرة مروراً بالرباط ، فبلغناها يوم الاربعاء حيث قمت بالزيارة التقليدية لقصر عابدين ورئاسة الوزارة ووزارة الخارجية ومختلف المفوضيات العربية .

ومساء الجمعة شرفني الملك بدعوتي لتناول طعام العشاء معه بصورة خاصة ، وبالتحدث اليّ عن السياسة المصرية وعلاقتها ببريطانيا العظمى ، وعن ليبيا ومستقبلها ، وعن لبنان . يستحق القسم المتعلق بلبنان ان يسجل بنوع خاص .

على أثر المشادة التي رافقت تأسيس الجامعة العربية والتوقيع على ميثاقها اعترف الملك بانه لم يفهم موقف الحكومة اللبنانية ولا الرأي السياسي الرامي الى عزل لبنان عن العالم العربي .

وأضاف : « احب لبنان . وأعز ما عندي هو ان أراه متمتعاً بالاستقلال وبالسيادة . كل ما نريد هو تعاون وثيق بين الدول العربية ، فتتألف منها جبهة منيعة ضد المطامع الاجنبية .

« اذا كان لبنان يريد ان يظل منعزلاً ، بالنسبة الى بقية الدول العربية ، فلا يبقى لنا الا ان نتركه وشأنه . وعندئذ فان السيطرة الاجنبية هي التي تنتظره » .

فهمت عندئذ الى أي حد كان اجتماع لجنة الجامعة صاخباً ، ومدى مقاومة لبنان للاحتفاظ بحرية تصرفه في نطاق الجامعة .

وأقامت المفوضية العراقية يوم الاحد ٢٢ نيسان مأدبة ضمت عدداً كبيراً من شخصيات الدول العربية . كان الجو مفعماً بالود ولم تنقطع التهانىء الموجهة اليّ شخصياً اعترافاً من اصحابها بالرسالة التي كنت أقوم بها ، لا لمصلحة لبنان فحسب ، بل لمصلحة جميع الدول العربية .

وبعد الغداء جرى الحديث حول قضية فلسطين ومستقبلها ، ثم خلوت بعبد الرحمن عزام ، الأمين العام لجامعة الدول العربية واستعرضنا جميع المواضيع الخطيرة كتنمية العلاقات بين الدول المنضمة الى الجامعة ، وتنقية الجو السياسي بين مصر وبريطانيا العظمى ، وامكانية ضم ليبيا الى مصر .

ولم اغادر القاهرة الى اللد على متن طائرة تابعة لشركة مصر إلا يوم الثلاثاء . واستقبلني على المطار عدد من وجهاء يافا .

زرت النادي العربي حيث الححت بصراحة على وجوب اتحــاد جميع الفلسطينيين واستعدادهم لمقاومة الخطر الصهيوني المتفاقم .

أقيمت بعد الظهر حفلة شاي على شرفي في الدارة الجميلة التي يملكهــا زهدي ابو الجبين ضمت عدداً كبيراً من الشخصيات الفلسطينية والبريطانيـــة ولقد رُفعت الاعلام اللبنانية ، وعزف النشيد الوطني اللبنـــاني والقيت الخطب الحماسية .

وانتقلت يوم الاربعاء الى حيفا فدخلتها يواكبني رتل من السيارات .

قمت بزيارة للطائفة الاسلامية ، وللطائفة الكاثوليكية ، وللطائفة المارونية. رفعت الاعلام اللبنانية في كل مكان ، بينما كان النشيد الوطـني اللبناني ينشد بحماسة جنونية .

ثم جرى اجتماع فخم عند الساعة السادسة في نادي العمال في حيفا ، وجهت اليّ اثناءه اسئلة عن القضية الفلسطينية فأجبت عنها طبعاً بقدر ما استطيـع من الدقة الممكنة .

وغادرت حيفا قبل ظهر الخميس فبلغت الحدود اللبنانية في الناقورة عنـد الساعة الحادية عشرة . كان مخفر الناقورة وما يحيط به يعج بالجموع القادمة مـن كل ناحية من الجبل . فمن طلقات نارية الى تدفق عواطف . مظاهر لم أعـد آلفها . تمكنت ، بعد جهد ، ان اتحرر .

وتحرك موكب يضم اربعمائة سيارة باتجاه بيروت .

كانت صور ، وقد اكتست حلل العيد ، أول محطة . توقف الموكب للرد على الخطب التي القيت .

اما المشهد في صيدا ، وهي المحطة الثانية ، فقد كان فريداً . ابنـــاء البلد جميعاً في الشوارع أو على الشرفات ، بينما تخفق ألوف الاعلام على المنازل الخاصة والدور العامة . وترجل جميع من في السيارات ردّاً على بادرة المدينة ثم قطعنا المسافة حتى دار البلدية مشياً على الاقدام . الحماسة والغبطة على كل وجه وفي كل قلب . يريد الجميع هنا كما في مصر وفلسطين ان يعربوا عن تقديرهم للجهود التي بذلتها في سبيل لبنان والبلدان العربية .

لم تتأخر الدامور ، ولا الشويفات ، ولا الحدث ، ولا الشياح عن ان تشرفني بعاطفتها . لكن استقبال حي البسطة في بيروت فاق كل خيـال . كان رياض الصلح وحبيب ابو شهلا والامير مجيد ارسلان وكثيرون من الاصدقاء في عداد الذين نظموا هذه المظاهرة الرائعة . توالت الخطب والكلمات الحماسية . وكانت الجموع تستقبل الخطباء بالهتاف . فاكدوا لي ان بيروت لم تعرف قط مثل هذا العيد بعد الزيارة التي قام بها الملك فيصل .

قمت بالزيارة الاولى لفخامة رئيس الجمهورية ، وتحدثت اليه بايجاز عن الحالة بوجه عام . انه يبدو ضعيفاً بسبب مرضه الاخير .

واستقبلت يوم الجمعة عدداً كبيراً من السياسيين ، وقمت بزيارة رئيس المجلس ووزير الخارجية . ان قسماً هاماً من الرأي العام يشكو من الحـالة السياسية الداخلية ويصفها بأنها سيئة جداً ، ويتهم الحكومة بارتكاب اخطـاء خطيرة . الحكومة حسنة النية ، لكن المعارضة لا تغفر لها هذه الاخطاء . تلك هـــي قاعدة الاسلوب السياسي .

ولم ينقطع سيل الزائرين حتى الاحد ٢٩ نيسان . هناك قرى كاملة تقريباً تتحمل نفقات كبيرة لتزورني .

فاللبناني لطيف ، مهذب ، مضياف وشجاع . لكنه يبالغ في هذه الصفات

الى حد ينقلب معه اللطف احياناً الى عاطفة مَرَضيّة . ولكم تضايق المبالغة بالتهذيب وبالضيافة . ان حيويته ووقته ، وفعاليته في الحياة تضيع غالبـاً في مظاهر خارجية لا تعرف الشعوب الاخرى ما يقاربها عنفاً . لكن هذه المظاهر هي ، مع الاسف ، سطحية فقيرة الى التعميق الذي يجعلها معقولة وقادرة على الاستمرار . نحن بحاجة الى منهاج تربوي جيد يعلم اللبنانيين فن تقدير مدى العواطف ، وفن السيطرة عليها ، ويعلمهم على الاخص الا ينقلوا السلاح الا عند الضرورة ، والا يعبّروا عن آلامهم وافراحهم بالجلبة واطلاق البنادق .

ثم سافرت صباح السبت الى دمشق ، فزرت رئيس الوزارة وقمت معه بزيارة رئيس الجمهورية حيث استعرضنا حوادث الاشهر المنصرمة ، وانتهينا الى ان الحالة لا تزال خطيرة لأن المطالب الفرنسية لم تتغير ، لكن اسلوبهم وحده تبدل . وهو ما يستدعي يقظة دائمة لئلا يظهر أي تراخ يفسر بانه ضعف .

ابى رئيس الجمهورية الا ان يشكرني بحرارة لدفاعي عن المصالـح السورية كدفاعي عن المصالح اللبنانية .

واقام رئيس الحكومة السورية على شرفي مأدبة اشترك فيها أعضاء الحكومتين وعدد من اعضاء المجلسين ، والقى السيد جميل مردم رئيس الوزارة السورية كلمة شكرني فيها على الخدمات التي قدمتها لسورية اثناء وجودي في لندن .

فاجبت داعياً الى التضامن بين الدول العربية للدفاع عن حقوقها المشتركة وعن حقوق كل واحدة منها .

وبعد الحفلة عقد اجتماع في مقر رئيس الجمهورية السورية لبحث القضيـة الخطيرة الناشئة عن انزال جيوش فرنسية في بيروت بحجـة استبدال قوات محلية بها .

لا يثق احد بالذريعة التي يدلي بها الفرنسيون . واستناداً الى آخر المعلومات فقد تنزل فرنسا جيوشاً أخرى قريباً . تقرر ارسال مذكرة احتجاج الى جميع الدول الحليفة .

تحدثت في اليوم الثاني الى وزير بريطانيا المفوض في بيروت ، المستر شون ، ووزير الدولة في القاهرة ، السر ادوارد غريك ، الذي جاء لبنان ليطلع بنفسه على الحالة . انه متأثر جداً من النشاط المتزايد الذي يبديه الشيوعيون ، ومن الاستفزازات الفرنسية التي تجازف باضرام النار . ولم أهمل الاجتماع الى وزير الولايات المتحدة ، المستر ودثورث ، الذي بدا لي قلقاً من جراء ما قد يطرأ من تطورات في المستقبل القريب .

يعتقد المستر ودثورث ان الفرنسيين سيرسلون فرقاً عسكرية اخرى لدعم مركزهم السياسي عند بدء المفاوضات . وموقفنا عند ذاك ، كما يقول ، يجب ان يكون سلبياً . أي يجب ان نرفض الدخول في أية مفاوضـات ، وان نطالب بعقد مؤتمر يضم الدول الخمس : الولايات المتحدة وبريطانيـا العظمى وفرنسا ولبنان وسورية .

وجرت ، اليوم ، الاحتفالات بانتصار الحلفاء في أوربا وكادت ان تنقلب الى حوادث دامية . فقد بدا منذ اليوم الاول ان هذه الاحتفالات التي استمرت ثلاثة أيام لم تكن تعبيراً عفوياً عن الفرح بانتهاء الحرب بالنصر ، بل برنامجـاً يرتكز على الاستفزاز ، كما لو ان النصر قد احرز ضد لبنان واستقلاله .

الاعلام الفرنسية منتشرة في كل مكان . وفي كل مكان اصوات حقد موجهة ضد اللبنانيين . واكثر المتحمسين هم المهتدون حديثاً من اتباع فيشي القدمـاء . وكان العسكريون ، وهم يرتدون ألبسة مدنية ترافقهم مجموعـة من الاطفال والبنات ، يخترقون شوارع بيروت على سيارات تابعـة للجيش الفرنسي وهم

يصيحون : « عاش ديغول . نحن رجالك يا ديغول . البلاد بلادك يا ديغول . »
وجرت محاولات لتنظيم تظاهرات في الاحياء المسيحية واثارة فتنة طائفية بين
المسيحيين والمسلمين . لقد اعتقدت السياسة الفرنسية انها ستتمكن بواسطة هذه
الحوادث من استعادة ما فقدته ، ومن ترسيخ اقدامها مجدداً .

استخدمت الحكومة اللبنانية كل امكاناتها للمحافظة على النظام والأمن .
واضطرتها الاصطدامات التي وقعت في اليوم الثالث بين أفراد الجيش الفرنسي
وأفراد الفرقة الفلسطينية التابعة للجيش البريطاني التاسع للتدخل فأنزلت الى
ساحة الشهداء الدرك والشرطة . وعندئذ سحبت القيادة البريطانية أفراد
الفرقة الفلسطينية . أما القيادة الفرنسية فلم تقبل بسحب أفراد جيشها الا
بعدما هدد الدرك تكراراً باطلاق النار .

الحالة في دمشق لا تقل توتراً عن بيرت . لكن الهدوء الذي اتصفت به
الحكومة السورية لئلا تفسح المجال لاية ذريعة تفضي الى الاستفزاز ، لم يمنع
فريقاً من الضباط الفرنسيين من مهاجمة بناية البرلمان السوري بواسطة القنابل
اليدوية .

لقد انضمت العناصر الشيوعية الى العناصر الفرنسية في سورية ولبنان .
وظهر على الابنية الفرنسية الرسمية علمان : العلم الفرنسي والشعار الشيوعي .

ان الحالة الحاضرة ، وهي على ما هي عليه من الخطورة ، تزداد حرجاً
لاسباب جديدة . اولها : ان الجنرال بينه زار الجنرال ديغول قبيل عودته الى
بيروت ، وتزود منه بتعليمات تتعلق بالمفاوضات لعقد اتفاق ينقذ الامتيازات
الفرنسية في حقول الثقافة والاقتصاد والستراتيجيا . وثانياً : الأنباء عن
وصول نجدة فرنسية . ان ممثلي اميركا وبريطانيا قلقون لهذه الانباء . ويقال

انهم اعترضوا باسم حكومتهم على انزال الجيوش . لكن الفرنسيين رفضوا
اعطاء اي تعهد بعدم انزالها .

ان وصول الجيوش خصوصاً بعد انتهاء الحرب ، اي في الوقت الذي ينتظر
فيه ان تسحب تدريجياً جميع الجيوش الموجودة في البلاد بسبب الحرب ، لا
يمكن ان يفسر الا كمقدمة لأزمة سياسية جديدة .

اذا ترك لبنان وسورية وحيدين فلن يقويا على الثبات طويلا في وجه القوى
المتزايد عددها .

والتهديد ، بتضامن الدول العربية وباثارة اضطرابات قد تشمل الشرق الاوسط
يستطيع وحده انقاذ استقلال بلدي الشرق ويجنبهما خسارة كبيرة في
الارواح .

ونظراً لأني زرت مصر وتبادلت الرأي مع أبرز قادتها السياسيين ، قررت
ان أقوم بزيارة الى العراق لأبحث نوع المساعدة التي يمكن ان يؤديها لنا عند
الاقتضاء .

تلقيت برقيتين من مفوضيتنا في لندن تؤكدان اهمية المساعدة التي يمكن
ان تقدمها البلدان المنضوية الى جامعة الدول العربية ، فشددت البرقيتان من
عزيمتي . فوافقت الحكومة اللبنانية على الفكرة ، وكذلك الحكومة السورية ،
الا انها أبدت تحفظاً نجم عن علاقاتها مع الحكومة العراقية .

وبالواقع فان الاتفاق ابعد من ان يكون تاماً بين دمشق وبغداد . وآخر
مظاهر الخلاف يتعلق برفض الحكومة السورية القبول بتعيين احمد الراوي
باشا في منصب وزير مفوض للعراق في دمشق ، ورفض حكومة بغداد تعيين
سواه . وهناك ما هو أهم مما ذكرت وما يخرج عن نطاق هذه المذكرات من

حوادث تتصف بها العلاقات بين البلدين .

استقليت الطائرة من دمشق يوم الأربعاء ووصلت بغداد بعد تحليق دام ثلاث ساعات . قمت بالزيارة البروتوكولية الى القصر الملكي ، والى رئاسة الوزارة ، والى غالبية الوزارات .

الجميع قلقون يترقبون اخباراً جديدة عن بيروت ودمشق ، وعن الأثر الذي تركه انزال جيوش فرنسية جديدة . جرى بيني وبين رئيس الوزارة حديث قصير عن نوع المساعدة التي يمكن انيقدمها لنا العراق اذا قام الفرنسيون بعمل ما .

رئيس الحكومة العراقية ايجابي . فهو مستعد لان يضع تحت تصرفنا كل مساعدة نطلبها .

هنالك عامل مجهول ، وهو موقف بريطانيا ، في مثل هذه الحالة . وأغلب الظن ان الحكومة البريطانية تعرض وساطتها ، ولكنها لا تعرقل مساعدات البلاد العربية .

استقبلني الوصي على العرش عند الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس . لفت نظري شبابه وشبهه بالمغفور له فيصل الاول . انه يتحدث بتأنٍ ونعومة تبطن بعض الصلابة . أما استعداداته فممتازة ، ويمكن ان تتخذ شكل مساعدة عسكرية اذا طلبت المساعدة العسكرية ، لكنه يود مع ذلك ان يستشير البريطانيين قبل ان يتخذ أي قرار نهائي ، احتراماً منه للمعاهدة التي تربط العراق ببريطانيا ولان العراق لا يزال معتبرا من مناطق الحلفاء العسكرية .

التقيت رئيس الوزارة وانا خارج من مكتب الوصي ، فحدثني بشيء من المرارة عن سياسة دمشق . واضاف ان الوقت ليس وقت عتاب ولوم ، وان حكومته

مستعدة لأن تقدم الى لبنان وسورية كل المساعدات التي يحتاجان اليها .

ثم قمت بزيارة سفير بريطانيا السر « هيوغ برد » الذي وصل الى بغداد منذ اشهر فقط . قال ان معرفته بالحالة قليلة وغامضة لكنه يشعر أنها أصبحت لا تطاق في بيروت وفي دمشق .

واستقبلت يوم الجمعة عدة شخصيات عراقية وتحدثت اليهم عن موضوع زيارتي للعراق . وكان جميل المدفعي ، ونوري باشا السعيد ، رئيس المجلس النيابي ، ورئيس مجلس الاعيان في عداد الشخصيات التي زارتني .

وكان من المتوقع ان أعود السبت الى بيروت ، لكن كرم الحكومة العراقية الرفيع ابى عليّ العودة قبل ان تقيم لي مأدبة تدعو اليها ممثلي السلك الدبلوماسي . ولا يمكن ان تعيّن الدعوة ، عملياً ، قبل يوم غد الاحد .

فاضطررت الى تأجيل عودتي ، بينما كانت الاخبار ترد من بيروت ودمشق معلنة انزال الف ومئتي سنغالي ، وتسليم الجنرال بينه الحكومتين مقترحات من شأنها ، اذا قبلت ، ان تكرس الامتيازات الفرنسية في الحقول الثقافية والاقتصادية والعسكرية .

وهكذا ، فلا الحرب ولا الاحتلال الالماني ، ولا اعلان استقلالنا ، ولا اعتراف الامم الكبرى به ، استطاع ان يبدل النزعات الاستعمارية عند بعض القادة الفرنسيين . ان المقترحات الفرنسية في سنة ١٩٤٥ ، هي العروض نفسها الواردة في معاهدة ١٩٣٦ .

كان رفض هذه المقترحات فورياً في العاصمتين . فاضربت بعض المدن السورية احتجاجاً على انزال الجنود ، وملأ المتظاهرون الشوارع .

استدعى الوصي على العرش السفير البريطاني ، وأجرى معه حديثاً خطيراً وطويلاً ظلت تفاصيله مكتومة .

وتوترت الحالة يوم الاحد ٢٠ أيار ، فالانباء الهاتفية تعطي بعض الايضاحات الاضافية عن تطور الحالة في بيروت ودمشق . حدثت بعض الاصطدامات بين الجيش والمتظاهرين . سقط بعض القتلى والجرحى في دمشق . اجتمع رئيسا الدولتين اللبنانية والسورية في شتوره وقررا رفض العروض الفرنسية رفضاً باتاً .

وكان من نتائج الحوادث ان حملت الحكومة السورية على تقدير الصداقة العراقية تقديراً أصح . فقبلت بعد ترددها الطويل بتعيين أحمد الراوي باشا وزيراً مفوضاً في دمشق . وكان لهذه البادرة الموفقة جداً أطيب الاثر في بغداد .

اطلعني تحسين بك قدري ، مدير وزارة الخارجية العام ، حيث قضيت الصباح كله ، على آخر التقارير الواردة من المفوضية العراقية في بيروت . تقرر في دمشق انشاء جيش وطني وطلبت الحكومة السورية الاسلحة لتسليح الجنود الجدد .

خاصة وان الحكومة العراقية لا تزال تملك الأسلحة والذخائر التي أرسلها الفرنسيون الفيشيون سنة ١٩٤١ الى أنصار رشيد عالي الكيلاني .

وأقامت الحكومة العراقية مأدبة العشاء في باحة قصر البلدية . ان الطقس ناعم . تالحر تلاشى مع قدوم الليل . وباحة القصر تبدو كأنها مطرح خلاب من مطارح الف ليلة وليلة بما فيها من ثريات مشعشعة تنعكس أنوارها على مياه الفرات الهادئة .

حضر المأدبة جميع أعضاء الهيئة الدبلوماسية ، والشخصيات العراقية

السياسية . وأنبأني سفير بريطانيا ان المستر ايدن استدعى اخيراً سفير فرنسا في لندن ، المسيو مسيغلي ، وأطلعه بكل وضوح على خطورة الحالة الطارئة في الشرق بسبب البادرة غير الموفقة التي قامت بها حكومته .

ويوم الاثنين قمت بزيارة رئيس الوزارة والمجلس النيابي . أطلعني رئيس الوزارة على القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء العراقي والقاضي بأن يضع تحت تصرف لبنان وسورية السلاح الكافي لتسليح قواتها النظامية .

كانت جلسة المجلس النيابي مشددة للعزائم بنوع خاص . بدأت بخطاب القاه رئيس الوزارة عرض فيه تاريخ الحوادث وتطورها في بلدي الشرق . ولام بعبارات صريحة المحاولات الفرنسية الرامية الى فرض سلطانها على هذين البلدين في الوقت الذي يحمل انتهاء الحرب الى العالم مناخ حرية وسلام . وأجاب النواب على هذا الخطاب بهتافات مصرّين على ألا تكتفي الحكومة بالنيات الافلاطونية بل تقدم فعلاً كل المساعدات الممكنة الى لبنان وسورية .

وتجددت الحوادث في حلب ودمشق يوم الثلاثاء ، فسقط فيها قتلى وجرحى عديدون بعدما استخدمت الدبابات والمدرعات الفرنسية الخطة نفسها التي اعتمدتها في بيروت إبان حوادث ١٩٤٣ ، وانطلقت في الشوارع تهاجم كل من تصادف في طريقها .

تنتظر بيروت ، وقد استعادت هدوءها ، انعقاد جلسة المجلس النيابي لتلقي الحكومة بياناً مسهباً عن الخطة التي قررت اتباعها تجاه المطالب الفرنسية. ستعقد الجلسة غداً ، والمؤمل ان تكون متفقة مع القرار الذي سبق للحكومة ان اتخذته بأن ترفض المفاوضة تحت الضغط كما ترفض الاعتراف لفرنسا بأي مركز ممتاز .

أما الاوساط البريطانية والاميركية في بغداد فهي ميالة تماماً الينا .

فقد أعلمني تحسين بك قدري أثناء زيارتي وزارة الخارجية ان الصحافة الانكليزية والاميركية بدأت تشن حملة على السياسة الفرنسية في الشرق تضاهي بعنفها الحملة التي شنتها لمناسبة حوادث ١٩٤٣ .

ان التأثرات التي أحملها من العراق ستظل محفورة طويلاً في ذاكرتي . نشاط العراقيين ولطفهم لفتني بقدر ما لفتني تواضعهم وسجية اخلاقهم .

عواطفهم نحو اللبنانيين خليط من المحبة والاحترام . انهم معجبون بتطورنا وبثقافتنا ، وهم يفكرون مخلصين في ان التعاون الوثيق بين لبنان والعراق ، اذا افاد لبنان من الناحية الاقتصادية فانه سيفيد العراق افادة لا تقدر من ناحيتي العلم والابداع .

ولم اغادر بغداد الا صباح الاربعاء ، فوصلت القاهرة عند الساعة الثالثة بعد توقف ما يقرب من ساعة ونصف في اللد من فلسطين .

الجو السياسي في مصر متلبد متوتر بعض الشيء . فالحكومة فرضت بادىء ذي بدء ، ولاسباب لا تزال مجهولة ، رقابة على الاخبار الواردة من لبنان وسورية ، فالرأي العام المصري يجهل الحالة .

أما الملك فانه بعكس ذلك ممتلىء بالاستعدادات الطيبة . ويستعد لاعطاء الاوامر ولاجراء كل ما من شأنه ان يساعد لبنان وسورية في نضالها . لم تخفّ الرقابة على الاخبار في الثاني والاربعين ساعة الا بناءً على تدخله .

وبعد ظهر الخميس عقد اجتماع في المفوضية السورية ، حضره جميع رؤساء البعثات العربية ، لاقرار جدول الاعمال المؤقت المتخذ أساساً لدعوة مجلس جامعة الدول العربية .

لكن المناقشات الكثيرة التي جرت كانت سطحية وعقيمة ، لم تسفر عن أية

نتيجة ايجابية .

وافادت انباء الجمعة ان الحالة لم تتبدل في بيروت ودمشق ، فالتوتر لا يزال على حاله . ولكن لم تقع اية حوادث جديدة .

يحاول الفرنسيون تشويش الرأي العام العالمي بما يريدون حمله على الاعتقاد ان انفعاله بسبب انزال فرق عسكرية كان خاطئاً لأن هذه الفرق ضرورية لسير الاعمال الحربية في الشرق الاقصى وللمحافظة على الامن .

ويوم السبت عاد الجنرال كلايتن من لندن . الرأي العام البريطاني منقسم كما يقول . هناك فريق يرى ان تدخّل بريطانيا ضروري للمحافظة على المصالح البريطانية ، بينما الفريق الآخر يريد ان تغسل بريطانيا يديها من الحالة ، وان تترك لفرنسا وللبنان ولسورية حل مشاكلها . بيد ان هناك فريقاً ثالثاً يميل الى استرضاء الفرنسيين ، دون تقديم أية مساعدة أدبية أو مادية لهم .

أما أوساط وزارة الخارجية البريطانية فتحافظ على صمت مطبق . فلقد قضى الجنرال كلايتن ساعة في دوائر القسم الشرقي التابع لها دون ان يسأله احد سؤالاً واحداً يتعلق بالحوادث الجارية في بلدي الشرق .

الا ان السياسة البريطانية خرجت يوم الأحد ٢٧ ايار عن الصمت . ان أبرز الحوادث ، مذ أخذت الحالة تسوء في سورية على الأخص ، هو التصريح الذي صدر اليوم عن وزارة الخارجية البريطانية ، والذي يندد بالحوادث التي وقعت في الشرق والتي ولّدها انزال جنود فرنسيين قبيل المباشرة بالمفاوضات مع لبنان وسورية .

ويضيف التصريح ان الحكومة البريطانية تراقب عن كثب تطور الحالة ، وانها على صلة وثيقة بالحكومة الاميركية لاتخاذ التدابير اللازمة بغية تلافي

تطور الحوادث بشكل يجعل كل مفاوضة مستحيلة في المستقبل .

ومن جهة ثانية ، دعي مجلس جامعة الدول العربية للانعقاد بتاريخ ٤ حزيران .

وعقدت يوم الاثنين جلسة في مجلس الشيوخ المصري ، فألقى النقراشي باشا، رئيس الحكومة ، بياناً مفصلاً عن الحوادث في سورية ولبنان محللاً الأسباب مؤكداً مساندة حكومته للبلدين .

دونت يوم الثلاثاء بدقة التصريحات التي أدلى بها المستر « غرو » ، وكيل وزارة الخارجية في واشنطن . فصرح بالحرف الواحد : ان وجهة نظر الولايات المتحدة كانت ترمي الى تسوية القضية بما يتفق تماماً واستقلال لبنان وسورية وبما يقر بالمصالح الفرنسية دون تميز عن سواها .

أما الأنباء التي وردت يوم الاربعاء ٣٠ ايار فهي الآتية :

١ – الحالة تتأزم يوماً بعد يوم في سورية . ويقال ان الحكومة اللبنانية طلبت من السلطات الفرنسية ان تسحب جيوشها من أهم المدن التي ترابط فيها .

٢ – ان المناقشة التي جرت في مجلس العموم تدل على ان الأوساط الدولية تعلق أهمية متزايدة على الخلاف الناشب بين فرنسا ولبنان وسورية .

ان لندن دائمة الاتصال بواشنطن . والعالم كله يجمع على تحميل فرنسا مسؤولية الحالة .

٣ – الصحافة الفرنسية تتبع لهجة جديدة . بعض الصحف تلح على أنه ينبغي لفرنسا ان تكون أكثر تسامحاً ، وعلى ان عظمتها الحقيقية رهن بهذا

التسامح ، لكنها لا تحدد بدقة ما يجب ان يشمل هذا التسامح وهذه العظمة .

وهنالك صحف تعزو مقاومة المطالب الفرنسية بعناد الى الوعود التي قطعتها انكلترا واميركا بمساعدة لبنان وسورية ، وتنتقد التصريح الأخير الصادر عن وزارة الخارجية وتطلب من الحكومة البريطانية ان تعترف دفعة واحدة وبصورة نهائية ، بأن حل القضايا الحاضرة مرتبط فقط بالمفاوضين الفرنسيين من جهة ، والمفاوضين اللبنانيين السوريين من جهة ثانية .

لكن أخبار الخميس كانت أكثر خطورة . فقد قصفت المدافع دمشق وقذفتها الطائرات بالقنابل . وشنت القوى الفرنسية هجوماً عنيفاً على البرلمان السوري فدمرت قسماً منه . وتعد الضحايا في حماه وحمص وحلب ودمشق بالمئات .

بيروت مقفلة تماماً . لكن لم تقع حوادث . لقد نقل الفرنسيون عائلاتهم الى الجبال اللبنانية تفادياً لاحتكاكها بسكان العاصمة .

ويستفاد من سلسلة الحوادث ، ان الحالة بلغت ذروتها على ما يظهر ، ولا يمكن ان تنتهي الا الى أحد المخارج الآتية : اما ان تنضم البلدان العربية الى القتال لنصرة لبنان وسورية ، فتصبح البقعة بكاملها طعماً للدم وللنار ، واما ان يتدخل الانكليز بسرعة لتلافي هذا الانفجار الكبير .

تناولت طعام الغداء مع « كلايتن » وممثل عن وزارة الاستخبارات والملحق بمصلحة الطيران في وزارة الدولة .

وذكرت الأنباء ان البريطانيين تدخلوا لاعادة الامن في دمشق . واذاع راديو لندن هذا المساء وصفاً لما جرى في جلسة مجلس العموم حيث القى المستر ايدن بياناً عن تاريخ الحوادث الدامية في العاصمة السورية .

وفي نهاية عرضه تلا نص المذكرة التي ارسلها تشرشل الى الجنرال ديغول. وفيها يعبّر عن اسفه لاضطرار الحكومة البريطانية الى التدخل المباشر للمحافظة على النظام والامن في بلدي الشرق . ويطلب اليه بالحاح اعادة الجيوش الفرنسية الى ثكناتها لئلا تصطدم بفرق الجيش البريطاني التاسع ، ثم اعلن المستر ايدن عن محادثات قد تجري في لندن ويمثل فيها لبنان وسورية .

بعد احداث سوريا

الجمعة أول حزيران ١٩٤٥

بلغنا مالطة قبيل منتصف الليل . كانت اخبار مصر تفيد ان فرق الجيش الفرنسي خضعت لاوامر القيادة البريطانية وعادت الى ثكناتها .

يبقى المؤتمر الذي سيعقد قريباً في لندن بدعوة من وزارة الخارجية البريطانية . فهل يقبل الجنرال ديغول هذه الدعوة، أم يرتكب الخطأ فيرفضها؟ نتمنى ان يرفض لأن الرفض يوفر علينا احتمال اجراء مفاوضات طويلة وعسيرة قد تشتمل بالنهاية على بعض الاخطار الحقيقية .

وصلنا حوالي ظهر السبت الى « بورتسموث » . استقليت قطار الظهر الى لندن حيث كان بانتظاري في محطة فيكتوريا أفراد عائلتي وموظفو المفوضية، وزميلي وزير سورية المفوض والقائم باعمال المفوضية العراقية والسكرتير الاول التابع للمفوضية الملكية المصرية .

نشرت الصحف هذا اليوم ان الجنرال ديغول رفض العرض البريطاني الرامي الى عقد اجتماع ثلاثي في لندن ، وانه سيحدد موقف حكومته في مؤتمر صحافي يعقده هذا المساء .

وقد حدد الجنرال ديغول موقف حكومته في المؤتمر الصحفي . تصريحاته

تملأ صحف الاحد التي علقت عليها . يبدو رئيس الحكومة الفرنسية وكأنه قد اجهد نفسه كثيراً . وعرضه للوقائع نسيج من عدم الدقة واستنتاجاته خليط من الاستفزاز والتهديد غير المموه .

الجنرال ديغول يرفض الاشتراك في مؤتمر ثلاثي يدعى اليه لبنان وسورية ، ويقترح مؤتمراً رباعياً تبحث فيه جميع القضايا التي تهم البلدان العربية حيث للولايات المتحدة وللاتحاد السوفياتي مصالح صريحة ، ويذكر قصداً مصر والعراق .

الهجوم موجه من جهة ضد بريطانيا مباشرة ، ويرمي من جهة أخرى الى اغراق قضية لبنان وسورية في مجموعة هذه المصالح . أما باقي العرض فالمقصود منه تحميل من يسميهم العملاء البريطانيين الاستفزازيين ، وحتى اللبنانيين والسوريين ، مسؤولية الحوادث الدامية في دمشق .

الصحف التي نشرت التصريحات لم توفر الجنرال ديغول . فالاوبسرفر تلوم صراحة وزارة الخارجية البريطانية لانها أوجدت ديغول ولأنها جعلته ، برغم كل اخطائه ، الحكم في السياسة الفرنسية . ثم ان اللهجة العامة التي اجمعت عليها الصحافة تعد بتصريحات جديدة للحكومة البريطانية قد يضطر المستر تشرشل للادلاء بها عند الاقتضاء بسبب مرض المستر ايدن .

تناولت طعام الغداء على مائدة الجنرال سبيرس في بيته القائم في الضواحي. لقد كان بادي النشاط في الخمسة عشر يوماً المنصرمة . ورأيه ان موقف بريطانيا واميركا سيزداد تصلباً اذا استمرت البلدان العربية عموماً في التشبث برأيها فيما يتعلق باستقلال لبنان وسورية استقلالاً تاماً وبجلاء القوات الفرنسية حالاً .

وتابعت الصحافة يوم الاثنين ٤ حزيران انتقاد تصريحات الجنرال ديغول .

لم يسبق ان حدث اجماع كمثل هذا الاجماع على ادانة السياسة الفرنسية في الشرق منذ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

تأثرت جداً هذا الصباح عندما حمل إليّ البريد رسائل من بعض الشبان البريطانيين يعرضون فيها التطوع في المنظمات العسكرية اللبنانية او السورية .

وأرسلت برقية مطولة الى بيروت وأخرى الى القاهرة احذر فيها الحكومة اللبنانية وجامعة الدول العربية من المناورات الفرنسية الرامية الى إغراق القضايا اللبنانية – السورية في مجموعة قضايا الشرق الاوسط . وشددت على وجوب الابقاء على تضامن الحكومتين اللبنانية والسورية ، وطلبت ان تعبّر الجامعة العربية عن تحفظاتها تجاه كل حل يعرضه الحلفاء ولا تكون الدول صاحبة العلاقة قد ناقشته مباشرة مناقشة الند للند .

ويوم الثلاثاء أدلى رئيس الوزارة المستر تشرشل في جلسة مجلس العموم ، بتصريحات تشكل جواباً على تصريحات الجنرال ديغول للصحفيين وتؤلف إيضاحاً مقتضباً شديد اللهجة ، وهي تسقط تماماً كل مزاعم الجنرال ديغول . فقد أكد المستر تشرشل ان بريطانيا العظمى كانت أبعد من ان تعمل على احراج مركز فرنسا في لبنان وسورية ، لكنها توسطت بكل أمانة لتسهيل الاتفاق بين الفريقين صاحبي العلاقة .

وأظهر رئيس الوزارة أثناء عرضه الحوادث الاخيرة ، وبكل وضوح ، انه جرى لفت الفرنسيين الى ان إنزال جيوش جديدة سيجر الى كارثة . لكن الجنرال ديغول بدلاً من ان يقتنع بادر الى ارسال التعليمات للشروع في مفاوضات ولانزال الجيوش في بيروت في وقت واحد .

وأكد المستر تشرشل عندما عالج أساس الموضوع انه ليس لبريطانيا أي مطامع في لبنان وسورية ، وانها لا تطلب أي امتياز لا تمنح الدول مثله . أما فيما

يختص بوضع فرنسا فقد أعلنت الحكومة البريطانية موقفها الخاص منه لكنها لن تفرضه على البلدين صاحبي العلاقة ، كما انها لا تعترض على منحها فرنسا أي مركز خاص .

ان خلاصة هذه التصريحات حسنة ، خاصة وان الحكومة البريطانية تصر على موقفها فيما يتعلق بالمؤتمر الثلاثي رغبة منها في وضع حد لحالة تنذر بأن تتفاقم من جديد وهي ترفض الاقتراح الفرنسي الرامي الى عقد مؤتمر تحضره الدول الكبرى لبحث مشاكل الشرق الأوسط .

هذا ، وبينما كان المستر تشرشل يدلي بتصريحاته أمام مجلس العموم ، كانت الوزارة الفرنسية توافق على اقتراح الجنرال ديغول الرامي الى عقد مؤتمر للدول الكبرى .

وقد بعثت الحكومة الفرنسية يوم الجمعة بمذكرة الى الحكومة البريطانية تتعلق بالمؤتمر الذي يقترحه الجنرال ديغول . ويقول راديو لندن ان القسم الأوفر من هذه المذكرة وضعه الجنرال ديغول نفسه .

أما الصحافة فقد استقبلت المذكرة ببرودة ، مكتفية بالاستنتاج ان مؤتمراً له مثل هذا الشمول ليس من الأمور التي يشار بها في الظروف الحاضرة .

ولا يبدو ان وزارة الخارجية في واشنطن تشاطر الحكومة الفرنسية رأيها في هذا الموضوع . وانتشر اليوم نبأ يفيد ان الأوساط السياسية الاميركية لا تظن ، ولو كانت القضية من اختصاص رئيس الولايات المتحدة ، ان الأخذ بوجهة نظر الحكومة الفرنسية أمر مقبول

أما الاخبار عن بيروت ودمشق والقاهرة فقليلة . يقال ان الفرق السورية الثائرة قتلت خمسة من الضباط الفرنسيين .

لذلك قررت عقد مؤتمر صحفي للتعبير عن وجهة النظر اللبنانية ـ السورية بعد الحوادث الخطيرة التي وقعت في الشرق . خاصة ان الصحف اللندنية الصادرة صباح الأحد ١٠ حزيران ذكرت ان الفرنسيين بعدما يئسوا من الحصول على حقوق لهم في سورية ، وجهوا كل نشاطهم شطر لبنان . والدعاية الفرنسية تميل ، وهي تثير القضايا الطائفية ، الى تفكيك عرى التضامن اللبناني ـ السوري أمام الرأي العام الاجنبي . لذلك فهي تشدد على القول ان الحوادث التي وقعت في المدن السورية لم تجد أية ردة فعل في المدن اللبنانية .

كلفتني الحكومة اللبنانية ، تحاشياً للنتائج المحتملة التي قد تخلقها مثل هذه الدعاية ، ان أذيع بياناً يؤكد تضامننا مع الحكومة السورية في سبيل غاية واحدة ، هي استكمال استقلال البلدين الناجز .

وعكفت صباح الاثنين على تنقيح التصريحات التي سأدلي بها الى الصحافة بعد غد في الثالث عشر من الشهر الجاري . وهي تتضمن عرضاً تاريخياً وواقعياً للحوادث التي أفضت الى الازمة الحاضرة ، وتفنيداً لمزاعم القائلة ان مقاومة لبنان وسوريا للمطالب الفرنسية نتجت عن وجود القوات والعملاء البريطانيين .

وتتضمن ايضاً تحديداً لموقف بلدي الشرق الذي لم يتبدل . هذا الموقف يختصر بكلمات : تحقيق استقلال البلدين استقلالاً تاماً . تعاون مع البلدان العربية المجاورة في نطاق ميثاق جامعة الدول العربية . رفض كل دعوى تدعيها أية دولة للاعتراف لها بمركز ممتاز .

ونشرت الايفنن ستندرد ايضاحاً صادراً عن وزير الدولة في القاهرة ، السر ادوارد غريك ، يؤكد ان وجهة النظر الفرنسية ، فيما يتعلق بالحوادث في سورية ، لا يمكن ان تثبت عند اجراء تحقيق نزيه مجرد فيها ، وكذلك مزاعم الجنرال أوليفا روجه الذي أعطى الأمر بقصف دمشق من الجو .

وتقول بعض الصحف انه من المحتمل ان يلتقي المستر هاري هوبكنز ، الممثل الخاص للرئيس « روزفلت » ، بالجنرال ديغول ليبحث معه ايجاد حل لمشاكل دولتي الشرق .

نشرت الصحف يوم الثلاثاء النص الكامل للايضاحات التي أدلى بها وزير الدولة السر ادوارد غريك .

هذه الايضاحات ، بما تشتمل عليه من دقة ، تنبىء منذ الآن بنتائج مهمة :

١ – هناك حل واحد لقضيتي لبنان وسورية . وهذا يضع حداً للمناورات الرامية الى منح لبنان نظاماً استقلالياً يختلف عن النظام السوري .

٢ – ان المقترحات الفرنسية لعقد مؤتمر للدول الكبرى بقصد اغراق قضيتي لبنان وسورية في خضم القضايا الغريبة عن الحوادث الحاضرة قد رفضت نهائياً . فقضية بلدي الشرق يجب ان يفصل فيها ، كما يقول السر ادوارد غريك ، في اجتماع يعقد بين بريطانيا العظمى واميركا وفرنسا ولبنان وسورية . فاذا كانت فرنسا ترفض الاشتراك في هذه المحادثات، فان بريطانيا واميركا ولبنان وسورية تستطيع ان تباشرها وان تحاول ، من ثم ، اجتذاب فرنسا اليها .

ادليت يوم الاربعاء بتصريحاتي الى الصحف ، في مؤتمر صحفي حضره حوالي عشرين شخصاً بين صحفي وممثل لوكالات الأنباء . وعدم الحماسة هذا ينبىء بأن تصريحاتي لن تلقى رواجاً كبيراً في بريطانيا العظمى على الاقل . واعزو ذلك لسببين :

١ – الرغبة في عدم زيادة حدة الخلاف القائم بين بريطانيا وفرنسا بصدد قضايا الشرق . ان الصحافة البريطانية تظهر في مثل هذه المواقف كثيرة التقيد بالنظام ، وتقبل عن رضى نصائح وزارة الخارجية البريطانية .

٢ – كون الرأي العام البريطاني مشبعاً كفاية بالاخبار المتعلقة بلبنان وسورية .

وفي المساء حضر الجنرال سبيرس واسرّ اليّ ان المستر « ريتشارد لو » صرح اثناء انعقاد لجنة حزب المحافظين انه يعتبر مشكلة لبنان وسورية مبتوتاً بها مبدئياً .

ونشرت الصحف يوم الخميس خبر زيارة الرئيس « هريو » قريباً للندن . كان المسيو هريو قد القى ، مؤخراً ، خطاباً لقي كثيراً من النجاح في العاصمة البريطانية . لكن أهم الصحف الفرنسية أهملت نشره . والخطاب ، بما تضمنه من تقرب من بريطانيا ، ولأنه ورد بعد تصريحات الجنرال ديغول ، أحدث تأثيراً كبيراً في الرأي العام البريطاني .

ويوم الجمعة ذكرت الصحف ان رئيس الوزارة عرض الخطوط الكبرى لسياسة دولية سلمية وذلك قبل حل مجلس العموم ودون ان يكون الأمر متوقعاً .

قال رئيس الوزارة فيما يتعلق بفرنسا وبالنزاع الحديث الناشىء عن حوادث الشرق ما حرفيته :

« ليس لنا أي مطمع في لبنان أو سورية ، وليس في نيتنا ان نسرق ما لسوانا من حقوق فيهما . هناك قضية النفوذ الفرنسي الذي نؤيده، ولكن بموجب محادثات وامام طاولة المؤتمرات . لم يعد من حقنا ان نشيد هذا النفوذ ولا ان نهدمه . وسنكون جد سعداء اذا كانت فرنسا تستطيع ان تتوصل لعقد معاهدة مرضية مع لبنان وسورية عن طريق المفاوضات . لقد قلنا انه عندما تعقد مثل هذه المعاهدة نسحب جيوشنا من هذين البلدين . »

واضاف المستر تشرشل ان وصول المسيو هريو الى لندن سينقي، كما يعتقد، الجو بين البلدين .

وافادت الانباء ان الجنرال ديغول سيدلي هذا المساء بتصريحات في جلسة المجلس الاستشاري . من الصعب الحكم بدقة على ما اذا كانت السياسة الجديدة التي اعلنها المستر تشرشل قد اعطت ثمارها في العلاقات بين الحكومتين .

لكن الصحف اختصرت يوم السبت المناقشات التي جرت أمس في المجلس الاستشاري ، وخصت خطاب المسيو بيدو ، وزير الخارجية ، بالقسط الاوفر من التعليق . وخلافاً لما كان منتظراً ، فان رئيس الحكومة الفرنسية لن يخطب الا في جلسة الثلاثاء ليختتم المناقشة .

لقد شدد المسيو بيدو كما يظهر على نقاط ثلاث :

١ – فهو يقترح ، بعدما رفض اقتراح فرنسا الرامي الى عقد مؤتمر بين الدول الكبرى ، الاحتكام الى مجلس الامم المتحدة بشأن قضية بلدي الشرق وأوضح دون ان يتكلم بصراحة عن مجمل قضايا الشرق الأوسط ، ان نمو الروح القومية في البلدان العربية يهم فرنسا كما يهم الدول الكبرى .

٢ – تذمر من معاملة السلطات العسكرية البريطانية للمدنيين والعسكريين الفرنسيين ، واتهم بريطانيا العظمى باغتصاب حقوق فرنسا لا اكثر ولا اقل .

٣ – لفرنسا في لبنان وفي سورية حقوق وامتيازات وهي مصممة على المحافظة عليها .

واجتمعت صباح هذا اليوم ووزير سورية المفوض ، بالسر روناللد كامبل ، الموجود حالياً على رأس القسم الشرقي في وزارة الخارجية ، وتحدثنا

اليه وسلمناه مذكرة تشدد ، بعد تصريحات رئيس الوزارة البريطانية ، على ان لبنان وسورية لا يقدران على الاعتراف لفرنسا بأي امتياز ولا على توقيع معاهدة معها ترتكز على هذا الأساس ، وكل اصرار بهذا الشأن لا يمكن ان يفضي الا الى منازعات باطلة .

ونشرت الاوبسرفر يوم الاحد ١٧ حزيران مقالاً ، اقل ما يقال فيه انه غريب عما يمكن ان يكون عليه موقف الولايات المتحدة الاميركية من النزاع القائم بين فرنسا وبلدي الشرق .

تكهن محرر الاوبسرفر السياسي عن الخطاب الذي يمكن ان يلقيه الرئيس ترومن على مسامع الجنرال ديغول في اجتماع لهما يبدو ان موعده تقرر أثر ارفضاض مؤتمر برلين .

سيقترح المستر ترومن ، وفق معلومات المحرر المذكور ، اجراء محادثات بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وفرنسا من جهة ، وجامعة الدول العربية من جهة ثانية ، تكون غايتها اعطاء مراكز استراتيجية ، بطريقة الايجار ، بحيث لا يفرض منح هذه المراكز اية وصاية سياسية .

أما فيما يتعلق بمصالح فرنسا الثقافية فالمحرر يضيف ان الرئيس ترومن خليق اكثر من غيره باقناع الجنرال ديغول بان المحافظة على النفوذ الثقافي في الشرق لا تستدعي تفوقاً سياسياً . اذ ان نجاح الجامعة الاميركية العظيم في بيروت تحقق دون الاعتماد على وجود عسكري .

ووردت يوم الاثنين من سورية اخبار عن وقوع حوادث جديدة ذهب ضحيتها ضابطان فرنسيان . وتعزى تبعة قتل هذين الضابطين الى قلة احترازهما بعدما رفضا العرض الذي قدم لهما لتأمين حماية بريطانية لهما .

أفادت انباء الثلاثاء ان المجلس الاستشاري الفرنسي اختتم مناقشاته للسياسة الخارجية واستمع الى عدة خطباء منهم الجنرال ديغول .

ونشرت صحف الاربعـــاء تفاصيل جلسة المجلس الاستشاري الفرنسي ووجهت انتقادات قاسية الى حكومة الجنرال ديغول لا بسبب سياستهـا في الشرق ، بل بسبب سياستها العامة التي تعرّض فرنسا للانعزال عن حليفـات الأمس .

والقى المسيو بيار كوت ، احد الوزراء السابقين ، خطابا استـُقبل بالاصغاء واعلن فيه ان عظمة فرنسا تقوم خصوصاً على احترامهـا مبادىء الحرية والديمقراطية داخل فرنسا وخارجها .

أما الجنرال ديغول فقد عاد ، بمرارة وسخرية حاقدة ، الى مهاجمة بريطانيا العظمى بعنف ، وكرر قراره بان يحافظ على المكانة الفرنسية في كل مكان .

وهذا هو نص الاقتراح الذي صوّت عليه المجلس الاستشاري الفرنسي في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩ الجاري . يقول الاقتراح ، بعدما يذكر الضحايا التي سقطت في الحوادث الاخيرة ويخص بالعطف الفرنسيين الذين دافعوا عن الشرق:

« ان المجلس ، وهو يؤكد صداقة فرنسا للعالم العربي ، واذ يعبّر عن رغبته في ان يرى الحكومة ، وقد استوحت سياستها في الشرق الأوسط من روح اعلان حقوق الانسان ، يصرح رسمياً بانه يتبنى اعـلان الاستقلال الذي وجه الى الشعبين اللبناني والسوري بشكل معاهدات تجري المفاوضات الحرة بشأنها .

« ويأخذ علماً بالتصريح الذي ادلى به رئيس الوزارة البريطانية بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٤٥ والذي اكد فيه ان الحكومة البريطانية لا تهدف الى الحلول محل فرنسا في سورية ولبنان ، بل تؤيد النفوذ الفرنسي في هذين البلدين بواسطـة

مفاوضات تتم في مؤتمرات تعقد لتتمكن فرنسا من التوصل الى اتفاق مستوحى من صداقة مطمئنة ودون المساس باستقلال البلدين وسيادتهما . »

وكانت مقالة التيمس الرئيسية شديدة الوطأة على الجنرال ديغول . لكنها تقترح أما اتباع سياسة مشتركة فرنسية ـ بريطانية بعيدة المدى، أو اتباع سياسة مقابلة في الشرق الاوسط يمكن اشتراك الدول الكبرى بها في المستقبل . وتنتهي الى القول ان استقلال الدول المنضمة الى جامعة الدول العربية واقع لا بـد من اخذه بعين الاعتبار منذ الآن .

ونشرت الحكومة البريطانية يوم السبت تصريحات جديدة توضح فيهـا سياستها في الشرق . وفيما يلي اهم ما جاء فيها :

« ١ — ان الحكومة البريطانية ، وفقاً لما سبق وعبّر عنه رئيس الوزارة ووزير الخارجية ، قد ضمنت الوعد باستقلال لبنان وسورية . ان تدخّل القوات البريطانية اصبح ضرورياً لأن الحوادث الاخيرة كانت تهدد بحدوث اضطرابات في الشرق الأوسط وبعرقلة مجهود الحلفاء الحربي .

٢ — ان القيادة العليا للجيش البريطاني في الشرق الاوسط تأخذ على عاتقها مسؤولية الأمن ريثما تحل القضية الفرنسية ـ اللبنانية ـ السورية بالطرق الدبلوماسية العادية .

٣ — على السلطات المدنية اللبنانية والسورية ان تساهم بكل مقدورها في المحافظة على هيبة القانون واستتباب الأمن . فهي مسؤولة مباشرة عن الأمـن في الأراضي اللبنانية والسورية . ويحق للقيادة البريطانية ان تقوم بأي عمـل تتطلبه الظروف دون تحيز . »

يستنتج مما تقدم ان هناك امرين فرغ منهما :

١ – لا يمكن المباشرة بأية مفاوضة تحت التهديد بالقوة .

٢ – ان المحافظة على النظام والامن ، بعدما كانت فرنسا تعتبر نفسها مسؤولة عنهما ، قد أصبحت من اختصاص لبنان وسورية كل في أراضيها .

لكن الجواب الفرنسي على التصريح البريطاني صدر في صحف الاثنين ٢٥ حزيران . هذا الجواب لم يعرض ، كما قيل ، على الوزارة الفرنسية ، بل ان معاوني الجنرال ديغول الأقربين هم الذين اعدوه بموافقة المسيو بيدو وزير الخارجية .

يكرر هذا الجواب المزاعم الباطلة ، ويهدف الى اثارة الرأي العام اكثر مما يعرض نظرة واقعية عن الحالة . وهو يتهم الحكومة البريطانية باسناد المسؤولية عن الأمن الى الذين اخلـّوا به ، أي الى اللبنانيين والسوريين ، كما ان الحكومة البريطانية متهمة بنقض اتفاق ليتلتن – ديغول . وأخيراً فان المقطع الوارد في التصريح البريطاني والذي يقول ان القيادة البريطانية تعمل ضد من يبدو مسؤولاً عن اختلال النظام عند حدوث اضطرابات جديدة ، قد فسر في باريس بانه كمقدمة لعدوان جديد على النفوذ الفرنسي في الشرق .

اقيمت يوم الاربعاء مأدبة غداء في المفوضية ... كان بين الحضور وزير سورية المفوض السيد الارمنازي وعقيلته ، واللادي شالمندلاي ، والسر رينالد ستورز . عاد الحديث الى الموضوع نفسه واكد الضيفان البريطانيان ان الرأي العام البريطاني يؤيدنا ايجابياً . لكنهما يريان ان الحل الذي يتخذ شكل التسوية يكون أسهل ، ويسمح سياسياً بانهاء الخلاف بصورة مستعجلة . كما ان قضية

فلسطين الشائكة يجب ان تصادف حلاً من هذا القبيل يعتمد على روح التسوية .
وكان رأينا بالطبع مخالفاً لرأيهما . فالقضية الفلسطينية تبدو شائكة لأن الجرأة مفقودة في بريطانيا العظمى . كما ان النية الحسنة اللازمة لحل القضية مفقودة أيضاً ... فالحكومة البريطانية قد ارتكبت الخطأ الأصلي بتوطيدها للصهونية في فلسطين ، واقل ما يقال عن سياستها انها لم تنشط جدياً لمعالجة هذا الخطأ .

ويوم الخميس تحدثت الاخبار عن وقوع حوادث جديدة في حلب حيث جرت تظاهرات صاخبة . ويقال ان الفرنسيين أطلقوا النار على مقر محافظ المدينة . ويشار الى إصابة جنديين بريطانيين بجراح بعدما أطلق النار على غير هدى .

أفادت بعض المعلومات يوم الجمعة ان الحكومة الفرنسية ستتقدم بعروض جديدة من الحكومتين اللبنانية والسورية . وبالرغم من ان هذه المعلومات لم تؤكد ، هناك من يظن ان الحكومة الفرنسية المؤقتة ، وهي تواجه عقبات في افريقيا الشمالية ، تميل الى تصفية القضية اللبنانية – السورية على الاقل قبل ان تتقدم من الناخبين .

ولعل مباشرة المفاوضات قبل وصول المستر ترومن الى باريس تدخل في الحساب . رأي الصحافة اللندنية هو ان هذه المفاوضات ستكون اليوم اصعب .

وفي سكون آخر الاسبوع اللندني وبسبب عدم وجود اخبار جديدة تشغلني اتجه تفكيري نحو مستقبل لبنان .

لقد حاولت ان أتخيل وأحدد البرنامج الذي يجب ان تلتزم به حكومة تعي مسؤولياتها ، حكومة تعنى ببناء الصرح اللبناني الوطني على أسس صحيحة

ودائمة من الاجتماع والاقتصـــاد والسياسة والادارة . لقد تصورت بسهولة كل الصعوبات التي يمكن ان تواجهها بلاد صغيرة لتخلق لنفسها مـكانا تحت الشمس . ولكن لن يكون لبنان وحده البلد الذي قـام بهذه المحاولة . ان سويسرا التي تشبه بلادنا بجغرافيتها ومناخها تظل ابداً المثال الحي للبـلاد التي هي مدينة بكيانها، كأمة، لرصانة سكانها، ولجهودها الدائمة الشجاعة، ولاحترام الحريات.

بدأت المعلومات المتعلقة بالعروض الفرنسية الجديدة الراميـة الى استئناف المفاوضات تتضح يوم الاحد اول تموز . الحكومة الفرنسية ، كما تقول الرسائل الواردة من المفوضية اللبنانية في باريس ، تعرض منذ الآن ، رغبة منها في اعطاء الدليل على نياتها السلمية ، تسليم الفرق الخاصة للقيادتين اللبنانية والسورية .

وتقول بعض الصحف اللندنية ان الحكومة الفرنسية ستعترف اعترافـاً نهائياً باستقلال بلدي الشرق لكنها ستذكر ان لفرنسا حقوقـاً في الشرق ينبغي لهذين البلدين اخذها بعين الاعتبار

ان القبول مبدئياً بالمفاوضة على هذه الأسس يتوقف حتمـاً على طبيعة هذه المصالح وعلى كون وجود هذه المصالح لا يمس بسيادة لبنان وسورية ، سواء في الحقل السياسي او في الحقل الاقتصادي .

وانبأت بيروت يوم الأربعـاء بزيارة الكونت اوستروروغ قريباً لبيروت ولدمشق حاملاً اليها عروضاً فرنسية جديدة . وتفيد المعلومات نفسها ان حكومتي لبنان وسورية غير مستعدتين للدخول في مفاوضات قبل ان تتسلما الجيوش وقبل الجلاء عن آراضي الشرق .

وترى التيمس ان موقف لبنان وسورية هذا تفرضه عليها رغبتهـما في عدم

البدء في المفاوضات ما دام هناك احتمال بتهديدهما باستعمال القوة .

أما فيما يتعلق بنوع العروض الفرنسية فتعتقد التيمس انها لا تحتوي على أي مطلب استراتيجي وانها تشتمل على اتفاقات اقتصادية وثقافية .

اليوم الخميس ٥ تموز ، تجري الانتخـابات العامة في بريطانيا العظمى . وبذلك تنتهي حملة انتخابية حامية الوطيس ، بلغت ، في بعض الايام ، حداً من العنف لم يعرفه التاريخ البرلماني الطويل في هذه البلاد .

وتجلى الفرق الكامل المدهش بين هذا اليوم وسائر الايام الماضية. كان السكون تاماً . ومضى المقترعون والمقترعات الى صناديق الاقتراع وعلامـات الاهتمام بادية عليهم كأنهم يذهبون للقيام بفرض من الفروض الدينية . الجد والسكون في كل مكان ، في الشوارع والمساكن. غداً تكون بريطانيا العظمى قد استبدلت حكومتها الحالية بحكومة اخرى ونسقاً تفكيرياً بآخر . لا شيء يعكر هذا الصفو الذي هو أحد مظاهر عظمة الشعب البريطاني والتي لا تقلّ في حقيقتهـا عن شجاعته وعن تحمله بمفرده القسط الأوفر من هذه الحرب .

جاء هانكي يزورني بعد الظهر . انه يتحدث بثقة عن الاكثرية الكبيرة التي ينالها تشرشل . تعتقد بعض الشخصيات التي اجتمعت بهـا ان الاشتراكيين قد احرزوا بعض التقدم وان المحافظين لن يتمتعوا الا باكثرية ضعيفة . وهنـاك اخيراً بعض اصحاب الميول التحررية الذين يتمنون للاشتراكيين انتصاراً يسمح بادخال دم جديد صارت بريطانيا بحاجة كبيرة اليه .

يبدو ان وزارة الخارجية اللبنانية شحيحة بالبرقيات . كان علينا ان نقرر

بانفسنا الخطة اللازمة كلما كان لبنان يجتاز احد الظروف العصيبة . لكنهـــا خالفت هذه المرة تقاليدها . فقد تلقت المفوضية يوم الجمعة مخابرة هامة تطلعهـا فيها على :

١ – قيام الجنرال بينه والكونت اوستروروغ بزيارة وزارة الخارجيـة .

٢ – موقف الحكومة اللبنانية التي تعتبر ان علاقات لبنان بالدول العظمى ينبغي الا يقرر بموجب معاهـــدات ، بل في مؤتمر دولي يشترك فيه لبنان . والتزام الحكومة السورية بموقف مماثل . ٣ – تعهد الفرنسيين بسحب جيوشهم من الاراضي اللبنانية عندما تنسحب الجيوش البريطانية . ان بقاء هذه الجيوش يسوى بموجب اتفاق خـاص يعقد في مؤتمر يشترك معنا فيه البريطانيون والفرنسيون . ٤ – استعداد فرنسا لتسليم الجيوش الخاصة للقيادة اللبنانيـة مقابل وعد تعطيه الحكومة اللبنانية بتنقية الجو السياسي .

قرأت صحف الاثنين ٩ تموز فعلمـــت ان الفرنسيين يسلمون باستمرار . فبعدما حاولوا جعل بعض عروضهم الجوابية مقبولة صرحوا بانهم سيسلمون الجيوش الخاصة كما يسلمون مختلف المصالح التي لا يزالون يضطلعون باعبائها .

ثم تحدثت طويلاً الى الكولونيل استرلن وهو مَن شَهرته السلطات الفرنسية باعتباره العامل رقم واحد من عمال الاستفزاز . انه ، بالرغم من هذه السمعة ، المحرك غير الرسمي لفكرة التعاون بين بريطانيا العظمى والبلاد العربية .

وعلمت يوم الاربعاء ان شاتم هوس او المعهد الملـكي للشؤون الخارجية يعدّ دراستين عن البلاد العربية . احداهما تتعلق بتنظيم القواعد العسكرية الـتي قد يقرر انشاؤها من قبل الدول الكبرى ، والاخرى تعنى بالعلاقات بين بريطانيا والبلدان العربية . اطلعت على التقرير المتعلق بالنقطة الاخـيرة . وبدا لي انه

ذو اهداف بناءة ، بني على الفكرة القائلة بانه لا يمكن قيام أية صداقة دائمة بين بريطانيا والدول العربية الا على اساس تام من المساواة . وفي هذا النطـــاق تكون جميع الاتفاقات ممكنة . بينما كانت سياسة المد الاستعماري التي اتبعت في الماضي تجعل كل نشاط عقيماً وكانت معرضة لاخفاق محتوم .

شؤون مختلفة

الجمعة ١٣ تموز ١٩٤٥

استقليت القطار عند الساعة التاسعة الى سوثمبتون حيث القيت محاضرة في الروتري كلوب . كان الموضوع : لبنان وعلاقاته بالبلدان العربيـة والدول الغربية ، وعلاقات مجموعة الدول العربية بالدول الغربية وخصوصاً ببريطانيا .

فانتقدت الماضي بمرارة واشرت الى مخاطر السياسة التي تتبعها الحكومـة البريطانية تجاه فلسطين . يلوح ان فئة من الحضور لم تكن موافقـة على القسم الأخير من المحاضرة .

وزرت « ايتون » في اليوم التالي حيث حضرت المباراة التقليدية في لعبـة « الكريكت » بين ايتون وهارو . هذه النزهة هي أول اجازة حقيقية تتاح لي منذ قدومي الى بريطانيا العظمى . كان الطقس جميـلا تتخلله بعض الامطار الخفيفة التي لم تمنع الوف الحضور من متابعة الصراع بـين فريقي المدرستين الشهيرتين حتى النهاية . استأثر فريق هارو بالمبادرة قبل الظهر وقسماً من الوقت بعد الظهر . لكن فريق « ايتون » تفوّق بالنتيجة .

ان تاريخ « ايتون » يعود الى الشطر الثاني من الجيل الخامس عشر . كان

تطورها بطيئاً وتقدمياً . وهي ميزة تتصف بها اهم المؤسسات البريطانية فتؤمن لها القوة والتفوق .

واستقبلت يوم الاحد ١٥ تموز في محطة فكتوريا وفد الصحفيين اللبنانيين والسوريين الذين يزورون بريطانيا العظمى .

انهم لا يحملون ، عدا بعض الاخبار المحلية القليلة الأهمية ، أية معلومات مهمة لم يسبق لنا الاطلاع عليها . سيحلّون ضيوفاً على وزارة الاستعلامات طيلة وجودهم في بريطانيا العظمى .

واقيمت يوم الاثنين حفلة استقبال في المفوضية على شرف الوفد الصحفي .

ثم دعت وزارة الاستعلامات الى حفلة غداء تقام تكريماً للوفد . لقد كان الجو حميماً ، وكانت الخطب التي تبودلت جد ودية .

ومن جهة أخرى تفيد انباء اليوم ان الاوساط الصهيونية تبذل نشاطاً متزايداً لابطال الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ . وتقرر عقد مؤتمر صهيوني في أول آب هدفه الأول ادخال مائة الف يهودي موجودين حالياً في اوربا الوسطى الى فلسطين .

يبدو ان الجانب العربي يجهل المخاطر التي تخفيها هذه الحركة . ان موقف العرب ، بعدما كان في طليعة المهام اليومية وبعدما طغى على النشاط الصهيوني ، دخل منذ أيام في ظلام .

لذلك قررت ، بعدما تحدثت الى المسؤولين في المكتب العربي ، ان ارسل برقية الى امانة الجامعة العربية بواسطة مفوضيتنا في القاهرة اشير فيها الى هذا الخطر الذي يزيده موقف العرب السلبي استفحالا .

تركنا لندن يوم الاربعاء الى الضاحية حيث استأجرنا بيتاً نمضي فيه فصل الصيف . هذا المسكن يقوم في قرية صغيرة من قرى كونتيه « ليكوليشير » واسمها بينبروك . وهو نفسه يدعى دارة بينبروك ، ملك لعائلة كلارك ويعود تاريخ بنائه الى القرن السابع عشر . الحديقة التي تحيط به فسيحة تحوي كل انواع النباتات من الحور الكبير حتى الورود اللبنانية .

وبينبروك قرية لطيفة وصغيرة جداً على أية حال ، عدد سكانها لا يتجاوز الستماية نسمة . وهي مختبئة في احد الأغوار . اما بيوتها فتبدو كأنها تتسلق سفح الرابية .

قيل لي ان الطرائد فيها كثيرة ومتنوعة : من ارنب بري الى ارنب تدرّج (ديك بري) الى حجل . وكانت زيارتنا الأولى ، كما يحدث في قرى لبنان ، للكاهن الذي رحب بنا . لقد كان مقيماً في لندن لكنه اضطر الى هجرها لأن احدى القنابل المحرقة سقطت على الكنيسة التي كان يخدم فيها فهدمتها .

تلقيت يوم الجمعة مخابرة تلفونية من المفوضية في لندن تفيدني ان مخبر الصحيفة الفرنسية « له موند » في بيروت يزعم ان البطريرك الماروني صرح باسم ثلاثماية وخمسين الف ماروني بانه يصر على ضرورة حماية فرنسا للمسيحيين .

من الصعب ابداء الرأي في هذا التصريح قبل الاطلاع على نصه الحرفي . انه يظهر كما نشر مغرضاً . ولا يستبعد ان تكون الدعاوة الفرنسية قد شوهته .

وزارني بعد الظهر المستر فليتشر أحد أغنياء المزارعين في بينبروك ووضع نفسه تحت تصرفي ليرشدني الى أراضي الصيد المجاورة للقرية .

وخرجت يوم السبت لاول مرة للصيد بعد قدومي الى بريطانيا العظمى .

نهضت عند الساعة الخامسة صباحاً وعدت عند الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، بعدما اصطدت خمسة ارانب برية . وابتهج اولادي جداً بالنزهة ، وهي الاولى من نوعها بعد مغادرتهم لبنان .

وعدت يوم الاثنين ٢٣ تموز الى لندن حيث باشرت ، من جديد ، الاعمال العادية في المفوضية . لا اخبار عن بيروت ولا عن وزارة الخارجية البريطانية . ان النشاط الدبلوماسي والسياسي لم يعد تماماً الى سابق عهده بعد الانتخابات .

لكن يوم الاربعاء تميز بوصول ثلاث برقيات متتالية من وزارة الخارجية في بيروت ، وهو حدث لا مثيل له في تاريخ مفوضيتنا الحديثة .

تنبئنا الاولى بأن تسليم القوات العسكرية الى السلطات اللبنانية يتم بصورة طبيعية .

والثانية تتحدث عن تخفيض اعتمادات المفوضية لمحض اسباب مالية .

وتسألني الثالثة الاتصال بوزير خارجية ليبريا في لندن بشأن اعتراف ليبيريا باستقلال لبنان وتبادل التمثيل الدبلوماسي بينهما .

وتناولت طعام الغداء على مائدة « و. و. أستور » في دارته الأنيقة في الشارع « ٤٥ اوبر غروفنر ستريت » . الاجتماع صغير خاص ، انضم اليه الكولونيل ليويلن وزير التموين . وتعرفت ايضاً الى اللادي « برونلو » وقد كانت صديقة للمسز سمبسون يوم بدأت مغامرتها الغرامية مع الملك ادوارد الثامن . وسيارتها « رولس رويس » التي اشترتها في ما بعد المفوضية اللبنانية هي التي استخدمها الملك في رحلته بعدما مرّ دوق وندسور في الظروف المعروفة .

وترأست يوم الخميس المأدبة التي اقامتها في السافوا مفوضيات البلدان العربية على شرف الوصي على عرش العراق الذي وصل اخيراً الى لندن . بلغ عدد المدعوين مئة ، بينهم أهم الشخصيات السياسية والاجتماعية في العاصمة .

وكانت نتائج الانتخابات النيابية قد بدأت تظهر . وحتى هذه الساعة كان العمال متفوقين على المحافظين بمايتي نائب . هذا الفرق استمر حتى نهاية اعمال الفرز .

ان انتصار العمال ادهش الجميع ، وأدهش العمال انفسهم .

وظهرت يوم الجمعة في الصحف التعليقات الاولى على نتائج الانتخابات ، وظهرت اسماء المرشحين الناجحين والمرشحين الفاشلين .

ان التعليقات تبطن الاستغراب . كتبت بعض الصحف ان العمال كانوا يفضلون الا يحرزوا مثل هذا الانتصار الكامل ، لان زمن السياسة السلبية الذي تمثله المعارضة قد انقضى وصار على الحزب ان يضطلع وحده بمسؤوليات السلطة في الظروف العصيبة في الداخل والخارج .

وودع المستر تشرشل الحكم بكلمة موجزة لا تخلو من بعض الحزن ، وهي الاخيرة التي تصدر عن دوننغ ستريت .

ولاحظنا ان بعض خصومنا من المحافظين سقطوا في الانتخابات ، لكننا خسرنا ايضاً اصدقاء من ذوي القيمة الكبيرة كالجنرال سبيرس و «و.و.أستور». نعدّ في صفوف العمال نوابا هم اصدقاء الاستقلال اللبناني والسوري علانية وأصدقاء القضية العربية على العموم . غير ان الخطوط العامة في سياسة العمال لا تزال غامضة . عرض بعض الاصدقاء المشتركين اعداد اجتماع بارنست بيفن والسر ستافورد كريبس .

يمكن من الوجهة الحقوقية الدولية اعتبار لبنان وسورية متمتعين منذ الآن بوضع راهن مكتسب بفضل اعتراف الدول الكبرى باستقلالهما ومؤازرة الولايات المتحدة الاكيدة . لكن ، ما دامت العلاقات مع الفرنسيين لم تسو بصورة نهائية ، فان الخطر من عودتهم الى المطالبة ، عندما تسمح لهم الظروف، بمركز ممتاز ولا سيما في لبنان يظل قائما . وسنظل ، حتى حدوث ذلك ، بحاجة الى الصداقة الايجابية التي تخصنا بها الحكومة البريطانية .

ونحن مضطرون لان نقوم في المفوضية ، من جديد ، بالعمل السياسي الذي سبق ان قمنا به . كما انه لا بد من بذل مجهود يقظ جداً لانقاذ القضية الفلسطينية من الارتباكات غير المنتظرة . ان الصهيونيين اعتبروا حزب العمال دائما المدافع الطبيعي عن قضيتهم .

تناولنا طعام الغداء في بلتن هوس على مائدة اللورد « برونلو » الذي هو اللورد قائمقام الملك في كونتية لكنشير ، يوم الاحد ٢٩ تموز .

بلتن هوس ، قصر فخم شيده في القسم الثاني من القرن السابع عشر اللورد برونلو الاول . يقوم على مسافة اربعة كيلومترات تقريباً من غرانتهام والى جانبه باحة عظيمة . ووراء الحدائق مزارع كثيرة تمتد خلفها اراض مخصصة للصيد تشتمل على بضعة الاف من الهكتارات .

ينتسب اللورد واللادي برونلو الى طبقة الأشراف الاقليمية المحافظة جداً . وبقي اسمها غير معروف الى ان حدثت مغامرة الملك ادوارد الثامن الغرامية مع المسز سمبسون . كان اللورد برونلو من اصدقاء الملك المقربين ، وكان الملك قد عينه في حاشيته الملكية . وعندما حدثت المغامرة وآلت الى ما آلت اليه من نهاية مفجعة ظل الصديق المخلص للملك على الرغم من نفوره البادي من المسز سمبسون . فرافقها الى فرنسا حيث كان يجب ان يلتقي بها ادوارد الثامن

بعدما أصبح دوق وندسور .

حدثنا اللورد برونلو بعد الغداء عن الايام الاخيرة التي سبقت تنازل الملك :

« لم اتمكن قط من التوصل الى معرفة الطريقة التي اقنعت بها المسز سمبسون الملك ليتزوجها . عندما جازفت للمرة الوحيدة ، وطرحت عليها السؤال كان رأسي مليئاً بسبعة عشر قدحاً من الكحول ، فما ان بدأت الكلام حتى تسلط عليّ الكرى » .

ثم أكمل :

« رأيي ان المسز سمبسون اكتسبت سلطة حقيقية على الملك الذي لم يبق قادراً على مقاومة ارادتها . ووقع حادث ، لم ينتشر الا قليلاً في ذلك الوقت ، عجّل في النهاية . ذلك ان السر الكسندر هاردن ، سكرتير الملك الخاص ، قدم له ذات يوم رسالة يطلعه فيها على مخابرة صادرة عن رئيس الوزارة المستر بلدوين ، يعرب فيها عن قلقه لتطور علاقات الملك بالمسز سمبسون ولتأثير هذه العلاقات على الرأي العام في الولايات المتحدة وفي الدومنيون وبريطانيا العظمى . ويلح رئيس الوزارة للحصول على اذن بتشييع المسز سمبسون الى ما وراء حدود المملكة المتحدة .

« ارسلت هذه المخابرة مع البريد العادي ، وظل السر الكسندر هاردن ورئيس الوزارة طيلة الصباح مضطربين جداً لمعرفة ردة الفعل عند الملك .

« لكن ادوارد الثامن ترك قصر بيكنغهام قبل ان يطلع على بريده ومضى الى سندرينغهام لقضاء أربعة أيام في الصيد . وهناك قرأ كتاب سكرتيره الخاص وطلب فوراً الى رئيس الوزارة ان يوافيه . ورفض الملك ان ينفصل عن المسز سمبسون واعلن انه مستعد للتنازل عن العرش ظناً منه ان قوله هذا يؤثر في

رئيس الوزارة فيتراجع امام خطورة ذلك القرار .

« لكن رئيس الوزارة تمسك بكلام الملك واختار التنازل » .

أما بصدد نتائج الانتخابات فقال اللورد واللادي برونلو وهما يضحكان انه اذا ساءت الأحوال بنظرهما مع حزب العمال فانهما سينتقلان الى لبنان ليقضيا فيه ما بقي من أيامهما . ان ارزة جبارة من ارز لبنان تضيف عظمتها الى روائع باحة قصرهما .

اقامت وزارة الاستعلامات يوم الاثنين حفلة استقبال على شرف الوفد الصحفي اللبناني ـ السوري .

لم يتمكن احد من الشخصيات التي اجتمعت بها ان يعطيني أية فكرة عما ستكون عليه سياسة الوزارة الجديدة . كان اكثرهم متشائمين بسبب العلاقات الوثيقة القائمة بين الصهيونيين وحزب العمال .

ارسل كل من الصحفيين اللبنانيين والسوريين أيضاً الى الصحف التي يمثلونها معلومات مسهبة فأشادوا بالعمل الموفق الذي حققته المفوضية اللبنانية في لندن وبالمكانة الممتازة التي توصلت الى احتلالها في الاوساط البريطانية .

ويوم الثلاثاء التقيت الجنرال سبيرس والمستر « و . و . استور » لاول مرة بعد اعلان نتائج الانتخابات . نهما يبدوان منهوكي الأعصاب .

استمر الحديث مع الجنرال سبيرس ساعة وتناول الحالة الجديدة الناشئة عن انتصار حزب العمال . وهو يميل الى الاعتقاد بان القضية العربية في فلسطين لم تكن يوماً اسوأ مما هي عليه اليوم . هناك حكومة يتسلط عليها النفوذ اليهودي ومعارضة يرئسها المستر تشرشل المعروف بميله الى الصهيونية . ان لجنة الشرق

الأدنى التي تألفت في مجلس العموم والتي كانت نواة جدية للمقاومة قد تبعثرت .

وحضرت حفلة استقبال اقامتها مفوضية العراق عند الساعة الخامسة والنصف على شرف الوصي على العرش ، حيث التقيت فيها صديقي النائب العمالي ريتشارد استوكس ، الذي كان يؤيد دائماً في البرلمان السابق وجهة النظر اللبنانية والسورية ، وقضية العرب في فلسطين . لم يكتم تخوفه من ان تتبع الحكومة سياسة مؤاتية للمصالح الصهيونية بالنظر الى عدد النواب اليهود الذين نجحوا في الانتخابات الأخيرة .

وفضلاً عن ان اكثر الاخبار لا تدعو الى الطمأنينة فقد خصت « المنشستر غارديان » اليوم فلسطين بمقال طويل . وبالرغم من تظاهرها بالتزام الحياد ذكّرت حزب العمال بوعوده بانشاء دولة يهودية في فلسطين . واضافت انه يكفي مؤقتاً ان يعدّل الكتاب الابيض فيسمح بادخال ألوف عديدة من يهود أوربا الى فلسطين ، وتتخوف الجريدة مع ذلك من معارضة جامعة الدول العربية التي « احرزت انتصاراً سهلاً جداً في لبنان وسورية » .

وقدعقد يوم الاربعاء أول آب اجتماع بين رؤساء المفوضيات العربية الاربع ، ولم يتمكن القائم باعمال المفوضية المصرية من الحضور . تناول البحث المواضيع الآتية :

١ ـ الحالة الجديدة الناشئة عن وصول حزب العمال الى الحكم .

٢ ـ المساعي التي ينبغي القيام بها لدى الحكومة البريطانية للافراج عن جمال الحسيني الذي نفي منذ ١٩٤٢ بامر من السلطات العسكرية في فلسطين .

٣ ـ التصميم الفوري على انشاء صحيفة في لندن ينفق عليها من الاموال المرصدة للمكتب العربي لتكون تابعة له وتدافع عن مصالح جميع

البلدان العربية .

اما المؤتمر الصهيوني فقد عقد يوم الخميس دون ان يتسرب شيء عنه . ويوم السبت عادت بي الذاكرة الى لبنان والى المكانة التي يجب ان يتبوأها في المستقبل. ان تنظيم لبنان يجب ان يستهدف تقوية فاعلية اللبناني حتى الحد الاقصى . يوجد في العالم امثلة كثيرة على بلدان صغيرة اكتسبت بجدها ونشاطها ، وارتفاع مستوى ثقافتها ، مكانة أرفع من مكانة امم أكبر منها بكثير . اسوج ونروج وبلجيكا وسويسرا وفنلندا تعطي الدليل على ما يستطيع شعب قليل العدد ان يقوم به عندما يكون ذا ارادة ثابتة صلبة .

ومن التفكير في لبنان ومستقبله نستطرد الى التفكير في البلدان العربية التي يقيم لبنان معها علاقات وطيدة .

يتراءى لي ، لأول وهلة ، احتمال انشاء كتلة متماسكة من البلدان العربية قادرة ان تصبح في المستقبل قوية فتفرض نفسها على سياسة دول أوروبا بدلاً من ان تسيطر هذه الاخيرة عليها .

ان الحربين العالميتين أظهرتا أهمية البلدان العربية من الوجهة الجغرافية ، وعلى الاخص مواردها وامكاناتها البشرية . لكن على البلدان العربية ان تعمل أيضاً أكثر من اللبنانيين لتنظيم نفسها وللخروج من النطاق الضيق الذي حشرت نفسها فيه منذ قرون .

هناك خطران يهددان البلدان العربية : الأول اهميتها الخاصة بالنسبة الى مواقعها الاستراتيجية ومواردها الاقتصادية التي تعرضها لأن تظل طريدة الاستثمار الاجنبي .

والخطر الثاني مردّه الى قضية فلسطين . وسيتوقف مصير البلدان العربية

في السنوات الخمس والعشرين المقبلة على الحل الذي سيقرر لهذه القضية . لقد ربحت الدول العربية الجولة الأولى بالحصول على استقلال لبنان وسورية مما جعل لها مكانة فعلية في السياسة الدولية . فاذا خسرت فلسطين ولا سيما اذا خسرتها بغلطها ، وبقلّة تنظيمها، تكون قد خسرت كل شيء دون ان يراودها أي امل بالنهوض قبل عشرات السنين .

عدت يوم الاثنين ٦ آب الى لندن حيث لم يعد العمل الى سالف عهده . ان الانكليز يقيمون كل سنة عيداً خاصاً يطلقون عليه اسم « بنك هوليدايز » . وهذا العيد ليس عيداً دينياً ، لكنه يسمح بفرصة كاملة ينقطع معها كل نشاط .

وأقمت ووزير سوريا المفوض حفلة وداعية على شرف وفد الصحافة اللبنانية والسورية . كان الجو مفعما بالصداقات الحارة . شكرني الكثير من الانكليز على مساهمتي في خلق هذا الجو ، وهم لا ينفكون يتمدحون الوفدين نظراً لمظهرهما اللائق طيلة اقامتهما في بريطانيا العظمى .

تعكر صفو هذا النهار الأنيس بمحادثة شخصية مؤسفة وقعت لي مع الجنرال سبيرس ، الذي صار عصبياً منذ المعركة الانتخابية الاخيرة .

أما يوم الاربعاء فاعلنت التيمس ، استنادا الى انباء واردة من مراسلها في بيروت ، ان تسليم الفرق الخاصة الى الحكومتين اللبنانية والسورية قد تم ، وان الاعلام الوطنية تخفق فوق المعسكرات .

والظاهر ان مصالح اخرى سلمت ايضاً ، لكننا لا نعرف ، بالضبط ، شيئاً عن طبيعتها .

وابلغتني الحكومة البريطانية يوم الخميس الدعوة الموجهة الى لبنان للاشتراك

في الاعمال التحضيرية لمؤتمر الثقافة التابع لمنظمة الامم المتحدة الذي سيعقد في لندن في أول تشرين الثاني ١٩٤٥ .

وصباح الجمعة ١٠ آب أعلنت محطة الاذاعة البريطانية انتهاء الحرب مع اليابان . فالحكومة اليابانية ، وقد اقتنعت بعقم اية مقاومة بعد القنبلة الذرية الثانية وبعد دخول الاتحاد السوفياتي الحرب ، قبلت بالانذار الذي وجهه اليها الحلفاء .

كان الشرط الوحيد الذي طالب به اليابانيون هو الاحتفاظ بالعائلة الامبراطورية المالكة .

ونشر المؤتمر الصهيوني في صحف الاثنين نص المقررات التي وافق عليها ، والتي تعتبر تزويراً وقحاً للوقائع وللتاريخ .

فهي تتضمن سلسلة من التدابير المؤيدة للصهيونية والتي يلقي تحقيقها ، بالشرق الاوسط ، في اتون من النار والدم .

لا ريب في ان ما يدفع الصهيونيين في هذا الطريق هو التشجيع الذي يسخو به رجال السياسة في الولايات المتحدة والعناصر التابعة للاشتراكيين في بريطانيا العظمى .

وقرأت في التيمس يوم الثلاثاء مقالاً عن فلسطين يبدو انه يعبّر عن وجهة نظر الحكومة البريطانية في الوقت الحاضر . فالتيمس ، وان لم تكن موالية جداً لليهود ، تقترح بالنتيجة تقسيم فلسطين الى منطقتين : يهودية وعربية . وينبغي ان تتمكن فلسطين العربية من الانضمام الى الجامعة العربية في أقرب وقت ممكن .

واستقبلني عند الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين المستر ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية في حكومة العمال الجديدة . وهو يعتبر أقوى شخصية بعد المستر تشرشل ، ويبدو ، منذ النظرة الاولى ، قوياً عنيداً .

تناول الحديث ، اولاً ، لبنان وسورية ، فأعربت عن الأمل بالا تأتي الحكومة الجديدة بما يهدم النتائج الطيبة التي حققتها السياسة التي اتبعتها الحكومة الائتلافية السابقة .

فأجاب المستر بيفن انه كان وزيراً في الحكومة السابقة ، وأيَّد المقررات التي اتخذها المستر ايدن فيما يتعلق بلبنان وسورية ، وهو يرى ان السياسة البريطانية لن تتبدل تجاههما .

وعندما تكلمت عن فلسطين قلت انه ليس لي مؤقتاً الا كلمة واحدة اقولها في الموضوع ، وهي ألا تتخذ الحكومة البريطانية أي قرار او تدبير يلحق بالصداقة القائمة بين بريطانيا والبلدان العربية اساءة عظمى .

المستر بيفن — ارجو ذلك ايضاً. ان قضية فلسطين معقدة صعبة الحل جداً.

قلت — ليست في الواقع صعبة على الاطلاق . وعندما رأيت المستر بيفن ينظر إليّ بدهشة، أضفت : ان ذلك مرتبط بالموقف الذي تريد الحكومة البريطانية ان تقفه . فاذا شاءت ان تساعد الاقلية اليهودية ضد الاكثرية العربية فان الحل يبلغ بكل تأكيد منتهى الصعوبة بل يصبح مستحيلاً ، لانه لا يكون طبيعياً .

المستر بيفن — كن على ثقة انني سأدرس القضية بكل اهتمام ، وانه لن يتم شيء قبل الدرس المستفيض الدقيق . عندنا كثير من الاضطرابات في العالم ، واننا حريصون على ان نوفر على أنفسنا اضطرابات في البلدان العربية .

وتلقيت بعد الظهر برقية من مفوضيتنا في القاهرة تتضمن رسالة الى الامير فيصل وزير الخارجية في المملكة السعودية تتعلق بفلسطين . وهي ترمي الى معرفة ما اذا كان وزراء الدول العربية المفوضون في لندن يجدون ضرورة لدعوة اعضاء الجامعة العربية الى الاجتماع .

فقمت بعد ظهر الخميس بزيارة الامير فيصل في دورشستر وحملت اليه رسالة الامين العام للجامعة العربية التي نقلت اليّ بواسطة مفوضيتنا في القاهرة

انها المرة الاولى التي التقي فيها الامير فيصل . وجدته ناضجاً مفكراً فهيماً ومعتدلاً . ظهر لي انه يحبذ فكرة قيام الجامعة العربية بعمل ما لكنه يجد من مصلحتها ان تدرس وضعها قبل الاقدام ، وان تزن امكاناتها . هل ان البلدان العربية مصممة على نجدة فلسطين لا سيما اذا اتخذت الجامعة قراراً يوجب تقديم المساعدة دون تحفظ ، حتى اذا تجاوز الحلفاء هذا القرار؟ هل تقف مكتوفة الأيدي ام تحمل السلاح ضد الصهيونيين ؟

لقد اتهم فيما مضى قسم من الرأي العام العربي والده الملك ابن سعود بانه لم يقدم أي برهان على أي تضامن تجاه فلسطين .

وأضاف الامير فيصل قائلاً : ان ما أشيع من ان الملك اظهر الفتور الذي اتهم به ليس صحيحاً . لكن تحفظه كان ناتجاً عن عجز العالم العربي عن تأييد موقفه لمصلحة فلسطين بشكل ناجح فعال .

نحن متفقان على وجوب دعوة جميع رؤساء البعثات العربية في لندن للاجتماع ودرس التدابير التي ينبغي الاشارة بها .

وفي اليوم التالي أبرقت الى امانة الجامعة العربية اعلمها بالنتائج الاولى التي توصلت اليها مع الامير فيصل . تلقيت بعد الظهر برقية ثانية من امانة الجامعة

تشكرني على اهتمامي بالقضايا العربية عموماً وبقضية فلسطين خصوصاً .

ثم قرأت في « التيمس » تصريحاً للرئيس ترومن يؤيد فيه زيادة عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين . ويحدد بدقة ، من جهة ثانية ، ان هذه القضية يجب ان تسير في طريقها الطبيعية ، أي في طريق المفاوضات الدبلوماسية مع بريطانيا العظمى والعرب ، وان حكومته غير مستعدة مطلقاً لارسال نصف مليون جندي اميركي الى فلسطين لاقرار السلام .

أما فيما يتعلق بلبنان وسورية فقد بلغني ان وزارة الخارجية البريطانية خابرت الحكومة الفرنسية بشأن اجلاء جيوشها بعدما فكرت الحكومة البريطانية بان تفعل ذلك . ولم يبلغ السفير الفرنسي في لندن بعد جواب حكومته .

وتحدثت انباء الثلاثاء ٢١ آب عن ازمة وزارية جديدة في بيروت . الحكومة استقالت بالرغم من انها احرزت اكثرية كبيرة أمام المجلس . هي الوزارة الثالثة التي تسقط منذ أيلول ١٩٤٣ .

معدل حياة الوزارات في لبنان تسعة أشهر تقريباً ، والنظام البرلماني لا يتصف بتنافس الأحزاب السياسية كأن يحاول كل حزب فرض برنامجه بواسطة الاكثرية ، بل يتصف بالحسد والمطامع الشخصية التي تتكاثف بسرعة حتى تتفاقم وتنفجر وتتمكن من قلب الحكومة .

وغادر لندن يوم الاربعاء وفد الصحافة اللبنانية . فسلمتهم تصريحاً عن الاتجاه الجديد الذي يجب ان تسلكه السياسة الاقتصادية في لبنان وفي البلدان العربية .

قلت : اذا كانت جامعة الدول العربية تريد ان تقوم بعمل انشائي فينبغي

الا تحصر نشاطها في الحقل السياسي ولكن يجب ان تسهر على انماء الحياة الاقتصادية وعلى رفع المستوى الاجتماعي في كل بلد من البلدان الاعضاء .

لكن الانباء افادت يوم الخميس ان الوزارة اللبنانية الجديدة تألفت . استمرت الازمة ثمانية ايام ، وهو الوقت الكافي لاختيار الوزراء على أساس الطائفية ولاختيار المرشحين الصالحين قدر الامكان من خلال الاطماع المختلفة .

والازمة الوزارية التي تفاقمت خلال عدة أشهر حتى انتهت في الاسبوع الماضي ، عنوان الازمات الوزارية في لبنان ومصدر قلق للمستقبل . وهي تتطلب اصلاحاً أساسياً في عاداتنا السياسية ربما يتاح لنا اصلاح دستوري موافق .

لم تسقط الوزارة الأخيرة كما لم تسقط الوزارات السابقة بسبب نزاع عقائدي أو خلاف على حل احدى المسائل السياسية الداخلية أو الخارجية . وهذا العيب الملازم للبلدان الصغيرة تتضاعف خطورته في لبنان لأن اللبناني لم يتمتع خلال ماضيه الطويل باستقلال حقيقي . فقضايا السياسة الخارجية والمالية والاقتصادية والاجتماعية وسياسة الأمن كانت تعالج في عهد الانتداب الفرنسي من قبل سادة غرباء .

ولقد انكفأ اللبناني على نفسه لأنه لم يكن يعني بغير تسوية قضاياه الصغيرة العادية ، وحصر نفسه في نطاق ضيق قلما تجاوز حدود القرية أو المنطقة الانتخابية حيث تسيطر الخصومات المحلية .

لذلك أرى ان البدء باصلاح عاداتنا السياسية يقوم على اجتذاب الرأي العام اللبناني للاهتمام بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية ، وللعناية بالشؤون الخارجية . يجب تثقيفه ليدرك ان البلدان الصغيرة كالبلدان الكبيرة ، تستطيع ان تحدد لها مكاناً تحت الشمس ، عندما تريد ان تخوض ، بجد ، الحياة العامة وعندما يؤهلها

وضعها الجغرافي الممتاز لذلك .

ووصلت يوم الثلاثاء ٢٨ آب برقية من بيروت تؤكد ، ولو بعد مدة ، تأليف الوزارة الجديدة ، ولم تصل الا بعدما شكوت من اني لم اطلع على سقوط الوزارة الا بواسطة بعض الانباء الصحفية المبهمة .

وفي المساء اقام النادي العربي مأدبة عشاء على شرف الامير فيصل . كان بين المدعوين من الشخصيات البريطانية جورج هال وزير المستعمرات ، السر كنهان كورنواليس ، اللورد كرومر ابن اللورد كرومر الشهير في مصر .

كان وزير المستعمرات جاري ، فتحدثت اليه عن حزب العمال وسياسته . فالتفت الى الجنرال سبيرس ثم اليّ وقال ضاحكاً : ان إحدى اعاجيب حزب العمال هي انه جعل المحافظين انفسهم « اشتراكيين » . هو نفسه عامل قديم من عمال المناجم ، قضى عشر سنين من عمره يعمل ، والمعول في يده ، لاستخراج الفحم . كان يتكلم بحرارة ، وكنت مدهوشاً لرؤيتي رجلاً في مركزه الحالي يتحدث عن أصله بسكون وثقة بلا خجل وعلى الاخص بلا كبرياء .

ابرقت الى بيروت يوم الاربعاء اطلب من الحكومة معلومات عن المساعي التي بذلت لأجل الغاء المراقبة العسكرية وعلى الاخص المراقبة البريدية واسأل ما اذا كانت تشير عليّ لبذل بعض المساعي بهذا الصدد في لندن .

ففي عداد النتائج الشاذة التي ولدها وجود جيوش أجنبية في لبنان ابقاء المراقبة البريدية التي الغيت في بلدان كبريطانيا العظمى اشتركت مباشرة في الحرب .

وتلقيت يوم الخميس معلومات هامة عن تنظيم التكتلات الدولية في الشرق وفي الغرب والتي تخصها المكاتب صاحبة العلاقة في وزارة الخارجية البريطانية

بدروس جدية .

ان هذا النظام يشتمل على كتلتين هامتين من الدول . تتألف الكتلة الغربية من بريطانيا العظمى وفرنسا وبلجيكا وهولندا واسبانيا والبرتغال وربما ايطاليا. أما الكتلة الشرقية فتتألف من بريطانيا العظمى ودول الجامعة العربية وتركيا . وسيوضع تصميم لتأمين التعاون الوثيق بين الدول العربية من النواحي الاقتصادية والسياسية وعلى الاخص العسكرية .

ويظهر ان وزير الخارجية الجديد المستر بيفن يدرس هذا النظام بهمة وتتخذ القضية الفلسطينية بنظره أهمية كبيرة لما يمكن ان يؤثر حلها على الرأي العام العربي .

اذا صحت هذه المعلومات فان الدبلوماسية العربية ستفتح مجالا واسعاً يجب ان تحسن الافادة منه .

وذكرت أنباء الاثنين ٣ ايلول ان الوفد الفرنسي القادم الى لندن للاشتراك في الاعمال الاعدادية لمؤتمر الصلح يعد مذكرة عن قضية « رينانيه ». فالحكومة الفرنسية تريد ان تضع هذا القسم من المانيا تحت المراقبة الفرنسية او ان تخضعه للمراقبة الدولية .

لا يستبعد ان يكون الجنرال ديغول قد أثار هذه القضية اثناء زيارته لواشنطن ، لكن يظهر انه لن يحدث ما يبدل المقررات التي اتخذت في بوتسدام.

ولم يتسرب شيء عن المطالب الفرنسية فيما يتعلق بلبنان وسورية . ومن المحتمل الا يكون الجنرال ديغول قد كاشف بها رئيس الدولة الاميركي . ومن المحتمل ايضاً ان تكون هذه القضية قد عولجت وان تكون دوائر وزارة الخارجية البريطانية تحيطها قصداً بالكتمان لئلا تفتح باب الجدل العلني من جديد

في موضوع ساده الهدوء مؤخراً .

هناك شيء واحد اكيد ، وهو انه لن تجري مفاوضات جدية لعقد حلف فرنسي – بريطاني قبل ان تجد قضية الشرق حلاً نهائياً .

وأذاع راديو لندن ونشرت الصحف يوم الثلاثاء خبر الدعوة التي وجهها المستر بيفن الى ممثلي بريطانيا العظمى الدبلوماسيين في عواصم البلدان العربية ، لعقد مؤتمر برئاسته يدرس علاقات هذه البلدان ببريطانيا العظمى في المستقبل وعلاقاتها بعضها بالآخر .

وتقول معلومات اخرى وردت هذا الصباح ولم تؤكد بعد ان المستر بيفن سيدخل حالاً بعد هذا المؤتمر او أثناء انعقاده في محادثات مع الممثلين الدبلوماسيين للبلدان العربية في لندن .

وقد توالت اجتماعات المستر بيفن مع الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين في الشرق الاوسط . لم يرشح شيء حتى الآن ، من هذه المحادثات ، الا ان الجو يميل الى التفاؤل. ويتوقع المستر بيفن والسفراء والوزراء المفوضون ببالغ الاهتمام ان تتسع حلقة التعاون بين البلدان العربية وبريطانيا العظمى ، ويعتمدون مقدماً على النتائج الطيبة التي سيولدها هذا التعاون .

وتلقيت بعد ظهر الاربعاء برقية من وزارة الخارجية في بيروت وأخرى من رئيس المجلس تطلبان إليَّ تمثيل البرلمان اللبناني في المؤتمر البرلماني الدولي الذي سيعقد قريباً في جنيف .

ولوحظ يوم الخميس ان اهتمام الصحافة بالمؤتمر المنعقد في وزارة الخارجية البريطانية يتضاعف . استغرقت الاجتماعات اليوم ست ساعات دون ان يعرف شيء عن المقررات التي ستتخذ . لكن الاوساط المطلعة تقول ان المقررات

ستكون خطيرة جداً وانها ستحدد السياسة البريطانية في الشرق الاوسط .

وفضلاً عن ذلك فان المقررات لن تتحول فوراً الى افعال بل ستكون بمثابة دليل يوجه السياسة البريطانية في المستقبل .

جرى لي حديث طويل في ساعة متأخرة من بعد الظهر مع المستر هندرسن السكرتير الاول في قسم الشرق الاوسط من وزارة الخارجية والذي كان الامين العام للمؤتمر. يبدو انه جد متفائل، ان لم نقل واثق، من حسن نهاية الخلاف الفرنسي – اللبناني – السوري . أما فيما يتعلق بحل مشكلة فلسطين فانه لن يحصل الا مرحلة بعد مرحلة ، وقد يجيء في مصلحة العرب . ولكن يجب ان ندخل ضغط اميركا في الحساب ، وهي التي تسيطر يوماً بعد يوم على هذه القضية .

أما السياسة فيما يتعلق بالقضية المصرية – وقد شددت على هذه النقطة – يجب ان تصبح اكثر وضوحاً من قبل الطرفين : فلا قومية مصرية عدائية ولا مبهمات وتهربات بريطانية . ينبغي للسياسة البريطانية ان تحصل على صداقة الملك وهو العنصر الثابت في السلطات المصرية . وتحقيقا لهذا الغرض يقتضي الشروع في ازالة كل اسباب الاحتكاكات التي توالت في السنوات الاخيرة .

وتضاعف يوم الجمعة عدم تأكدي من سفري الى جنيف لحضور المؤتمر البرلماني الدولي . واني بذلك لسعيد . لان هذا التغيب عن لندن حيث تجري محادثات تبدو على جانب خطير من الاهمية ، ليس في محله بتاتاً . وهو رأي الكثيرين من أصدقائنا البريطانيين أيضاً . ويرى بعضهم انه قد يُطلب رأيي في بعض قضايا الشرق .

أما فيما يتعلق بالشرق الاوسط فموضوع البحث يدور لمعرفة ما اذا كانت

سياسة الجامعة العربية تتفق مع وجود كتلة من الدول تشمل ايضاً تركيا . لا يوجد مبدئياً اي اعتراض على ان يمتد التعاون، الى حد ما، حتى تركيا وايران في نطاق اتفاق اقليمي . ولكن بحث هذا الموضوع من اختصاص مجلس الجامعة كما هو من اختصاص كل دولة من الدول المنضوية اليها منفردة . وان التعبير عن رأيي بهذا الخصوص سابق لأوانه .

ساد الاعتقاد يوم السبت ان الدعوة التي وجهها المستر بيفن الى ممثلي بريطانيا الدبلوماسيين في الشرق الاوسط لعقد مؤتمر في لندن ، والنشاط الكبير الذي يبديه هذا المؤتمر ، لهما علاقة مباشرة باجتماع وزراء الخارجية الخمسة الذي سيفتتح يوم الثلاثاء القادم .

الا انه لم يبقَ أي شك، على أية حال، في ان قضية لبنان وسورية ستطرح على بساط البحث اثناء مباحثات البريطانيين والفرنسيين القادمة . وتقول المصادر المطلعة ان حل القضية لن يلاقي صعوبة حقيقية بعدما تخلت فرنسا عن رغبتها في عقد معاهدة مع بلدي الشرق وبعدما سلمت الفرق الخاصة الى القيادتين الوطنيتين .

وتبدي الدبلوماسية الفرنسية عناية بحل المشاكل الاوربية اكثر من عنايتها بحل مشاكل الشرق الاوسط . ويتجه معظم نشاطها لتأمين نظام دولي لمنطقة رينانيه يجعلها مستقلة عن المانيا . أما القسم الآخر من هذا النشاط فيصرف لمحاولة الفوز بالمطالب الفرنسية حيال ايطاليا .

ولا تجمع صحف الاحد ٩ ايلول على القول انه يمكن اعتبار المشكلة الفرنسية – اللبنانية – السورية منتهية . فالسنداي تيمس تعتبر انه لم يبقَ ما يستوجب الحل بعدما سلمت فرنسا الفرق الخاصة وتنازلت عن مطلبها المتعلق بعقد معاهدة تحفظ لها مركزاً ممتازاً .

غير ان الابسرفر تعتبر ان هذه القضية ستكون موضع جدل بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية لايجاد حل يضمن المصالح الفرنسية في بلدي الشرق .

وتقول الانباء الصادرة عن بض المصادر شبه الرسمية من ناحية أخرى ، ان الفرنسيين ، بعدما انسحبوا من سورية دون أي امل بالعودة اليها ، سيركزون نشاطهم على لبنان للحصول على اعتراف ببعض الامتيازات .

وقد أدلى الجنرال ديغول يوم الاثنين بتصريح لمندوب التيمس الخاص تناول العلاقات بين بريطانيا العظمى وفرنسا والروح التي يجب ان تسودها .

وعلى الرغم من ان الجهات البريطانية سواء جهة وزارة الخارجية أو جهة رئاسة الوزارة قد التزمت الصمت التام بشأن دور بريطانيا في تنظيم أوروبا الغربية ، فان الجنرال ديغول يؤكد في تصريحه الطويل ان دور فرنسا سيكون أولياً وانه ، في أية حال ، لن يكون أقل من دور بريطانيا العظمى .

اجهل التأثير الذي قد يثيره هذا التصريح في الرأي العام الانكليزي . ويبدو انه موجه الى الرأي العام الفرنسي قبيل الانتخابات النيابية الفرنسية . ويظهر ان مراسل التيمس قد لاحظ هذه القضية فلم يتردد في كشف هذا الواقع ، وهو ان قسماً كبيراً من الناخبين الفرنسيين لا يوافقون على المشاريع العظيمة التي يعدها الجنرال ديغول والتي ستضاعف خطورة مسؤوليات فرنسا الدولية في المستقبل .

أما فيما يتعلق بالشرق الاوسط فان الجنرال ديغول يلوم الانكليز من جديد على ما يسميه « الانقلاب العسكري » في لبنان وسورية . وهو يود ان تتعاون السياسة الفرنسية والبريطانية على حل المشاكل العربية الخطيرة ، ويعتبر مثلا ان ادخال اليهود الى فلسطين كان أيسر لو ان الفرنسيين استطاعوا ان يساعدوا البريطانيين .

أما انباء وزارة الخارجية البريطانية ليوم الثلاثاء فلا تزال متفائلة . لا ينتظر حصول تعقيدات جدية فيما يتعلق بلبنان وسورية ، ولا صحة للانباء التي نشرتها الاوبسرفر اخيراً .

غير ان الحالة الداخلية في لبنان غير مشجعة . لقد فقدت الحكومة كل سلطة واحترام وتعاقبت الفضائح وشاعت الرشوة في الاخلاق واللبناني المتوسط لم يعد يسأل متى يذهب الفرنسيون بل متى تصبح عنده ادارة صالحة .

وراجت يوم الاربعاء في لندن شائعة تتفق مع التصريحات التي أدلى بها الجنرال ديغول والتي تزعم ان اتفاقاً فرنسياً – لبنانياً كان من شأنه ان يسهل تصفية المشكلة الفلسطينية . وهذه الشائعة تتعلق بخطة يقال ان الفرنسيين سيبلغونها قريباً الى البريطانيين ، وتنطوي على تقسيم الاراضي اللبنانية بحيث يُلحق القسم الجنوبي حتى صيدا بفلسطين ويُسمح بزيادة الهجرة اليهودية . ويبقى القسم الآخر من لبنان حتماً تحت النفوذ الفرنسي .

وعند الظهر تلقيت برقية من وزارة الخارجية تطلب اليّ ان اتتبع عن كثب سير مؤتمر وزراء الخارجية الخمسة لا سيما بما له علاقة بالمقررات التي قد تتخذ لانسحاب الجيوش الفرنسية والبريطانية المرابطة في دولتي الشرق .

لكن النبأ الذي أشرت اليه أمس فيما يتعلق بابلاغ وزارة الخارجية الفرنسية وزارة الخارجية البريطانية مشروعاً يتعلق بتقسيم لبنان لم يؤكد يوم الخميس . ان المستر شون ، وزير بريطانيا المفوض في بيروت ودمشق ، الموجود حالياً في لندن ، والمستر هندرسن ، وقد تحدثت اليهما هذا المساء ، كذباه تكذيباً قاطعاً .

واتضح يوم الجمعة ان قضية جلاء القوات الفرنسية والبريطانية عن الاراضي

اللبنانية والسورية غير واردة في جدول اعمال مؤتمر وزراء الخارجية الخمسة ولن تناقش ، بالتالي ، في المؤتمر . لكنها ستناقش في المباحثات التي ستجري بين الفرنسيين والبريطانيين لعقد حلف فرنسي – بريطاني .

وقد وصل الجنرال كاترو الخبير في القضايا الشرقية الى لندن . وتقول الاوساط السياسية ان لوجوده علاقة مباشرة بحل النزاع الفرنسي – اللبناني – السوري والنزاع الفرنسي – الهندي حلاً نهائياً .

وهناك ظرفان قد يؤديان الى تعقيد الحالة – التي كانت سهلة حتى الآن – في الشرق الاوسط :

١ – خلافاً لاعتقاد بعض الاوساط اللندنية ، لا سيما بعد تسليم الفرق الخاصة الى القيادتين اللبنانية والسورية ، فلا يلوح ان الفرنسيين قد تخلوا عن مطالبهم تجاه بلدي الشرق . ولفكرة الجنرال ديغول المتعلقة باتباع سياسة واحدة مع بريطانيا في البلدان العربية علاقة وثيقة ، حسب المعلومات الاخيرة ، بالرغبة في الحصول على امتيازات في لبنان وسورية .

اوساط وزارة الخارجية البريطانية التي كانت ترقب انسحاب القوات الفرنسية بصورة طبيعية ، تبدي في الوقت الحاضر تحفظات شبيهة بما كانت تبديه في كل مرة كانت فيها علاقاتنا مع الفرنسيين تمر في أزمة حادة . فاشارت ، من طرف خفي ، الى انه ينبغي الا نترك كل شيء لاهتمام الحكومة البريطانية ، وعلى الحكومتين اللبنانية والسورية ان تطالبا ، متضامنتين ، خلال اسابيع ، بجلاء القوات المعسكرة في أراضيهما والغاء جميع السلطات العسكرية والسياسية التي لا تزال فرنسا تحتفظ بها .

٢ – المذكرة التي وجهتها مصر الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الخمس والتي

تطالب بليبيا وبالسودان وبصوماليا الطليانية والتي احدثت هزة في الرأي العام البريطاني الذي استقبلها بمرارة وبشيء من الحقد . لقد عاد عهد الصعوبات الحقيقية بين البلدين من جديد ولو بصورة غير رسمية .

واثار نبآ ن هامان تعليقات صحف الاحد ١٦ ايلول :

الاول : يتعلق بالمحادثات الفرنسية البريطانية. تؤكد الصحف ان الاتصالات جرت بطريقة موضوعية ، وتضيف ان الفرنسيين مطمئنون الى الطريقة التي يتبعها المستر بيفن لحل مشاكل الشرق الأوسط .

والثاني : يتعلق بفلسطين .

وتعلن « الاوبسرفر » ان وزارة الخارجية البريطانية ستذيع حلاً لهذه القضية في الشهرين القادمين . ولا تستبعد الجريدة نفسها ان تحدث أزمة يهودية أو عربية .

استمرت المحادثات الفرنسية – البريطانية يوم الثلاثاء . لكن يظهر انه لن يبت بشيء قبل الانتخابات الفرنسية التي ستجري في تشرين الاول القادم .

هذه المحادثات اقلقت الأوساط السورية فكلفت حكومة دمشق وزيرها المفوض تقديم مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية ، تؤكد فيها انها ترفض منذ الآن جميع المقررات المتعلقة بسورية والتي لا تشترك الحكومة السورية في

وضعها .

فابرقت صباح اليوم الى بيروت مطالباً بتعليمات مماثلة .

وتوالت يوم الاربعاء ١٩ ايلول الانباء المتناقضة . فعلى الرغم من الحجاب الكثيف الذي اسدل على المؤتمر الذي عقد بين المستر بيفن والدبلوماسيين البريطانيين المفوضين في الشرق الأوسط وعلى المحادثات الفرنسية ـ البريطانية ، يعتقد بعض أعضاء حزب العمال انه ينبغي اعتبار القضية اللبنانية ـ السورية منتهية . وان المستر بيفن قد اظهر حزماً ، كما يقال ، فاقتنع الفرنسيون بما رسم لهم .

اما فيما يتعلق بفلسطين ، فالحل المطروح اليوم ، والذي لم يتخذ بعد شكلاً نهائياً ، مستوحى من الكتاب الابيض الموضوع سنة ١٩٣٩ وهو يترك باب الهجرة مفتوحاً بمعدل سنوي يحدد فيما بعد .

ان شبح الثورة بدأ يلوح على اعتاب فلسطين وراح الانكليز يعدّون لمواجهته العدة العسكرية اللازمة ، كما ان علامات تعكير صفو الأمن بدأت تظهر من الناحية الصهيونية .

وبانتظار ذلك فان الصعوبات الدولية تزداد بدلاً من ان تتضاءل. فالاتحاد السوفياتي ، وقد شجعته الانتصارات الدبلوماسية التي احرزها في أوروبا الوسطى ، أخذ يوجه مطالبه نحو الشرق الأوسط والبحر المتوسط . وهو يطالب بالوصاية على طرابلس الغرب . وبعدما شغل حكومة ايران بمشاكل خطيرة ، أخذ يشجع

الثورة الكردية في العراق . وتركيا تعيش تحت السلاح . وانكلترا ستبقي ثلاثة ملايين جندي تحت السلاح للسنة القامة .

انبأتني وزارة الخارجية من بيروت يوم الخميس ان المسيو ماير الذي خلف مؤقتاً المسيو بيدو في الكه دورسه صرح لوزيرنا المفوض في باريس بان انسحاب القوات البريطانية ينبغي ان يسبق انسحاب القوات الفرنسية من الاراضي اللبنانية .

ان انسحاب القوات البريطانية والفرنسية في وقت واحد يعتبر ، كما كان دائماً ، عنصراً من عناصر السلام في الشرق .

اذا بقيت القوات الفرنسية وحدها في لبنان فان السياسيين الفرنسيين سيفيدون من أي اضطراب لتبرير ضرورة بقائها . وقد لا تنسحب الا لقاء قبولنا ببعض المطالب التي تفرض ، عندئذ ، علينا فرضاً .

لكن المستر شون والمستر هندرسن اللذين قابلتهما يدركان تماماً ان انسحاب القوات البريطانية وبقاء القوات الفرنسية سيثير اضطرابات في الحال . ولا تزال سوابق ١٩٤٣ في لبنان وحوادث أيار وحزيران ١٩٤٥ في لبنان وسورية ماثلة في ذهن كل شخص .

اهتمت صحف الاحد ٢٣ ايلول على الاخص ، بعدما اهملت كل ما له علاقة بفرنسا وببلدي الشرق ، بتحليل النوايا الروسية التي لاحت في الاسبوع الماضي

حيال حوض المتوسط .

ثم ان الرأي العام في انكلترا يتساءل ، منذ ايام ، عما اذا كانت مطالب حكومة الاتحاد السوفياتي ، المتعلقة بطرابلس الغرب وبالاريتره ، وعما اذا كانت الدعاية الاستثنائية التي احاط بها السيد مولوتوف هذه المطالب ، مجرد مناورة تستهدف تمكين الاتحاد السوفياتي من الفوز ببعض الامتيازات في مناطق اخرى . كما يتساءل الرأي العام عما اذا لم يكن الاتحاد السوفياتي يرمي فعلاً الى الاحتفاظ ببعض المراكز الستراتيجية في الشرق الاوسط . والمعروف ، الآن ، ان بريطانيا سترد في هذه الحالة بالرفض المطلق على المطالب السوفياتية .

ومساء أمس اذاع راديو لندن ان الامين العام لجامعة الدول العربية نشر تصريحاً يعارض فيه المطالب الروسية فيما يتعلق بطرابلس الغرب .

ونشرت الصحف صباح الاثنين تصريح الوزارة المصرية . وهو يفيد ان الحكومة المصرية تطالب بجلاء القوات البريطانية حالاً ، كما تطالب بضم السودان الى مصر . ويضيف ان قبول بريطانيا العظمى بهذين المطلبين يسهل عقد معاهدة صداقة بين مصر وبريطانيا العظمى .

وتلقيت يوم الاربعاء برقيتين جديدتين من بيروت ، تتحدث الاولى عن القلق الذي يسود الحكومة اللبنانية بسبب غموض الحالة الدولية الحاضرة . وهي تخشى ان يذهب لبنان ضحية هذه الظروف .

وتبرر هذه المخاوف الانباء الاخيرة القائلة أن الفرنسيين يطالبون بحق

استعمال بعض الصلاحيات في لبنان ، كصلاحية المحافظة على الأمن وحق توقيف او اعتقال اللبنانيين والاجانب سواء بسواء .

وتتضمن البرقية الثانية نص المذكرة التي يجب تقديمها الى مجلس وزراء الخارجية . والحكومة اللبنانية تتبنى في هذه المذكرة وجهة نظر الحكومة المصرية فيما يتعلق بليبيا وتطالب بتمكين هذه البلاد من الاشتراك في جامعة الدول العربية ، ومن تقرير مصيرها بواسطة استفتاء شعبي حر ، فتختار اما الاستقلال واما الانضمام الى المملكة المصرية . واذا وجدت اعتبارات سياسية توجب ابقاء ليبيا تحت الوصاية فان هذه الوصاية يجب ان تسند الى الجامعة العربية او الى مصر التي تربط ليبيا بها روابط سلالية ودينية ولغوية .

وقد استقبلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة الحكومة اللبنانية المتعلقة بقضية ليبيا ببرودة .

فالدول الكبرى لا تفكر ، مطلقاً ، في التنازل عن اراضي ليبيا الى مصر او في اسناد الوصاية عليها الى الجامعة العربية ، او الى احدى الدول العربية المنضمة اليها ، عند وضعها تحت الوصاية . ان مركز ليبيا الجغرافي يثير مشكلة استراتيجية دولية من أدق المشاكل ، ومستقبلها سيكون خلال سنوات طويلة منوطاً باحدى الدول الكبرى او بمجموعة من الدول اذا أصرت حكومة الاتحاد السوفياتي على مطالبها .

كما ان المذكرة اللبنانية التي ارسلت دون ان تسبقها اية مشاورات ازعجت

الحكومة البريطانية خاصة وانها جاءت في أعقاب المذكرة المصرية التي لا تنوي الحكومة البريطانية الأخذ بهـــا . ان المذكرتين تؤلفان محاولتين خاسرتين وتفتقران الى الوسائل والرغبات الواجبة لضمان النجاح .

وعقد جميع ديبلوماسيّي البلدان العربية اجتماعـــاً في المفوضية المصرية استعرض اثناءه الامين العـــام لجامعة الدول العربية الحالة السياسية في الشرق الاوسط . اتخذت البلدان العربية ثلاثة قرارات يجب ان تلاحق ليتم تنفيذها . الاول : يتعلق بجلاء القوات الفرنسية والبريطانية عن الاراضي اللبنانيـــة والسورية . والثاني : بتصفية القضية الفلسطينية . والثالث : بمستقبل ليبيا .

وفي المساء أقيمت مأدبة عشاء في « الريتز » ضمت ديبلوماسيّي البلدان العربية والمستر كيزي –وزير الدولة البريطاني في القاهرة سابقاً ، وحاكم البنغال الآن — وعبد الرحمن عزام ، والجنرال سبيرس ، وعدداً كبيراً من الشخصيات البريطانية .

بعض التفاصيل حملتني في نهاية السهرة ، على التفكير . لقد قال عبد الرحمن عزام في معرض حديثه مع شخصيتين بريطانيتـــين عن فلسطين انه لا يجد أي مانع من استمرار الادارة البريطانية في فلسطين خلال العشرين سنة القادمـــة شرط الا تمس مقررات الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ فيما يتعلق بهجرة اليهود .

وبعد وصوله الى لندن بأيام قليلة اختار الامين العام لجامعة الدول العربيـــة المفوضية اللبنانية مقراً له ، ودعـــا يوم الخميس الى مؤتمر صحفي ضم عدداً كبيراً من الصحفيين .

اشتمل تصريح عبد الرحمن عزام على مقدمة خصصت لاظهار الجامعـــة العربية بمظهر عملي وليس كمؤسسة سلبية كما ارادت الدعاية اليهودية ان تصورها ، وعلى عرض لسياسة الدول العربية فيما يتعلق بفلسطين وليبيا ولبنان وسورية . وبالنظر للتوتر الحاضر فان قضية فلسطين كانت موضـــع اهتمام الصحفيين الاول كما بدا من اسئلتهم ومن الايضاحات التي قدمها عبد الرحمن عزام .

وظهر يوم الجمعة مثل رائع عن اساليب الدعاية الصهيونية ومحاولات الصحف البريطانية وحتى صحف المحافظين لبلبلة الرأي العام البريطاني عندمـــا تعمل هذه الصحف تحت تأثير الدعاية الصهيونية .

فالأمين العام لجامعة الدول العربية تحدث عن المشكلة اليهودية من الناحية الانسانية واقترح معالجة هذا الموضوع ككل المواضيع الانسانيـــة بالطرق السلمية . واضاف ان العرب يرفضون اللجوء الى القوة ما لم تستعمل القوة ضدهم .

ولما كانت الديلي ميل لا تستطيع مهاجمة الرأي العربي وجهاً لوجـــه فقد اهتدت الى طريقة للهجوم بنشرها هذه المغالطات في عددها الصادر اليوم ، قالت :

« بينما كان الامين العام لجامعة الدول العربية يشير باستعمال الوسائل السلمية كان احد الضباط اللبنانيين واقفاً ووراءه يحميه شاكي السلاح مهدداً » .

وجاء في مقطع آخر :

« لقد كانت جدران المفوضية اللبنانية مغطاة بأسلحة الصحراء العربية الخطرة » .

اما الضابط فلم يكن الا « قواص المفوضية الذي كان يقف جانباً بانتظار نهاية المؤتمر الصحفي ليقدم المشروب .

واما « الاسلحة الخطرة التي كانت تغطي جدران المفوضية » فهي قسم من مجموعة قديمة تملكها اللادي « نورمن » مالكة البناء الذي استأجرته المفوضية .

وبينما تتطور القضية الفلسطينية والحوادث بين اليهود والبريطانيين تتكاثر ، فان المفاوضات بين لبنان وسورية من جهة وفرنسا من جهة ثانية لا تتقدم بسرعة .

بيد ان آخر المعلومات المستقاة من أوساط وزارة الخارجية البريطانية تفيد ان مشروع الاتفاق على جلاء القوات عن الاراضي اللبنانية والسورية قد وضع ، لكنه لا يزال قابعاً في مكاتب هذه الوزارة . والفرنسيون ليسوا مستعدين لتوقيعه في الوقت الحاضر . فعندما يقبل المسيو بيدو برفض الجنرال ديغول . ان الكه دورسه يستفيد على العموم من جميع الظروف حتى البعيدة منها لتأخير التوقيع ، بينما تنصح وزارة الخارجية البريطانية بالصبر . وهي متفائلة مع انها تشعر بانزعاج من جراء تصلب الفرنسيين بشكل بعيد عن المنطق .

وقد عقد نواب حزب العمال اجتماعاً يوم الاربعاء في مجلس العموم لمناقشة

القضية الفلسطينية . وبالرغم من ان بعض النواب الميالين الى اليهود ذكروا زعماء الحزب بوعدهم بالتخلي عن الكتاب الابيض الذي صدر سنة ١٩٣٩ فان الرأي الذي سيطر هو ان الظروف الدولية لا تسمح مطلقاً باتخاذ تدبير من شأنه ان يثير الشرق العربي .

وعقد الجنرال ديغول يوم السبت ، بعدما تأكد من ان الظروف الدولية الحاضرة توجب على بريطانيا العظمى ابرام محالفة مع فرنسا ، مؤتمراً صحفياً في بروكسل ادلى فيه بتصريحات لا تقل عنفاً عن خطبه السابقة . فأكد انه لا يمكن توقيع اي حلف مع بريطانيا فيما يتعلق بالشرق قبل تسوية قضية لبنان وسورية .

لم ترد أنباء عن ردة الفعل التي احدثها خطاب الجنرال ديغول في الاوساط البريطانية الرسمية التي أوجبت على الصحف اغفال التعليق على الخطاب كما طلبت اليها عدم نشره بنصه الكامل .

ولقد تأكد لي ان الاهتمام بعدم اثارة جدل في الحالة الحاضرة هو الذي املى هذا التدبير . ثم ان هذه الاوساط نفسها تريد من جهة اخرى الا يسمح للرأي العام ، وهو بعد لم يلمّ بمجموع الحالة ، باتخاذ موقف متسرع ، سواء لجهة فرنسا او لجهة مشاكل الشرق الاوسط .

ويوم الاثنين تناولت طعام الغداء في السفوا ي اوتيل مع عبد الرحمن عزام ،

وممثلي الدول العربية وبعض كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية .

ليس هناك ما يستوجب التدوين بصورة خاصة . لقد اطلعني المستر بكستر ان المفاوضات مع فرنسا بصدد الجلاء لم تسفر بعد عن نتيجــة رغم كل النشاط الذي ابدته وزارة الخارجية البريطانية بهذا الصدد .

اطلعني عبد الرحمن عزام ، بعد الغداء ، على محضر محادثاته مع سفير فرنسا في لندن المسيو ماسيغلي والمسيو بونسو ، المفوض السامي الفرنسي سابقــاً في لبنان وسورية . لا يوجد شيء مهم . هذه المحــادثات لم تتطرق مباشرة الى الموضوع لذلك لا يمكن ان نرقب منها اية نتيجة ايجابية .

وتلقيت يوم الثلاثاء بعض الاصداء عن المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال ديغول نهار الجمعة الماضي في بروكسل . ان تصريحه اتصف ، كما يظهر ، بطابع من العنف ، حاولت الصحف البريطانية اخفاءه عن الشعب .

أما الاوساط البريطانية الرسمية فقد استقبلت هذا التصريح برباطة جأش وبشيء من المجاملة نظراً للظروف الدولية الحـاضرة . الا انه من المحتمل ان تتبدل السياسة البريطانية من هنا الى خمسة عشر يوماً ، لان موقف الانتظـار الذي التزمت به مرده ايضـاً الى الانتخابات التي ستتم في فرنسا والتي ستؤثر حتماً ، مهما كانت نتائجها ، على اوضاع الجنرال ديغول الشخصية .

وجاءت يوم الاربعاء ١٧ ت ١ الانباء عن اوضاع لبنان الداخلية كثيرة

ومتناقضة .

تصف بعض الرسائل الخاصة التي اتلقاها الحالة بانها مدعاة لليأس . كما تصفها بعض الرسائل بانها ممتازة . ويصعب تكوين رأي بين هذين النقيضين .

وقمت عند الساعة الخامسة من بعد الظهر بزيارة سفير الارجنتين وكاشفته رسمياً بقضية اعتراف الارجنتين باستقلال لبنان وباقامــة علاقات ديبلوماسية بين البلدين .

فاكد لي السفير الذي يرتبط بصداقات كثيرة مع أعضاء الجالية اللبنانية في بيوناسيرس انه سيعمل كل ما في وسعه لأخذ موافقة حكومته عندما يصبح ذلك ممكناً ، أي عندما تتألف الحكومة الجديدة لأن الحكومة الحاضرة لم تفز بثقة المجلس . وامر اليّ ان موقف بلاده السلبي الماضي كان متأتياً عن تدخل فرنسا . حتى ان فرنسا حاولت أخيراً التوصل الى عقد معاهدة تجارية مع الارجنتين وطالبت لها وللبنان وسورية بمعاملة الدولة المفضلة .

حمل بريد الجمعة من بيروت ، ان اتفاقاً قد عقد بين بريطانيا وفرنسا بشأن استثمار الخط الحديدي بين حيفا وطرابلس ، دون ان يؤخذ رأي الحكومـة اللبنانية بذلك على الرغم من ان هذا الخط يمر على شواطئنا .

اني استغرب كيف ان وزير الخارجية لم يزودني بنسخة عن هذا الاتفاق ولم يكلفني الاحتجاج لدى وزارة الخارجية البريطانية لأن المفاوضات التى جرت والاتفاق الذي وقع بمعزل عن الحكومة اللبنانية ، في قضية تهم لبنان ، تؤلف سابقة خطرة ومصدر قلق للمستقبل .

بعد هذه السابقة جاز ان نتساءل : الى اين يمكن ان تصل وزارة الخارجية البريطانية حيال رغبتها في عقد حلف مع فرنسا ، واذا كنا لا نواجه خطراً كبيراً على الرغم من الوعود التي تقطع لنا ، فنجد انفسنا يوماً مكبلي الأيدي مقيدي الارجل مسلّمين كما في الماضي للاستعمار الاجنبي .

بدأت اخبار الانتخابات التي جرت أمس في فرنسا تتضح بدقة يوم الاثنين . يبدو ان الشيوعيين قد انتصروا يتبعهم الاشتراكيون ثم الحزب الجديد « الحركة الجمهورية الشعبية » . وكل شيء يدل على ان حزب الاشتراكيين الراديكاليين قد اخفق .

وسجل الاستفتاء الذي رافق الانتخاب انتصاراً للجنرال ديغول ، لأن غالبية الشعب الفرنسي عبّرت عن رأيها في تحديد صلاحيات المجلس التأسيسي الذي يتألف من احزاب ثلاثة كبيرة : الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، والحركة الجمهورية الشعبية . يرقبون في لندن منذ الآن حكومة يرئسها الجنرال ديغول وتعتمد على الحزبين الاخيرين ضد الشيوعيين .

وفي المساء تلقيت برقية من بيروت تنبئني باني قد عينت ممثلا للبنان في مؤتمر اللجنة التحضيرية لمنظمة الأمم المتحدة الذي سيعقد في لندن في الرابع من كانون الأول القادم .

وقمت عند الساعة الثالثة من بعد ظهر الخميس بزيارة المستر « ر . هاو »

الرئيس الجديد للقسم الشرقي في وزارة الخارجية البريطانية . وكانت الغاية من هذه الزيارة : ١ — الاستفسار عن المحادثات الجارية مع الحكومة الفرنسية حول جلاء الجيوش الفرنسية والبريطانية . ٢ — التأكيد على الاثر السيء الذي تركه الاتفاق الفرنسي — البريطاني بصدد استثمار خط حيفا — طرابلس الحديدي . ٣ — الاحتجاج منذ الآن على كل اتفاق يُعقد في المستقبل وعلى كل مفاوضة تجري حول مصالح لبنانية لا تشترك فيها الحكومة اللبنانية ولا تستشار .

فاجاب المستر « هاو » انه لم يوقع أي اتفاق فيما يتعلق بخط حيفا — طرابلس ، بل وُضع نص سيعرض على الحكومة اللبنانية لأخذ موافقتها عليه . وقد اضطرت الحكومة البريطانية لوضع هذا النص نظراً لأن المستر هوراس ، وزير بريطانيا في القاهرة ، كان قد تعهد عندما انشىء الخط ، بالتنازل عن استثماره للفرنسيين بعد الحرب. وأخيراً فان هذا التنازل ، والأمر واضح ، لا يمكن ان يتم دون موافقة الحكومة اللبنانية .

واعلمني المستر « هاو » ان محادثات الجلاء توقفت في مطلع تشرين الأول ولم تستأنف بعد . وهو يأمل ان تستأنف قريباً وان تصل الى نتيجة حسنة .

واخيراً أوضح ان الحكومة البريطانيــة تود لو اننا نصل والفرنسيين الى اتفاق على تصفية جميع القضايا المعلقة ، وهي مستعدة لأن تضع نفسها تحت تصرفنـا لهذا الغرض .

جاءني سفير تركيا يوم الجمعة ، الذي سادت بيني وبينه دائماً أطيب العلاقات ،

مودّعاً هذا الصباح . فقد سبق له ان كان سفيراً في اثينا قبل ان يكون في لندن ، وهو يعود من جديد الى أشغال مركز السفارة في اليونان التي أصبحت بسرعة عرق اوربا الحساس .

اقتصر البحث على العموميات . ومع هذا فقد اسرّ اليّ بانه يشعر ان المحادثات الفرنسية –البريطانية ستستأنف ، وان مسائل الشرق تحل قبل نهاية السنة .

ويتحدثون في كل مكان عن استعدادات وزارة الخارجية البريطانية لتصفية مصاعبنا مع فرنسا في اقرب وقت ممكن ولمصلحتنا . غير انه ينبغي الاصغاء بكل تحفظ الى هذه الانباء منذ توقيع الاتفاق المتعلق باستثمار خط حيفا – طرابلس الحديدي .

ومساء اليوم ترك عبد الرحمن عزام لندن الى القاهرة دون ان يبحث في الايام الأخيرة امر سفره الى اميركا . ويقال انه عندما طلب مقعداً في طائرة الى اميركا اجابه السفير الاميركي بالرفض متذرعاً بقلّة وجود مقاعد شاغرة . أما السبب الحقيقي لهذا الرفض فيعزى الى اضطراب الجو السياسي في واشنطن بخصوص فلسطين والى انفعال الرئيس ترومن بسبب نشر الكتاب المرسل من الرئيس روزفلت الى ابن سعود ، والذي يؤكد فيه لملك الحجاز عدم اتخاذ أية مقررات لصالح الهجرة اليهودية الى فلسطين دون موافقة العرب .

والظاهر ان الرئيس ترومن كان يجهل كل شيء عن هذا الكتاب عندما طلب فتح باب الهجرة الى فلسطين لمئة الف مهاجر صهيوني .

ويوم الاربعاء افادت معلومات وزارة الخارجية البريطانية ان المحادثات مع الحكومة الفرنسية استؤنفت بعد انقطاع دام أربعة اسابيع ، وهي تدور حول جلاء القوات الفرنسية والبريطانية في وقت واحد عن اراضي دولتي الشرق .

منظمة الاونسكو

الخميس اول تشرين الثاني ١٩٤٥

عقد المؤتمر الثقافي التابع لمنظمة الامم المتحدة جلستيه الاوليين اللتين خصصتا لمناقشة الشكليات والاصول . افتتحت الجلسة الاولى بخطاب رئيس الوزارة البريطانية ، وبخطاب وزيرة التربية الآنسة الان ويلكنس ، التي انتخبت رئيسةً للمؤتمر ، وبخطاب ليون بلوم رئيس الوفد الفرنسي الذي انتخب رئيساً معاوناً .

كان ينقص هذه الخطابات ، مع انها طويلة وبليغة ، شيء من الابتكار والتنوع . فتكررت فيها الافكار نفسها والاستنتاجات نفسها : تفاهم بين الشعوب ، مساواة بين الجميع ، اخاء ، سلام وأمن بواسطة التعاون الفكري والثقافي .

جرى انتخاب عشرة نواب رئيس ينتمون الى امم مختلفة . لم تكن الحاجة هي الغاية من انتخاب جميع نواب الرئيس هؤلاء ، لكنها الرغبة في اجتذاب اكبر عدد ممكن من الامم .

ويوم الاثنين تلقيت برقية غامضة من وزير الخارجية تنبئني ان المجلس

النيابي منحني اجازة جديدة للاقامة خارج البلاد ، وانني مُنحت وشاح الارز من رتبة قومندور .

وبعد الظهر عقدت اللجنة المكلفة وضع مقدمة شرعة المؤسسة الثقافية التابعة لمنظمة الامم جلستها الاولى، وجرت المناقشات في جو مشبع بالانسجام، فشدد رئيس الوفد الاميركي على الاهمية الخاصة بنزع التسلح الفكري ، والح على وجوب نزع السلاح الادبي في الحال بعدما اصبح اكتشاف القوة الذرية تهديداً مميتاً للحضارة والانسانية .

ان اكتشاف القوة الذرية صار حلم الاميركيين المزعج بعدما كان أملهم الجميل .

ومع حلول يوم الثلاثاء كان المؤتمر الثقافي يتقدم ببطء . فالخطب داخل اللجان طويلة وأحياناً عقيمة . تتجه النية الى جعل النصوص الجديدة منسجمة مع شرعة الامم المتحدة التي تقررت في سان فرنسيسكو .

وأبلغتني اليوم وزارة الخارجية البريطانية أنباء عن الحوادث التي وقعت في بيروت وطرابلس ودمشق . الشيوعيون مسؤولون عن بعض هذه الحوادث . اما القسم الآخر فمردّه الى عاطفة الكره التي يكنها العرب للصهيونيين . وفيما يتعلق بالمحادثات الجارية بين فرنسا وانكلترا فان وزارة الخارجية البريطانية لا تتوقع تحقيق نتيجة حاسمة في وقت قريب وان كانت غير متشائمة .

وتناولت طعام العشاء في السفارة الصينية . كان بين الحضور من الشخصيات: المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية ، المستر هكتور مكنيل ، وكيل الوزارة البرلماني ، سفراء مصر والشيلي واللورد كيلرن سفير بريطانيا العظمى

في القاهرة .

قال لي المستر بيفن اثناء العشاء وهو يضحك ان اكبر المصاعب التي يواجهها هي ان يحيي التعاطف بين اللبنانيين والفرنسيين وان يجدده بين العرب واليهود . فأجبت : أخشى ان يكون المسعى الأخير جريئاً بقدر ما هو يائس . فعاد يقول وهو يغمز باحدى عينيه : وأنا أيضاً أخشى ذلك .

وفي السهرة افضى اليّ سفير مصر ، بمرارة ، ان وزارة الخارجية مددت ، على الرغم من المساعي التي قام بها ، مهمة اللورد كيلرن في القاهرة . فذكرني هذا بحديث جرى لي منذ شهرين تقريباً مع الموظفين المسؤولين في هذه الوزارة اذ نصحت بقوة ان يستدعى اللورد كيلرن . فاصغى هؤلاء الموظفون باهتمام الى نصيحتي وناقشنا اسم الشخص الذي يمكن ان يحل محله في القاهرة عند الاقتضاء .

وخيّل اليّ في الايام التي عقبت هذا الحديث ان القضية قد حلت مبدئياً ، وان جواً من الانسجام والتفاهم المتبادل سيسطر بين البلدين . فهل تكون عودته رد فعل ناتجاً عن المطالب التي تقدمت بها الحكومة المصرية والتي تستهدف طرابلس الغرب والسودان وصوماليا الايطالية ؟

كادت المناوشات الأولى تقع يوم الاربعاء في قلب المؤتمر الثقافي عندما حان موعد الاختيار بين مشروع الحكومة الفرنسية ومشروع وزراء الحلفاء ليتخذ أساساً للبحث .

توجد بين المشروعين فروقات جوهرية . فالمشروع الفرنسي لا يقصر حق

التصويت على الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة ، بـل يمنحه لعدد من المؤسسات الثقافية الدولية . ونظراً لما لهذه المؤسسات من علاقات وطيـدة بالبلدان التي توجد فيها مراكزها الرئيسية ، وذلك بالرغم من صفتهـا الدولية واسمائها ، فان قبولها كأعضاء لهم حق التصويت يعطي هذه البلدان عـدة أصوات ويقضي على مبدإ المساواة بالتصويت .

اما مشروع وزراء الدول المتحدة فيخص الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة ، دون سواها ، بحق التصويت .

امامناقشات يوم الخميس فتناولت اختصاص المنظمة الثقافية المقبلة وعملها . وتصارعت من جديد وجهة النظر الفرنسية ووجهة نظر وزراء الحلفـاء . فطرح الوفد الفرنسي السؤال لمعرفة ما اذا كان الاقتراح الذي لا تتوافر له غالبية الثلثين اللازمة بل الاكثرية العادية يمكن ان يؤلف موضوع اتفاق خاص بين الدول التي ترغب فيه .

ثم سحب الوفد الفرنسي اقتراحه بعدما استقر الرأي على انه من الافضل ان تتم الاتفاقات في نطاق رحب من التعاون بـين الأمم المنضمة الى منظمة الثقافة المقبلة .

ونشب خلاف آخر حول تأليف مجلس المنظمة الثقافية العـام . فالمشروع الفرنسي يتضمن نوعين من الموفدين : ثلاثة تختارهم الحكومة صاحبة العلاقـة وخمسة تنتخبهم المنظمات الوطنية العلمية والفنية والثقافية . اما وجهة النظر التي اعتمدت فهي التي لا تتضمن إلا نوعاً واحداً من الموفدين الذين تختارهم الحكومة وحدها باعتبار ان كل حكومة تستطيع ان تتشاور مع منظماتها الوطنية قبل

ان تعمد الى اختيار موفديها .

بعدما توقفت المناقشات بعض الوقت بقصد محـاولة التوفيق بين مختلف النظريات ، دارت ، صبـاح يوم الاربعاء ، حول مبدأ قبول الأعضاء في مؤتمر الثقافة .

وعاد الوفد الفرنسي الى نظريته القائلة بوجوب قبول كل مؤسسة علمية او ثقافية ذات صفة دولية كعضو في المؤتمر الثقافي تتمتع بالصفة والحقوق نفسهـا التي تتمتع بها الدول .

وقدمت ، ضد هذا الاقتراح ، اعتراضات قوية ترتكز على المساواة في حق التصويت ، وعلى كون الأخذ بالاقتراح الفرنسي يمنح هيئات فردية حق التقرير مع انها لا تضطلع باية مسؤولية دولية .

خاض الوفد الفرنسي معركة يائسة للدفاع عن نظريته ولم يقـدم على اي تنازل الا بعد الجهد الجهيد مقترحاً التصويت المحدود ، ثم التصويت النصفي ، واخيراً الاعتراف لهـذه المنظمات بحق ابداء الرأي على سبيل الاستشارة ضمن الجمعية العمومية .

وعندما بلغت المناقشات هذا الحد وطالت ، بما انطوت عليه من مرارة ، طلب الموفد البريطاني ان يدلي بتصريح غريب عن موضوع المنـاقشة ، ثم اضاف بصوت عميق : « ان المنظمة الثقافية التي ندرسها الآن ليست بالواقـع الا فرعاً متخصصاً من فروع منظمة الامم المتحدة. وينبغي ان يكون مركزها حيث مركز منظمة الامم . ولكن اذا كان لا بد من القبول باي شيء شاذ ،

وحكومتي ترى القبول به ، فان هذا الشاذ يجب ان يكون لمصلحة المؤسسات المتخصصة المشتغلة بالتربية والثقافة . وان وفدنا يقترح ان تكون باريس مركز المنظمة الثقافية المقبلة » .

فوقف موفد الولايات المتحدة وأدلى بتصريح مماثل تقريباً . وبدأ سائر الموفدين يتوالون على المنبر .

وكان لا بد لي ، بوصفي رئيس الوفد اللبناني ، ان اتكلم فاقبل أو لا أقبل بباريس مركزاً للمنظمة . وكانت تتنازعني عوامل عدة : اولها ، ان اكون واقعياً ، وهو ما كان يوجب عليّ الاعتراف في آن واحد بأن الثقافة الفرنسية عالمية وبان باريس كانت ، منذ العهد الكلاسيكي حتى الثورة ، وطوال القرن التاسع عشر ، الوسط الذي اجتذب جميع مثقفي الدنيا . وثانيها ، الشعور المتأتي عن كوننا في نضال دائم منذ سنتين مع الفرنسيين للحصول على استقلالنا . وكان هذا النضال قد أوجد نوعاً من الانزعاج في علاقاتنا ونوعاً من التأثر . لقد سبق ان قامت صداقة كبيرة بين اللبنانيين والفرنسيين ، ولكن انقاذ هذه الصداقة والابقاء عليها كان معلقاً على الفرنسيين بان يكونوا اول من يعمدون الى التعاون معنا والى تحقيق استقلال لبنان .

واهتمامي بان اكون واقعياً تغلّب بالنهاية . ولما وقفت ، بعد مندوب البرازيل ، صرحت باني سعيد بان يكون الاقتراح الذي تقدم به مندوب المملكة المتحدة والرامي الى اختيار باريس كمركز لمؤتمر الثقافة قد خفف من حدة المناقشات الاخيرة . وأضفت : « ان البشرية مدينة بالكثير لفرنسا في مختلف حقول العلم والثقافة ، وفي حقل المبادىء الكبرى ، مبادىء الحرية والمساواة التي ولدت سنة ١٧٨٩ ، والتي ضحت الثورة الفرنسية في سبيل

انتصارها بقيم متعادلة من الدم والمجد والعبقرية » .

وهنا تقدم مني المسيو « بونه » سفير فرنسا في واشنطن ، وكان يرئس الوفد الفرنسي بغياب المسيو بلوم ، وشكرني وقال لي انه تأثر جداً عندما سمع هذه العبارات تصدر عن ممثل لبنان .

لم تُثر مطلقاً في المساء قضية قبول المنظمات الثقافية في المجلس العام لمنظمة الثقافة .

ودلت المناقشات التي دارت يوم السبت على مدى حكمة التدخل البريطاني عندما عرض ، وسط المناقشة التي كانت تدور في حلقة مفرغة ، مسألة اختيار باريس كمركز للمنظمة .

ظل الانسجام يسود المناقشات طوال النهار . اما الوفد الفرنسي فقد كان يسحب جميع اقتراحاته ، متأثراً بذكريات جلسة أمس ، كلما صادفت أي اعتراض ولو جزئي من قبل اللجنة .

لذلك فان أعمالنا تقدمت كثيراً ومن المحتمل ان يختتم المؤتمر دورته في نهاية الاسبوع القادم .

وقد اثار الاقتراح البريطاني المقدم بعد ظهر اليوم الاثنين ١٢ ت ٢ مسألة مبدئية خطيرة . فهو يرمي الى التصديق على الاتفاق الذي يتم بنتيجة هذه المناقشة لا من قبل برلمانات الدول بل من قبل الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة .

ان الصعوبات القانونية التي تعترض هذا الاقتراح لم تخفَ ، كما يلوح ، على وفد المملكة المتحدة ، لكنه احب ان يقدمه .

كان النقاش حامياً حول الاقتراح البريطاني يوم الثلاثاء . أما انا فقد كنت أول من تكلم ، موضحاً ان الاقتراح يثير مشكلة دستورية خطيرة . فالانظمة الاساسية لمنظمة الثقافة والعلم التي يضعها الآن هذا المؤتمر ، تؤلف اتفاقاً دولياً حقيقياً ، تترتب عليه مسؤوليات مالية وسياسية ، فلا بد من اخضاعها لموافقة السلطات الدستورية في كل بلد من البلدان المشتركة في المؤتمر .

واحتدمت المناقشات وتوالت الحجج مستمدة من القوانين الدستورية والتقاليد الدولية . وعندما طرح الاقتراح البريطاني على التصويت سقط بسبعة عشر صوتاً ضد سبعة أصوات .

ويبدو ان النهار الذي انقضى كان حافلاً بالاحداث . فتلقيت ، فور عودتي الى المفوضية ، مخابرة تلفونية من سفير الارجنتين المسيو « كاركانو » تنبئني ان حكومة بلاده قررت الاعتراف باستقلال لبنان وانشاء علاقات ديبلوماسية بين البلدين . وسألني السفير بمنتهى الذوق ما اذا كان يستطيع ان يؤخر تسليمي الوثائق التي وضعتها حكومته بهذا الخصوص الى يوم ٢٢ ت ٢ يوم عيد استقلال لبنان .

وابلغت ، كذلك ، ان سفير الارغواي قد تلقى مخابرة مماثلة من حكومته .

وفي المساء تناولت طعام العشاء في السفواي مع الجنرال سبيرس ، واللورد ونترتون ، وريتشارد استوكس ونواب آخرين من الذين يهتمون بالمسائل

الشرقية .

ومن جهة أخرى القى المستر بيفن وزير الخارجية خطاباً هاماً حول فلسطين. لن يظهر النص الكامل قبل غد في « الهانسرد » جريدة المناقشات في مجلس العموم . تناقضت التعليقات على الخطاب هذا المساء وتنوعت . فصرح اللورد ونترتون ، عندما وصف الحالة السيئة التي أدت اليها سياسة الحكومة البريطانية ، بأن خمسين ضابطاً من الضباط البريطانيين الموجودين حالياً في فلسطين قد كتبوا اليه يشكون من كون التعليمات التي تلقوها بألاّ يردوا على العدوان عليهم بشدة جردتهم من كل قوة لمواجهة حملة الاغتيالات التي يقوم بها اليهود .

وقد ظهر نص خطاب المستر بيفن في صحف صباح الاربعاء ، وارفق بتصريح صدر عن الوزير الى الصحف يشدد على خطورة القضية الفلسطينية ويؤكد ان الحل العاقل الذي يعطى لها يسمح بحل المشكلة المحيرة ، مشكلة الستماية الف نسمة (كذا) ، كما اكد ان القضية لن تكون قضية انشاء دولة يهودية بل وطن قومي لليهود .

وتبين لي من مطالعة خطاب المستر بيفن بنصه الكامل بدقة انه أقل سوءاً مما كان محتملاً . ابرقت الى الحكومة اللبنانية الممثلة حالياً في دورة جامعة الدول العربية بأن تنصح الصحف بعدم مهاجمة الخطاب بعنف قبل ان تتسلم نصه الكامل وتقريري عنه .

واتضح ان خطاب المستر بيفن واقعي وجريء الى حدّ ما . واقعي بمعنى ان وزير الخارجية الحالي مجبر على حالة لم يتسبب في خلقها ، بل ورثها وهو يحاول ان يجد لها حلاً يكون على ادنى درجة من السوء حسب رأيه .

وهو جريء اذا اخذ بعين الاعتبار ان المستر بيفن ، وهو ينتمي الى حزب العمال ، كان عليه ان يواجه الوعود التي قطعها الحزب بالمساعدة على انشاء دولة يهودية في فلسطين . ثم ان الحكومة البريطانيـــة كانت ، في الاشهر الاخيرة ، تواجه ضغط الحكومة الاميركية والكونغرس الاميركي في الناحيتـين السياسية والاقتصادية لفتح أبواب هجرة اليهود الى فلسطين على مصراعيها .

غير ان هذا الخطاب يشتمل من ناحية ثانية على أفكار مناقضة تماماً لحقوق العرب في فلسطين ولأمانيهم العادلة فيها. أولى هذه الافكار تتعلق بمواصلة الهجرة اليهودية على أساس الف وخمسماية في الشهر الى ان تتمكن لجنة التحقيق من تحديد العدد السنوي الذي يجب قبوله . وهذا يؤلف مخالفة خطيرة لنص الكتـــاب الابيض الذي صدر سنة ١٩٣٩ والذي يقضي بأن تتوقف الهجرة عندما يتجاوز عدد المهاجرين اليهود الخمسة والسبعين الفاً ، فلا يقبل ، بعد ذلك ، بأية هجرة الا بموافقة العرب .

اما الفكرة الثانية فتقول بأن يؤخذ نظام الوصاية الجديد المنصوص عليه في شرعة الامم المتحدة بدلاً من نظام الانتداب الحاضر .

ان عرب فلسطين ومجلس جامعة الدول العربية ، بعدما اعتبروا ان انتداباً استمر ٢٦ سنة يؤلف تجربة كافية ، يريدون ان تحصل البلاد على استقلالهـــا وسيادتها . ثم ان نظام الانتداب يتضمن بنصه وروحه ضمانة لاحـترام حقوق الشعوب العربية في فلسطين ، وهي ضمانة يحرمونها في نظام الوصاية الجديد الذي لم يحدد بعد تحديداً صريحاً .

واخيراً فان فلسطين ستحرم سنوات طويلة من استقلالها ، لا بخطيئة أهلها،

بل بسبب سياسة خارجية سهلت ، بل تسببت في دخول عنصر غريب الى هذه البلاد ، عنصر معاد لها ، فهدمت وحدتها القومية .

ختم المؤتمر الثقافي يوم الجمعة اعماله ووقع في المساء رؤساء الوفود المشتركة في المؤتمر نص الاتفاق والقرار الاخير الذي صوتت عليه الجمعية العمومية .

والقت وزيرة التربية البريطانية الآنسة « الان ويلكنس » قبل التوقيـع خطاباً وصفت العمل الذي انجز بانه خطير . قالت : « ستشهد الانسانية منذ الآن تسابقاً بين نمو الطاقة الذرية من ناحية ومؤسستنا من ناحية اخرى . وقد يكون من نتائج الواحدة تحطيم كل الحضـــارة البشرية بينما يكون من نتائج الاخرى تلافي هذه الكوارث بتعميم الوفـاق والتقارب بـين الشعوب بواسطة التعاون والتبادل الثقافي والعلمي » .

وكانت الازمة السياسية تشتد في فرنسا منذ ٤٨ ساعة . لكنها خفت مساء الاثنين ١٩ ت ٢ ، ولو بصورة مؤقتة ، وذلك بالتصويت لمصلحة الجنرال ديغول ضد الشيوعيين .

ونشرت « الافنن ستندر » خبراً عن مشروع اتفاق حول الشرق الاوسط قد اعد ليعرض على الحكومتين البريطانية والفرنسية للموافقة عليه . وسيطلع المسيو بيدو مجلس الوزراء عليه اذا بقي وزيراً للخارجية . والا فان المفاوضات ستتكرر من جديد مع خلفه . ولا تزال مسألة جلاء القوات البريطانية والفرنسية عن اراضي دولتي الشرق من ادق الامور التي ينبغي الفصل فيها .

وصرح المستر « نويـــل بيكر » وزير الدولة في مجلس العموم ، رداً على

سؤال وجهه النائب ريتشارد استوكس المنتمي الى حزب العمال ، بان الحكومة اللبنانية اطلعت على المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا فيما يتعلق باستثمار فرنسا الخط الحديدي بين طرابلس وحيفا .

هذا الايضاح غير مطابق للحقيقة . لقد وضعت الحكومة اللبنانية امام الامر الواقع يوم سلمها ممثل عن المملكة المتحدة وممثل عن فرنسا مشروع الاتفاق المتعلق باستثمار الخط الحديدي .

وتلقيت يوم الاربعاء برقية من وزارة الخارجية في بيروت توضح الخطأ الذي وقع فيه وزير الدولة في تصريحه امام مجلس العموم وتطلب اليّ ان اجلو القضية مع وزارة الخارجية البريطانية .

اتصلت حالاً برئيس القسم الشرقي الذي بدا ظاهر الانزعاج ، وأجاب على مسعاي بطريقة غير مباشرة قائلا : « ان الاتفاق المعقود مع فرنسا لا يعتبر نافذاً الا اذا وافقت عليه الحكومة اللبنانية ، وهي حرة في ان توافق او ان ترفض » .

ويوم الخميس احتفلنا بعيد استقلال لبنان . وظل جمهور غفير يتدفق على قاعة الكلاريدج الكبرى من الساعة الخامسة حتى الساعة السابعة . كان بين من حضروا الحفلة ، فضلاً عن ممثلي الدول العربية ، فريق كبير من ممثلي السلك الديبلوماسي الاجنبي ، والموظفون الرسميون التابعون لوزارة الخارجية البريطانية ووزارة الاستعلامات ، وعدد كبير من اعضاء مجلسي اللوردات والعموم .

وقد تبادلنا ، سفير الارجنتين يرافقه موظفو السفارة وانا ، يحيط بي موظفو

المفوضية ، عند تمام الساعة الخامسة والنصف الرسائل المؤذنة باقامة العلاقات الديبلوماسية بين البلدين . والتقطت بعض الرسوم تخليداً لذكرى هذا الاحتفال البسيط والودي معاً .

واستمرت ، اليوم ، المناقشة في مجلس العموم حول السياسة الخارجية . واستعرض رئيس الوزارة المستر اتلي المحادثات التي اجراها مع واشنطن والقرارات التي اتخذت بصدد الطاقة الذرية .

والقى المستر بيفن وزير الخارجية يوم الجمعة خطاباً صريحاً وجريئاً حدد فيه موقف الحكومة البريطانية من المشاكل العالمية على وجه العموم ومن بعض المشاكل الدولية على الأخص .

وفيما يتعلق بالشق الاخير ينبغي ان ندون المقطع المتعلق بالشرق الاوسط حيث حدد المستر بيفن السياسة البريطانية بكونها سياسة تعاون اقتصادي لا ترمي الى التدخل في الشؤون الداخلية في البلدان صاحبة العلاقة . أما فيما يتعلق بلبنان وسورية فقد قال المستر بيفن ما حرفيته : « عندما انتهت الحرب مع اليابان طلبت الحكومتان اللبنانية والسورية جلاء القوات البريطانية والفرنسية عن اراضيهما . فاتصلت الحكومة البريطانية بالحكومة الفرنسية لهذا الغرض . المفاوضات لا تزال مستمرة ولا نزال بانتظار وجهة النظر الفرنسية » . ثم أعرب عن امله في انهاء هذه القضية بسرعة ، الا ان الصعوبات التي واجهتها فرنسا اخيراً أدت الى توقف المفاوضات التي كانت قد بدأت .

أما فيما يتعلق بالمشاكل العالمية فان خطاب المستر بيفن يتجاوز النظريات التي بنيت في سان فرنسيسكو ، فهو يقول :

« ان هدف حكومة صاحب الجلالة هو ان تستخدم منظمة الامم المتحدة الى آخر حدود طاقتها للمحافظة على الأمن . وهي لا تغفل ، كما قال أمس الجنتلمن الجزيل الاحترام (المستر ايدن) ، ان العالم يتحرك بهذا المقدار من السرعة حتى ان انقلابات كبيرة حصلت منذ مؤتمر سان فرنسيسكو » .

ان الاشارة الى تصريحات المستر ايدن تستهدف المقطع المتعلق بالغاء قاعدة الاجماع التي تنص عليها شرعة الامم المتحدة لمصلحة الدول الكبرى .

وفيما يتعلق بهذه القاعدة المعروفة ، باسم حق الفيتو ، اكد المستر ايدن :

« لا ريب في انه ، على ضوء ما حدث منذ سان فرنسيسكو ، يجب ان تعيد الامم المتحدة النظر في هذه القاعدة ، فاذا فعلت فلي الامل ان تلتقي الاراء عند نقطة وهي ان الابقاء عليها يؤلف تقهقراً في العالم الحاضر » .

مؤتمر الامم المتحدة

السبت ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٥

عقدت اللجنة التحضيرية لمنظمة الامم المتحدة اجتماعها الأول ، فألقى المستر نويل بيكر رئيس الوفد البريطاني ورئيس المؤتمر المؤقت خطاباً ترحيبياً بالوفود الحاضرة ، الا ان كلمته جاوزت حد الترحيب ليعبر عن أمله بأن تسود الصراحة التامة مناقشات اللجنة التحضيرية والسياسة الدولية الجديدة . وعندما تحدث عن قوة البرلمان البريطاني وعن الحرية التي هو حارسها الأمين ، تمنى ان يرى منظمة الأمم المتحدة تستوحي هذه الروح فتصبح البرلمان الحقيقي للعالم .

واخيراً اشار المستر نويل بيكر بوضوح الى ان الطمع الذي لا فائدة منه على الأطلاق هو اهتمام بعض الدول اهتماماً دائماً بالمحافظة على مظاهر مكانتها القومية بدلاً من اتباع سياسة واقعية هي وحدها السياسة التي ينبغي ان يستوحيها اعضاء منظمة الامم .

وعندما عدت الى المفوضية بعد الجلسة انصرفت الى تنفيذ مضمون برقية واردة من بيروت تكلفني الحكومة بموجبها ان اتدخل لدى وزارة الخارجية

البريطانية تمثيل لبنان في لجنة تعويضات الحرب التي ستجتمع قريباً في باريس .

بعد الاتصال بوزارة الخارجية البريطانية فهمت ان هذه اللجنة لـن تضم الا الدول التي تضررت مباشرة من اعمال العدو الحربية والتي كانت خسائرها كبيرة . وهكذا فلا دولة من دول اميركا اللاتينية ما خلا البرازيل ممثلة فيها . وكذلك فان مصر وحدها من بين دول الشرق الاوسط تشترك فيها .

وهنا تساءلت : ألم تتسرع الحكومة اللبنانية في تقديم الطلب من أميركا ومن فرنسا معرّضة نفسها لرده .

ووقع يوم الثلاثاء حادث صغير اثناء جلسة اللجنة التحضيرية ، ان دل على شيء فعلى مدى استعداد الوفد السوفياتي للدفاع عن موقفه وللثأر عندما تعرض الفرصة الملائمة .

واستغرقت انتخابات رؤساء لجان الدرس ونواب رؤساء اللجان هذه التي ينص عليها النظام الداخلي كل النهار . ولمناسبة انتخاب رئيس لجنـة الادارة والموازنة رشحت فرنسا ممثل اليونان خلافاً لرأي الوفد السوفياتي . لكن الرد جاء سريعاً ، إذ ان الوفد السوفياتي اقترح لرئاسة اللجنة الثانية ممثل سورية فقبل الاقتراح في الحال .

ولوحظ يوم الخميس ان اعمال اللجنة التحضيرية تتقدم بسرعة . والواقع فان الدرس يتناول نصوصاً شكلية سبق للجنة التنفيذية ان اشبعتها درساً وتعليقاً في تقرير طويل ومفيد .

القضايا المبدئية التي يجب الفصل فيها ثلاث : إحداها تقوم على انشاء لجنة وصاية مؤقتة بانتظار انشاء مجلس الوصاية النهائي وذلك عندما تتفق الأمم على أساس القضية .

أما الثانية فتتعلق بانتخاب قضاة لمحكمة العدل الدولية . وأما الثالثة والأخيرة ، فهي معرفة ما اذا كان درس المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والانسانية والثقافية تطلب لجنتين مستقلتين ، او لجنة واحدة تتفرع عنها ، فيما بعد ، لجان فرعية حسب الحاجة .

تقرر في اجتماع الوفود العربية ان القضيتين الثانية والثالثة لا تؤلفان بالنسبة الى الدول العربية أية قضية مبدئية . أما فيما يتعلق بلجنة الوصاية المؤقتة فان الوفود العربية الخمسة قررت معارضتها وفقاً للموقف السابق الذي وقفته في سان فرنسيسكو . ثم ان فكرة وضع فلسطين تحت الوصاية ، وهي الفكرة التي عبّر عنها بعض رجال السياسة البريطانية والأميركية ، ضاعفت تنكر العرب لهذا المشروع .

وعلى الرغم من كثرة الأخبار المتعلقة بالمفاوضات بين بريطانيا وفرنسا التي نشرت حتى يوم الثلاثاء ، فلسنا نملك معلومات ايجابية عن الجلاء عن الاراضي اللبنانية والسورية . آخر الأنباء التي نشرتها السنداي تيمس تتحدث عن جلاء القوات البريطانية ولا تذكر القوات الفرنسية .

لذلك قررت هذا الصباح ان اكوّن فكرة اوضح عن الحالة . فقمت بزيارة للمستر « هاو » وكيل الوزارة الدائم في وزارة الخارجية البريطانية . وهذا هو وضع الحكومة الحاضر :

المحادثات بدأت مع الحكومة الفرنسية منذ أسابيع ، لكنها توقفت بسبب الصعوبات التي اعترضت الجنرال ديغول في تأليف وزارته . ثم استؤنفت من جديد . والمستر بيفن مهتم للتوصل الى حل سريع لأنه يرغب في سحب القوات البريطانية في أقرب وقت ممكن .

اما الجلاء فيشمل القوات البريطانية والفرنسية مئة بالمئة . وستسلم المطارات والمراكز البحرية الى السلطات اللبنانية . اما الفرنسيون فقد المحوا في سياق الحديث الى بعض المراكز وبعض الامتيازات . لكن وجهة النظر البريطانية معاكسة لكل اتفاق ثنائي . ان مشاكل الامن يجب ان تحل في نطاق منظمة الأمم المتحدة .

بعد انسحاب القوات تقوم العلاقات بين لبنان وبريطانيا العظمى وفرنسا على أسس ديبلوماسية عادية . واكد لي المستر « هاو » انني سأحاط علماً بمجرى المفاوضات شيئاً فشيئاً وفقاً لتقدمها .

وطرح يوم الاثنين ١٠ ك ١ السؤال التالي : هل يجب انشاء لجنة وصاية مؤقتة أم يجب انتظار تأليف مجلس الوصاية وفقاً للشكل النهائي المنصوص عليه في شرعة سان فرنسيسكو ؟

الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة تفضل ايجاد لجنة مؤقتة حالاً . اما الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا ودول أخرى عديدة فلها رأي معاكس . هي تحتج بأنه لا يوجد في شرعة منظمة الامم نص يجيز خلق مثل هذه اللجنة المؤقتة . ويعتقد وفد الاتحاد السوفياتي بالاضافة الى ما تقدم ان نية الدول

الغربية هي ان تؤخر انشاء مجلس الوصاية بشكله النهائي وان تماطل في الابقاء على الوضع المؤقت وفقاً لمصالحها .

وفي الواقع هنالك نيات مبيتة ذات طابع استراتيجي ونفعي تسيطر على الآراء التي تختلف عليها الدول الكبرى . ان الاميركيين والانكليز ، وهم يدركون ان انشاء مجلس الوصاية يتطلب مهلة لا تقل عن ستة أشهر ، يحاولون انشاء لجنة مؤقتة يدخل في صلاحياتها حق الفصل في المنازعات المتعلقة ببعض الاراضي في الباسفيك بينما لا تزال جيوشهم قوية في الشرق الاقصى . ويعتبر الروس ان الوقت الذي ينقضي قبل تأليف مجلس الوصاية يفضي حتماً الى تخفيف الضغط الانكلو ـ الاميركي في الباسيفيك .

اما اختيار مقر منظمة الامم المتحدة فيشغل اللجنة التحضيرية بمقدار ما تشغلها مشكلة الوصاية واكثر .

طال الجدل حتى الآن . حاول كل خطيب ، اثناء المناقشات التي دارت يوم الثلاثاء ان يقدم ، ادلة جديدة أو ردد الادلة التي ادلى بها الخطيب السابق ولكن باسلوب جديد .

تريد بريطانيا العظمى ان يكون مركز المنظمة في اوربا ، اما الاتحاد السوفياتي فيريده في الولايات المتحدة ، وهو يعتقد انه ينقل بذلك محور النفوذ من اوربا الغربية حيث كان لا يزال .

اما وفد الولايات المتحدة وبعض وفود اميركا الجنوبية فقد اندفعوا مع

العصبية القومية الاقليمية التي تؤثر على اقتراعهم لمصلحة اميركا .

ان اربع دول من الدول العربية ستقترع لمصلحة اوربا .

اما مصر فستقترع لمصلحة اميركا .

وفازت الولايات المتحدة ، في عمليات التصويت ، بثلاثين صوتاً ضد اربعة عشر صوتاً .

تسلمت نص الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي عند الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الخميس . فقد اتصلت بي وزارة الخارجية البريطانية هاتفياً هذا الصباح وطلبت اليّ الحضور الى مقر الوزارة في تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر لتسلّم وثيقة خطيرة. ففهمت حالاً اية وثيقة هي . لكن صبري نفد ، فأرسلت السيد فيكتور خوري وكلفته الحصول على بعض المعلومات الجلية .

عاد فيكتور خوري حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر وعليه امائر الارتباك . فقد التقى المستر هندرسن ، السكرتير الاول في القسم الشرقي الذي قرأ له بسرعة بعض مقاطع الاتفاق . وفسر له بعبارات غامضة ان جلاء القوات الفرنسية والبريطانية سيتم في وقت واحد . لكن فيكتور خوري لاحظ ، بالرغم من القراءة السريعة وبالرغم من عدم اطلاعه على النصوص بكاملها ، ان هناك معاملة خص بها لبنان تختلف عن المعاملة التي خصت بها سورية .

ان الوثائق التي تسلمتها عند الساعة الرابعة اثارت خيبة اكبر ، لأنها تتضمن بنوداً عسكرية وبنوداً سياسية . تنص البنود العسكرية على ان القوات الفرنسية

تغادر الاراضي السورية لكن الفرنسيين يحتفظون ، فيما يتعلق بالاراضي اللبنانية ، بحق ابقاء قواتهم الى ان تقرر الامم المتحدة تنظيم الامن المشترك في منطقة الشرق .

أما البنود السياسية فتتناول الشرق الأوسط حيث يملك كل من الفريقين المتعاقدين بعض المصالح او يتحمل بعض المسؤوليات . ان فرنسا وبريطانيا العظمى متفقتان على تنمية الرفاهية والازدهار في هذه المنطقة ، وعلى التشاور في الخطط التي يجب اتباعها . وتتعهد كل منهما بالا تقوم بأي مسعى يكون من شأنه ان يمس مصالح أو مسؤوليات الأخرى . وتضيف هذه الوثائق ان البلدان سيدرسان ، وفقاً لهذه الروح ، كل اقتراح تقدمه الأمم المتحدة لتنظيم الأمن المشترك في هذه المنطقة .

ثم ان هذه الوثائق تشير الى استقلال بلدان الشرق الأوسط في مقطعين مرتبكين ارتباكاً ظاهراً . فبينما يتحدث الواحد عن الاستقلال الموعود نجد ان المقطع الآخر يقول :

« تؤخذ الأنظمة السياسية في البلدان المذكورة تماماً بعين الاعتبار » جميع هذه النصوص مرفقة ببلاغات ينبغي ان تذيعها الحكومتان الفرنسية والبريطانية في وقت واحد . ويشير البلاغ في القسم الذي تذكر فيه ممارسة الاستقلال من قبل بلدي الشرق الى بيان ١٩٤١ الذي يحفظ بصراحة لفرنسا مصالحها ومركزها الممتاز وضرورة عقد معاهدة معها من قبل لبنان وسورية .

حدث رد الفعل عندي حالاً . فقد قلت للمستر بكستر انني لا استطيع اخفاء خيبتي لا سيما بعد التطمينات التي تكررت على مسامعي من قبل وزارة

الخارجية البريطانية . ثم قرأت معه كل مقطع من الاتفاق ومن البلاغ والححت على مدى تناقضه مع مطالبنا الشرعية ومع نص شرعة الامم المتحدة وروحها . بدا المستر بكستر كثير الارتباك .

وأبرقت ، يوم الجمعة ، الى بيروت اطلع الحكومة على ملاحظاتي فيما يتعلق بالاتفاق والبلاغ .

فكرت طيلة الليل في الوضع الناتج عن الاتفاق البريطاني – الفرنسي وفي الوسائل اللازمة لمواجهته . فقد أصبحت ألم بالخبرة النفسية الانكليزية ، وكذلك بوزارة الخارجية البريطانية . الانكليزي عاطفي وشريف . ووزارة الخارجية البريطانية حيية بالرغم مما يمكن ان تؤاخذ عليه من أثرة في سياستها . ثم انها انتهازية ، واقعية ، لا تستنكف عن تغيير وجهة نظرها ، اذا شعرت بخطأها ، وعن التكفير عن السيئات التي قد يكون أحدثها موقفها الأول .

قررت ، اذاً ، ان اهاجم هذه الوزارة مهاجمة عنيفة ولو كلفني الأمر مركزي . ولم أفتقر الى المناسبات في اليوم الاول . فصرحت لممثل وكالة الأنباء العربية : كم كانت خيبتي عظيمة بسبب الاتفاق الفرنسي – البريطاني ، خاصة بعد التطمينات المخالفة التي كانت قد قطعت لي في لندن. ثم أكدت ان الحكومة اللبنانية لن تقبل بنص هذا الاتفاق الذي لم يؤخذ رأيها فيه .

وقلت لكثيرين من موظفي وزارتي الاستعلامات والخارجية الذين التقيتهم في الحفلة التي أقامها الأمير فيصل ، وهم من خيرة أصدقاء قضيتنا ، انه لم يبقَ لي الا ان اودع لندن بعد هذه التجربة المؤلمة الأخيرة . فأخذت على المستر نويل

بيكر ، وزير الدولة ومندوب الحكومة البريطانية لدى اللجنة التحضيرية للأمم المتحدة ، التناقض الصريح بين المبادىء التي يعلنها باسم الامم المتحدة وأعمال الحكومة التي هو عضوٌ فيها والتي تؤلف خرقاً لهذه المبادىء .

كل هذا لا يمتّ الى الاساليب المحض ديبلوماسية بصلة. لكننا لم نعد نخشى ان نخسر شيئاً كبيراً بعد الحالة التي وصلنا اليها .

وعلمت يوم الاثنين ١٧ ك ١ من مصادر مطلعة عادة ان تعديلات هامة طرأت على الاتفاق الفرنسي – البريطاني خلال الثماني والأربعين ساعة التي سبقت توقيعه . كان للاصرار الفرنسي في اقرار هذه التعديلات ورغبة المستر بيفن في انهاء القضية قبل سفره الى موسكو الأثر الكبير .

استقبلت المستر دريبرغ من موظفي وزارة الاستعلامات ، فأخبرني انه مر بوزارة الخارجية البريطانية وعرف ان وكيل وزارة الدولة المستر « هاو » يرغب في مقابلتي .

تمت هذه المقابلة اليوم ، بالصدفة ، وذلك في حفلة الاستقبال التي أقامها وزير الخارجية المصرية بدوي باشا في الكلاريدج حيث وجدت فرصة نادرة لأتكلم بصراحة بعيداً عن جو « ويت هال » الرسمي .

قال لي المستر «هاو» انه عرف برد الفعل السيء الذي أحدثه عندي الاتفاق الفرنسي – البريطاني فاستغرب ذلك خاصة ان الأنباء الواردة على وزارة الخارجية تفيد ان الأوساط السياسية في بيروت استقبلته بارتياح شديد. وبالرغم من استغرابي هذا النبأ المفاجيء فلم يترك جوابي أي شك في عاطفتي نحو نص

الاتفاق وروحه . وأضاف المستر « هاو » انه يرغب في التعبير عن رأيه في ايضاح بعض الأمور التي يخلو منها النص المكتوب . فسألته ما اذا كان قولهم يؤلف تأكيدات جازمة استطيع ان أنقلها الى حكومتي . فأجاب بالايجاب واستطرد :

« اني افهم ان تكون الوثائق التي سلمت اليك غير مرضية . لقد كنا نود التوصل الى أفضل منها . لكن اذا كنت اقول لك ان المحادثات قد انقطعت أحياناً مع الفرنسيين بسبب الجلاء أدركت الصعوبات التي واجهتنا قبل الحصول على توقيعهم . لقد كان المهم ان نحصل على توقيعهم ولقد حصلنا عليه .

« ان جلاء القوات الفرنسية وجلاء القوات البريطانية عن لبنان وسورية ايضاً سيكون تاماً . وقد أعطيت التعليمات اللازمة لأركان حربنا التي ستتولى أمر الجلاء عن سورية ثم عن لبنان . وسيتم الجلاء في وقت واحد وعلى مراحل بمعدل ٢٥٪ واني آمل ان يتم الجلاء نهائياً عن لبنان خلال ستة أشهر . واذا لم يتم ، لان الفرنسيين سيتشبثون بضرورة الحصول على قرار من منظمة الأمم المتحدة بتنظيم الأمن العالمي ، فسنعيد عليهم الكرة وسيكون من السهل جداً تأمين جلاء القوات الصغيرة الفرنسية التي لم تكن قد جلت حتى ذلك التاريخ .

« ان قوات بريطانية معادلة للقوات الفرنسية في لبنان من حيث العدد ستبقى فيه حتى الجلاء التام . وسيضطر الفرنسيون لحل الفرق المؤلفة من المتطوعين المحليين حالاً . ثم انهم سيستبدلون في أقرب وقت ، مفوضيتهم العامة بهيئة دبلوماسية عادية .

« ان المفهوم من كلمة الأمن هو في الواقع الأمن والنظام الداخليان . وبما

ان الحكومتين اللبنانية والسورية تضطلعان بمسؤوليته فنحن مستعدون للقبول بتسليمها الاسلحة والاعتدة اللازمة للقيام بهذه المهمة .

« انك محقّ باعتبار ان كلمة « منطقة أمن » لا تطبق على لبنان أو سورية بالنظر لنص شرعة الامم المتحدة نفسها . وهذا يفيد نظريتكم .

« أما بخصوص المقطع المتعلق بالمصالح أو المسؤوليات فانكم تلاحظون ان النص يتحدث عن « مصالح أو مسؤوليات » وليس عن «مصالح ومسؤوليات» وذلك يعني اننا نستطيع ان نتسلح بالمسؤوليات التي نضطلع بها في الشرق الأوسط ، في فلسطين مثلاً . والبلدان المستقلة تضطلع بالمسؤوليات في أراضيها » .

لكن التطمينات التي أعطاها المستر « هاو » وكيل وزارة الدولة لم تطمئني قط . فهي تؤلف تأكيدات شفوية يصعب مقابلتها بالنصوص الخطية الواردة في الاتفاق الفرنسي — البريطاني . بالاضافة الى ذلك ، ولان الفرنسيين يميلون الى الافادة حتى آخر الحدود من النصوص الخطية واعطاء تفسيرات واسعة أحياناً ، يجب ان نجابه الاتفاق نفسه وجهاً لوجه ، وان تبدي الحكومة اللبنانية بصدده تحفظات جازمة . لقد استوحت مخابراتي الطويلة مع بيروت هذا الاهتمام الاولي.

وكان الاتفاق الفرنسي — البريطاني قد أثار في الأوساط السوفياتية في لندن قلقاً نتج عن جهلهم مضمونه بدقة . ان البنود العسكرية التي يتضمنها تهمّ موسكو جداً بينما تجري بشأنه المحادثات بين وزراء الخارجية الثلاثة .

ان اولى الاخبار الواردة من بيروت صباح الاربعاء توضح سبب الارتياح

الحار الذي تحدث عنه المستر « هاو » والذي استقبلت به الحكومة اللبنانية نبأ الاتفاق الفرنسي – البريطاني :

عندما بلغ الحكومة اللبنانية نبـأ البيان المرفق بالاتفاق توجه رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً الى مجلس النواب ليطلعه على ان جلاء القوات الفرنسية والبريطانيـة قد تقرر . فأنشد النواب ، الذين اسعدتهم هـذه المقررات ، النشيد اللبناني بصوت واحد . هذا الفرح السابق لأوانه ظل بلا غد .

اما في فرنسا فلم يحدث الاتفاق الاثر نفسه في كل مكان .

اظهر الحزب الشيوعي عدم مبالاة ، لأنه يميل الى عدم الموافقة على كل ما يصدر عن حكومة الجنرال ديغول .

ويظهر الاشتراكيون منقسمين الى فئتين : فئة اقصى الشمال ، وكان موقفها مماثلاً لموقف الشيوعيين . والآخرون الذين أيدوا كما يؤيدون دائمـاً ، ولكن بطريقة سلبية ، كل عمل يمثل ارادة الجنرال ديغول وحكومة الحركة الجمهورية الشعبية .

سأل اليوم المستر ريتشارد استوكس ، وهو نائب ينتمي الى حزب العمال ، الحكومة عما اذا كان الاتفاق يتضمن وجوب جلاء القوات الفرنسية عن لبنان كجلائها عن سورية . فأجاب « نويل بيكر » وزير الدولة باسم الحكومـة بالايجاب ، واضاف ان جلاء القوات الفرنسية والبريطانية سيتم على مراحل .

ولفتت يوم الخميس وزارة الخارجية في بيروت الى الضرورة الملحة لابداء

التحفظات الجازمة فيما يتعلق بالاتفاق الفرنسي ـ البريطاني . ووضعت لائحـة طويلة بأسئلة فوضت السيد فيكتور خوري ، مستشار المفوضيـة ، ان يحصل بصددها من وزارة الخارجية البريطانية على ايضاحات كافية ، تعتبر بمثابـة اجوبة عنها . وكان من المتوقع ان تكون الاجوبة مماثلة على العموم للتطمينات التي اعطانيها بتاريخ ١٧ كانون الاول وكيل وزير الدولة المستر « هاو » :

١ً – فيما يتعلق بالممثلين اللبنانيين الذين يجب ان يشتركوا ، وفقـاً لنص الاتفاق ، بمحادثات اركان الحرب ، فليس من المقرر على الاطلاق وضعهم تجاه الامر الواقع . وسيكون دائماً لهم الحق في مناقشات المقررات التي تكون قـد اتخذتها هيئة اركان الحرب الفرنسية والبريطانية في اجتماعها الاول .

٢ً – ينبغي الا يفهم من معدل الـ ٢٥ ٪ المحدد لجلاء القوات المشترك والذي تحدث عنه المستر « هاو » انه معدل ثابت . فقد يحدث ان يتجاوزه الجلاء أو ان يقصر عنه . وكل هذا معلـّق على محادثات أركان الحرب .

٣ً – ليس لمهلة الستة أشهر إلا قيمة تعيينية . فعندما تحدث المستر « هاو » عنها ، كان يتوقع ان تكون منظمة الامم المتحدة من الآن حتى ستة أشهر في ذروة نشاطها . المبدأ هو ان يتم الجلاء في أقرب وقت ممكن . فاذا لم يكن الفرنسيون قد سحبوا جيوشهم في نهاية الستة أشهر ، ولم تكـن الامم المتحدة قد قررت بعد شيئاً ، فان الجيوش البريطانية تبقى مرابطة حتى يـتم الجلاء المشترك .

٤ً – تنوي الحكومة البريطانية تسليح الجيوش اللبنانية لتمكنها من المحافظة

على النظام في لبنان .

٥ً – لا يقصد من الاشارة الواردة في البلاغ الى اعلان الاستقلال المؤرخ سنة ١٩٤١ ، العودة الى أوضاع سنة ١٩٤١ ولا الاعتراف بالتحفظات التي يتضمنها .

٦ً – لا علاقة لمنطقة الأمن التي قد تتألف من بلدي الشرق بالفصل الخاص بالوصاية والمناطق الستراتيجية ولا بالمادة ٤٣ من الشرعة . هناك مناطق جغرافية يمكن اعتبارها هامة لتأمين الأمن العالمي . وعلى مجلس الامن ومنظمة الأمم المتحدة ان يقررا ذلك عندما يقدم لهما اقتراح مناسب .

٧ً – ان البند المتعلق بتنمية منطقة الشرق الاوسط ورفاهيتها وازدهارها لا يختص الا بالشؤون الاقتصادية العادية ولا يفترض فكرة التدخل الحكومي .

ومساء الجمعة دعيت للاشتراك في مناقشة قضية الوصاية ، وهي المناقشات الاخيرة التي تجري أمام اللجنة الرابعة .

قبل افتتاح الجلسة اقبل المستر « بلي » التابع لوزارة الخارجية البريطانية والذي يقوم أيضاً بوظيفة سكرتير الوفد البريطاني في اللجنة التحضيرية التابعة لمنظمة الأمم يحدثني عن الاتفاق الفرنسي – البريطاني .

فأبديت له ملاحظة مؤداها ان التطمينات التي اعطيت لي أبعد من ان تكون قد ارضتني تماماً لانها غامضة وشفوية ولا تنطوي على أية أهمية حقيقية بالنسبة الى نصوص الاتفاق المكتوبة .

فأجابني المستر « بيلي » ، كجميع الرسميين التابعين لوزارة الخارجية البريطانية ، بقوله ان هذه النصوص هي التي قبل الجنرال ديغول بتوقيعها . واضاف ان علاقتنا بفرنسا تتحسن يوماً بعد يوم . لقد ساعدناهم في الهند الصينية وسنساعدهم في أوروبا . وسيسيطر على علاقاتنا جو من الثقة يمكننا من تسوية المشكلة الفرنسية – اللبنانية بطريقة مرضية لكم .

وفي هذه اللحظة اعلن رئيس اللجنة الرابعة افتتاح الجلسة ، فمضى كل منا الى مقعده حول البساط الاخضر الكبير .

النص المقترح اساساً للمناقشة هو الذي هيأته اللجنة الفرعية التابعة للجنة الرابعة بدلاً من توصية اللجنة التنفيذية بصدد انشاء لجنة مؤقتة للوصاية التي كانت قد رُدت بناءً على قرار غالبية كبيرة واثر تدخل موفد الاتحاد السوفياتي .

اللجنة الفرعية التابعة للجنة الرابعة تقترح ارجاء بحث القضايا المتعلقة بتنظيم مجلس الوصاية ليصار الى درسها في القسم الثاني من الدورة الأولى التي ستعقدها الجمعية العمومية التابعة لمنظمة الامم . قبل الاقتراح بالاجماع .

اراد المندوب السوفياتي ، وقد حاول استغلال هذا الانتصار ، ان يحتفظ بأثر خطي له ، فطلب بشيء من الحدة ان تسجل اللجنة التحضيرية في تقريرها الى الجمعية العمومية رفض اقتراح اللجنة التنفيذية الذي يرمي الى انشاء لجنة مؤقتة للوصاية . وان تدون أيضاً الموافقة الاجماعية على اقتراح اللجنة الفرعية التابعة للجنة الرابعة .

فشاع للحال جو من الارتباك والتوتر في القاعة . تكلم ممثل أوستراليـــا مؤكداً انه ليس من الضروري تدوين الرفض بل يكفي ان يدون نص اقتراح اللجنة الفرعية الذي يحل نهائياً محل الاقتراح الذي لم يُقبل . فأجاب المندوب السوفياتي بحدة : لم يشر المندوب الاوسترالي بما أشار اليه إلا محافظـــة على كرامته وليس تحت تأثير الرغبة في ان يكون واقعيـاً ، لأن أولى مبادىء الواقعية تقضي بتدوين جميـع الحوادث التي تتخلل المناقشات لتتمكن الجمعيـة العمومية من الاطلاع عليها .

وكان المندوب البريطاني صامتاً . لكنه بدا أصفر اللون من شدة التأثر . اما الاميركي فقد كان غير مبالٍ . وايد المندوب الفيليبيني وجهة النظر السوفياتية وطلب ان يطرح اقتراحه على التصويت .

وهنا انقذ تدخلي الموقف . فقلت ، بغية خلق جو أقل توتراً ، انني لا أقصد الدخول في أساس المناقشة ، ولكني أطرح على التصويت اقتراحاً يختلف عن اقتراح المندوب الفيليبيني ويرمي الى تكليف رئيس اللجنة الرابعة مهمة الفصل في هذا النزاع الشكلي وفقاً لنص النظام الداخلي .

فتنبهت اللجنة لهذا اقتراح . ان التصويت على اقتراح مخالف كان يعـد تصويتاً ضد الرئيس الذي امتدحه بعبارات حارة ، وامتدح ادارتـه الحسنة ، في هذه الجلسة الاخيرة ، جميع المندوبين ومنهم المندوب السوفياتي . وأوضحت اقتراحي على الوجه الآتي :

« ان النزاع العارض الحاضر لا يعدو كونه ، بالرغم من الضخامة التي بدا

فيها ، نزاعاً على قضية شكلية يستطيع رئيس هذه اللجنة ان يفصل فيه بسهولة على ضوء النصوص بالقياس الى حوادث مماثلة . فامـــا ان يكون التقرير الذي ترفعه اللجنة التحضيرية الى الجمعية العمومية تقريراً تفصيلياً وعندئذ يجب الأخذ برأي المندوب السوفياتي ، واما أن يقتصر التقرير على نص المشروع والمقترحات التي أقرتها اللجنة التحضيرية الى الجمعية العمومية ، وفي هذه الحال يسقط اقتراح المندوب السوفياتي » .

انتصر اقتراحي . وجاء المستر « بيلي » يشكرني بحرارة لأني وجدت حلاً موفقاً للنزاع العارض .

وتسلمت يوم السبت برقية من وزير الخارجية يطلب فيهـا ايضاحات عن التباين الذي لاحظه بين النص الفرنسي والنص الانكليزي في الاتفاق الانكليزي-الفرنسي . لعله التباين نفسه الذي لاحظناه هنـا بين النص الانكليزي الصادر عن وزارة الخارجية البريطانية والنص الفرنسي الذي أرسلته لنـــا المفوضية اللبنانية في باريس .

يقول الاتفاق وفقاً للنص الانكليزي :

يتعهد كل من الفريقين بألا يحل محل الآخر في « مصالحه أو مسؤولياته » ، أما النص الفرنسي فيقول : في « مصالحه ومسؤولياته » .

والواقع ان هذا المقطـع يكرس تقسيم الشرق الاوسط العربي الى منطقتي نفوذ ، احداهما انكليزية والاخرى فرنسية ... أما النص الانكليزي فيفترض وجود بلدان مستقلة لبريطانيا العظمى فيها مصالح لكنها لا تضطلع بمسؤوليات .

ويفترض النص الفرنسي بالعكس عدم وجود بلدان تتمتع بالسيادة التامة والاستقلال . ففرنسا تستطيع ، اذاً ، ان تمتلك فيها مصالح وان تضطلع بمسؤوليات .

وقد أجابت وزارة الخارجية البريطانية عن السؤال الذي وجهته اليها ان النصين الانكليزي والفرنسي الموجودين في حوزتها واحد . ووعدت باجراء تحقيق لمعرفة سبب التباين الذي أشرنا اليه .

هذا، وتشير البرقية الواردة من بيروت الى ان الحكومة اللبنانية لم تتخذ بعد موقفاً واضحاً من الاتفاق الفرنسي – البريطاني . فهي تبدو مترددة في اختيار أي موقف بين النص المكتوب والتطمينات المتفائلة التي اغدقت عليها .

انهت اللجنة التحضيرية لمنظمة الامم المتحدة اعمالها الاحد ٢٣ ك ١ . وبعد عدة جلسات استغرقت ثماني ساعات ، تبنت في جلسة عامة كل التوصيات التي اقرتها مختلف لجان الدرس .

واذا شاء شخص مجرد ان يستخلص من المنازعات العارضة والمناقشات فكرة اجمالية عما طبعت به هذه الدورة ، فلا يستطيع الا ان يتأثر بقوة دفاع وفد الاتحاد السوفياتي عن وجهات نظره . فكان يتمسك دائماً ، ودون سائر الوفود ، بموقف واقعي صريح ، وسجل لمصلحته انتصارات كبيرة . ان نظرياته لم تتأثر باعتبارات عقائدية ضيقة قد تكسبه عداوات غالبية الامم الممثلة في المؤتمر .

وتناقلت صحف لندن الصادرة صباح الاثنين ٢٤ ك ١ انباء نزاع نشب في

بيروت بين اركان حرب الجيشين البريطاني والفرنسي بعدما طلب الفرنسيون، في المباحثات التي جرت بتاريخ ٢١ كانون الاول ، ان تجلو القوات البريطانية عن سورية الى العراق وفلسطين بدلاً من لبنان ، وإلا فان عدد القوات البريطانية في لبنان سيفوق كثيراً عدد القوات الفرنسية المرابطة فيه .

ولا تقول الصحف ان هذا الخلاف قد سوي بطريقة ما ، بل تترك مجالاً للاعتقاد انه قد وضع حداً للمباحثات الاولية ، ولو مؤقتاً .

كنت قد قضيت فرصة الميلاد في قرية صغيرة من مقاطعة « هرفوردشير » . كانت السماء ممطرة والطقس بارداً .

ولدى عودتي الى لندن وجدت عدة برقيات من بيروت ، تتضمن إحداها نص البلاغ الذي أصدرته الحكومة أخيراً والذي تقول فيه انها لا تعترف بالاتفاق الذي وقع بين بريطانيا وفرنسا دون استشارتها .

وهنالك برقية أخرى تكلفني ايضاح نقاط غامضة من الاتفاق .

لقد حان الوقت اذاً لتقديم مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية توضح موقف الحكومة اللبنانية وترفض كل ما جاء في الاتفاق بشكل يمس بسيادة لبنان أو يتعارض مع مصالحه .

وقد قدمت المذكرة صباح السبت ٢٩ ك ١ الى المستر « ر. هاو » في مكتبه في وزارة الخارجية فوجدته بارداً ومتحفظاً بينما كانت أجوبته الغامضة مختلفة عن التطمينات التي حاول عفواً ان يعطيني اياها يوم ١٣ كانون الاول .

تبدأ سنة ١٩٤٦ بدلائل غير مشجعة . فمؤتمر موسكو لم يحل أية صعوبة من الصعوبات التي تباعد بين الدول الكبرى . والتصريح الذي أصدرته الحكومتان البريطانية والاميركية وحكومة الاتحاد السوفياتي لا يخفي الحقيقة وان كان التفاؤل يسوده ، وهي انه لم يتم أي عمل ملموس حتى الآن .

أما فيما يتعلق بالاتفاق البريطاني – الفرنسي الموقع بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ فانه قد يقضي ، اذا لم نتخلص منه ، الى كارثة تعادل من حيث جسامتها خسارة الاستقلال .

وفي اليوم التالي أرسلت تقريري عن كانون الاول سنة ١٩٤٥ . كان موضوعه الاتفاق البريطاني – الفرنسي .

وهو يشتمل على ثلاثة أقسام :

القسم الاول مخصص لتفسير الاتفاق الذي يكرس بنظري تقسيم الشرق الاوسط الى مناطق نفوذ ويعطي الفرنسيين المركز الممتاز الذي طالبوا به بالأمس . فهو اذاً عودة الى سياسة ١٩١٨ – ١٩١٩ مع استعمال كلمات أكثر مطابقة لظروف الساعة .

ويتضمن القسم الثاني التطمينات والايضاحات التي اعطتني إياها في مختلف المناسبات وزارة الخارجية البريطانية .

ويتضمن القسم الثالث النتيجة التي يجب ان نستخلصها من الاتفاق مع

اقتراحاتي المتعلقة بالاساليب التي يجب ان تتبع للتخلص منه . فأصررت على وجوب المحافظة على صداقتنا لبريطانيا العظمى ، لكنني أصررت من جهة ثانية على وجوب استخدام جميع الوسائل للحيلولة دون تنفيذ اتفاق ١٣ كانون الاول .

أما المساعي التي نصحت بها فهي :

١ – دعوة الجامعة العربية للانعقاد فوراً . ٢ – طرح قضيتنا على منظمة الامم المتحدة في جمعيتها العامة المقبلة .

ولا أستطيع مقاومة رغبتي في تدوين هذا الجزء الخاص من التقرير المتعلق باتجاه السياسة البريطانية في الشرق الاوسط العربي :

« ان السياسة البريطانية خاضعة للاهتمام بتأمين التعاون مع فرنسا في القارة الاوروبية ، وقد بلغ هذا الاهتمام درجة مَرَضية تمنع هذه السياسة من ان تدرك ، من جهة ، ان الجنرال ديغول لا يتبع سياسة تعاون بل سياسة توازن بين ما يسميه الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، ومن جهة ثانية ان فرنسا ، بدون الجنرال ديغول ، ستبقى مدة طويلة فريسة الاضطرابات الاجتماعية التي يتفاقم خطرها .

« ولا بد أن تتأكد بريطانيا ، في النهاية ، من أن مصالحها الحقيقية قائمة في الشرق الاوسط . وليس من الحكمة ان تستهدف لخصومة مصر ، والاساءة الى العالم العربي في قضية فلسطين ، وتنفير دولتي الشرق في وقت واحد » .

وبما أن حل مشاكلنا متصل اتصـــالاً مباشراً بتقلبات السياسة الفرنسية فلست أستطيع أهمال ما يحدث ما وراء المانش . لقد وقع حادثان يدلان دلالة صريحة على مدى ضعف مركز الجنرال ديغول :

أول الحادثين وقع أثر نشر البلاغ المشترك الذي أذاعته الدول الثلاث الممثلة في مؤتمر موسكو . فقد انقسمت الوزارة الفرنسية الى فئتين : أحداهما ، ويمثلها الجنرال ديغول ، تصر على اتباع سياسة المحافظة على هيبـة فرنسا ، وتطالب بأن تكون فرنسا ممثلة في جميع المحادثات المتعلقة بالشؤون الاوربية . وتطالب، مثلا ، بأن تشترك فرنسا في ابحاث المعاهدات المنوي عقدها مع الدول البلقانية وان لم تكن فريقاً في هذه المعاهدات .

والفئة الثانية ، تعترف بأن فرنسا ضعيفة في الوقت الحاضر ، لذا ينبغي لها أن تأخذ بعين الاعتبار حقيقة الواقع فلا تتوغل في سياسة عرّضتها غير مره في الماضي القريب ، لصدمات مخزية .

كاد هذا الانقسام ن يؤدي بالوزارة الفرنسية الى نتائج خطيرة لو لم تتفق الفئتان على تسوية تنص على أن تطلب الحكومة الفرنسية بعض الايضاحات من الدول الثلاث الكبرى قبل اتخاذ أي موقف من مقررات مؤتمر موسكو .

أما الحادث الثاني فقد وقع في المجلس الوطني عند التصويت على موازنـــة الجيش ، عندما طلب اليساريون تخفيض المبلـــغ المخصص للجيش ، فعارض الجنرال ديغول هذا الطلب وهدد بالاستقالة ، الا أن تسوية انقذت هذا الموقف أيضاً .

وتقول انباء لم تؤكد رسمياً وردت يوم السبت أن الحكومـة السوفياتية قدمت الى الحكومة اللبنانية مذكرة عن الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي المؤرخ في ١٣ كانون الاول ، تتضمن النقاط الآتية :

١ً ـ ان الحكومة السوفياتية تثبت اعترافها باستقلال لبنان استقلالاً تاماً ودون تحفظ .

٢ً ـ أن الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي حصل دون معرفة الحكومة السوفياتية .

٣ً ـ أن الحكومة السوفياتية لا تستطيع اسداء أية نصيحة للحكومـة اللبنانية لكنها مستعدة لتأييدها اذا أرادت مقاومة هذا الاتفاق .

٤ً ـ ان الحكومة السوفياتية لا تطالب لنفسها بأي امتياز شرط الا يمنح سواها أي امتياز .

في مجلس الأمن الدولي

الاحد ٦ كانون الثاني ١٩٤٦

استقبلت قبل الظهر على محطة فكتوريا الوفد اللبناني الى الدورة الأولى للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة . وهو مؤلف من السادة حميد فرنجيه وزير الخارجية ، ورياض الصلح رئيس الوزارة سابقاً ، ويوسف سالم وزير الداخلية . انا أيضاً عضو في الوفد .

واستقبلت يوم الاثنين المستر ج . ودسورث وزير الولايات المتحدة في بيروت ، الذي يقوم الآن بوظيفة خبير مستشار مرافق للوفد الاميركي الى منظمة الامم المتحدة ، وتحدثنا طويلاً عن الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي وعن موقف حكومة الولايات المتحدة منه . وهذه أهم تفاصيل هذا الموقف :

« قبل التوقيع على هذا الاتفاق اتصلت الحكومتان البريطانية والفرنسية بوزارة الخارجية في واشنطن وعرضتا عليها مشروع اتفاق رفضته هذه الوزارة لأنه يكرس تقسيم الشرق الأوسط الى مناطق نفوذ ويشابه في مجمله اتفاقات سنة ١٩٠٤ .

« وبعد عدة أيام قدمت الحكومتان نصاً جديداً رفضته الوزارة الاميركية أيضاً مبينة ان الألفاظ وحدها قد تبدلت وان المعنى لم يزل كما كان .

« تعتبر وزارة الخارجية الاميركية ان اتفاق ١٣ كانون الأول سنة ١٩٤٥ كان وليد سياسة ولّى زمانها ولا تتفق مع الظروف الدولية الحاضرة . وهي الآن تعد مذكرة لارسالها الى حكومتي بريطانيا وفرنسا توضح فيها وجهة نظر الادارة الاميركية في الموضوع » .

وبعدما بحثنا الناحية القانونية في مختلف القضايا التي يثيرها اتفاق ١٣ كانون الاول على ضوء مقررات سان فرنسيسكو ، وصلنا بالنتيجة الى التأكيد ان الاتفاق خرق خطير لمبادىء شرعة الأمم المتحدة ، لا سيما في بنوده المتعلقة بمناطق الأمن الجغرافية .

اما بشأن الموقف الذي ستتخذه الولايات المتحدة اذا اثيرت القضية أمام منظمة الأمم المتحدة فلا يستطيع المستر ودسورث الادلاء بأي رأي رسمي أو أكيد قبل استشارة واشنطن . إلا انه يظن ، بالنظر لما سبق لوزارة الخارجية ان عبّرت عنه بهذا الصدد ، ان موقفها لن يكون الا موالياً لنا .

ويوم الاربعاء وصل الى لندن أحمد بك الداعوق وزير لبنان المفوض في باريس . الانباء التي ينقلها تدعو الى التشاؤم . فقد أفهمه موظفو الكه دورسه ان اتفاق البريطانيين والفرنسيين يتوطد يوماً بعد يوم ، وان السيد بيفن سيدلي قريباً بتصريح أمام مجلس العموم يقول فيه ان الجيوش البريطانية ستنسحب الى فلسطين وان القوات الفرنسية وحدها ستتجمع في لبنان .

بادرت الى استيضاح وزارة الخارجية فوراً ، فكذب المستر هندرسن هذا

الخبر تكذيباً قاطعاً ، مشدداً على انه ليس في وسع الحكومة البريطانية إلا ان تحترم وعد الشرف الذي قطعته للحكومة اللبنانية بابقاء الجيوش البريطانية في لبنان حتى تنسحب منه الجيوش الفرنسية .

عقدت الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة جلستها الأولى بعد ظهر يوم الخميس في تمام الساعة الرابعة ، فألقى كل من الرئيس المؤقت ورئيس الوزارة البريطانية خطاباً . إن فكرة جديدة واحدة تتجلى في الخطاب الأخير ، وهي ان السياسة الخارجية في كل دولة من الدول ينبغي ان تجري في نطاق منظمة الامم المتحدة .

تبدأ هذه الدورة في ظل خلاف مكتوم يتنازع الشرق والغرب . وقع حادث اثناء انتخاب رئيس الجمعية . فقد كان يبدو ان المسيو سباك وزير خارجية بلجيكا يتمتع بالاجماع . إلا ان المسيو غروميكو ممثل الاتحاد السوفياتي اقترح ترشيح وزير خارجية نروج ، موفدو فأيده اوكرانيا وبولونيا والدانمرك الاقتراح السوفياتي بقوةٍ واصروا على ان يكون الاقتراع بالوقوف اجماعاً .

لكن الاقتراح فشل وفاز المسيو سباك بالرئاسة بأكثرية ضئيلة . وراح كل واحد يتساءل ، بعد هذا التصويت ، عما اذا كانت نية الاتحاد السوفياتي ، والدورة في بدايتها ، تتجه حقاً الى انجاح مرشح أم الى اثبات وجوده واظهار قوته داخل المنظمة .

لكن الجو كان اكثر هدوءاً في جلسات ما قبل ظهر الجمعة وبعده ، فجرت انتخابات المكاتب واللجان دون صعوبة .

وانتخب لبنان عضواً في المجلس الاقتصادي والاجتماعي . وجرت ، في جلسة صباح الاثنين ١٤ ك ٢ ، مناورة لتعكير الجو . فلم يكن الوفد الفرنسي متحمساً لانتخاب لبنان بينما كان الوفدان البريطاني والاميركي يعاكساننا منذ الدقيقة الأولى . لذلك كان انتخاب لبنان في هذه الظروف انتصاراً حقيقياً . ويعود الفضل فيه الى تضامن الدول العربية ، وتأييد الوفود اللاتينية الاحدى والعشرين لنا تأييداً تاماً خاصة بعدما استطاع السيد فكتور خوري ، مستشار المفوضية ، ان يستغل حتى النهاية العلاقات القوية التي خلقها مغتربونا بين لبنان واميركا اللاتينية .

وفي الجلسة العامة الاخيرة من جلسات الجمعية العمومية التي عقدت يوم السبت خطب كثيرون من ممثلي الوفود ، كما اشتركت في المناقشة وفود لبنان وفرنسا وسورية .

لم يكن من السهل الاتفاق على ترتيب دور كل من الوفود الثلاثة الآنفة الذكر في الكلام ، فتخللت ذلك منازعات عارضة . منذ اليوم الاول من أيام المناقشة العامة ، التي كان مقدراً لها ان تستمر اسبوعاً ، سجل لبنان وسورية اسميها في جدول خطب يوم السبت ، بينما طلب الوفد الفرنسي الكلام نهار الجمعة . غير ان السيد فنسان أوريول رئيس الوفد الفرنسي تدخل لدى رئيس المجلس لتأخير دوره الى ما بعد الوفدين اللبناني والسوري . إلا ان هذه المناورة لم تنجح الا جزئياً . اذ انني ، لما استدعاني الرئيس لتسوية هذا الخلاف ، قبلت بان تتكلم فرنسا بعد لبنان ولكن قبل سورية .

وعقد الوفدان اللبناني والسوري يوم الاحد ٢٠ ك ٢ اجتماعاً مشتركاً في

الريتز للتشاور في مسألة موافقة او عدم موافقة طرح قضية جلاء الجيوش البريطانية والفرنسية عن الاراضي اللبنانية والسورية على منظمة الأمم المتحدة، بعدما طلبت ايران من مجلس الأمن سحب القوات السوفياتية المعسكرة في اراضيها.

فتغلب الرأي القائل ان مناقشة هذه القضية بصورة علنية في منظمة الأمم المتحدة تعطي البريطانيين الذين يرغبون في سحب جيوشهم فرصة للضغط على الفرنسيين لسحب الجيوش الفرنسية ايضاً . وتقرر تكليفي جس نبض وزارة الخارجية البريطانية .

وهذا الصباح أعلنت الصحافة عن قرب نشوب أزمة سياسية في فرنسا ، وقالت الـ « ب. ب ث » هذا المساء انه يجب اعتبار الجنرال ديغول بحكم المستقيل . اذا صحت هذه الأنباء فستكون في ايدينا أسلحة جديدة .

وزرت في اليوم التالي المستر هندرسن المستشار في القسم الشرقي التابع لوزارة الخارجية البريطانية وتحدثت اليه عن الوضع الحاضر وعن الموافقة على رفع قضيتنا الى منظمة الامم المتحدة .

ان وجهة النظر البريطانية — وهندرسن يعتقد انه يستطيع التعبير عنها — هي ان الحكومة البريطانية مستعدة لسحب قواتها في كل وقت . أما الفرنسيون فيريدون ، على العكس ، الاحتفاظ بقواتهم أطول مدة ممكنة . والمذكرة البريطانية المرسلة الى الحكومة الفرنسية ، منذ حوالي عشرة ايام ، بشأن سحب جميع الجيوش في وقت واحد بقيت دون جواب . ويزعم الفرنسيون انه

ينبغي تأخير سحب الجيوش الى ما بعد صدور قرار منظمة الامم المتعلق بتنظيم السلامة الاجماعية .

وترى الحكومة البريطانية ، في مثل هذه الظروف ، ان من حق لبنـــان وسورية ان يرفعا قضيتهما الى المنظمة . وقد يكون من نتائج هذه الدعوى العودة الى استئناف المحادثات او الحصول على توصية موافقة من مجلس الأمن .

لكن هندرسن لا يستطيع الا التعبير عن رأيه الخاص بشأن موقف بريطانيا العظمى عندما ترفع القضية الى منظمة الامم المتحدة . فقد يكون موقفها منـا عدائياً اذا هاجمنا مجمل الاتفاق . لكن موقفها قد يكون ملائماً اذا اكتفينـا بطلب جلاء القوات عن الاراضي اللبنانيـة والسورية ، لان هذا الطلب يتفق ووجهة النظر الرسمية التي عبَّر عنها ، اكثر من مرة ، الممثلون المسؤولون في الحكومة البريطانية

ومن الافضل بحث هـذا الموضوع مع المستر « هاو » ثم مع السر الكسندر كادوغان .

اجتمعت بالمستر « هاو » في الفورنغ أوفيس يوم الثـــلاثاء . ورأيه يتفق تقريباً ورأي المستر هندرسن .

سيحضر السر الكسندر كادوغان لتناول طعام الغداء في المفوضية اللبنانية نهار الثلاثاء القادم حيث يجتمع بوزير الخارجية السيد حميد فرنجيه .

وعلى الرغم من اتصالاتنا « بالفورنغ أوفيس » لا يزال الوفدان اللبنـــاني

والسوري يترددان حول ما اذا كان ينبغي ان نرفـع قضيتنا الى منظمة الأمم المتحدة أم لا .

الا ان الجميع متفقون على أمر واحد ، هو انتظار تأليف الحكومة الفرنسية الجديدة لمعرفة ما اذا كانت تقبل ، بعد ان تخلصت من تصلب الجنرال ديغول ، بسحب الجيوش الفرنسية بصورة مطلقة غير مشروطة وفقاً للرأي والاقتراح البريطانيين .

والتردد في رفـع القضية الى منظمة الأمم المتحدة لم يكن وليد ضعف الثقة بعدالة قضيتنا بل نتج عن الخوف الذي امتدت عدواه الى الوفدين اللبنـــاني والسوري . ان فعالية منظمة الأمم المتحدة مشكوك فيها وظروفها الحاضرة هي على ما هي عليه ، وينبغي تلافي إثقال عاتق مجلس الأمن باعبـــاء ثقيلة وهو ما فتىء في المهد .

فايران طلبت من مجلس الأمن ان يوصي الاتحاد السوفياتي بسحب جيوشه التي بقيت في الاراضي الايرانية بشكل يناقض الاتفاق المعقود بـــين البلدين . وهناك طلبان آخران رفعا الى مجلس الأمن وموجهان ضد بريطانيا العظمى ، والمقصود منهما شل مساعي هذا المجلس . أحد هذين الطلبين تقدم به الاتحـاد السوفياتي ، وهو يستهدف وجود القوات البريطانيـــة في اليونان . اما الطلب الآخر فتقدمت به اوكرانيا ويتنـــاول وجود القوات البريطانية في الهند الهولندية .

وعقد الوفدان اللبناني والسوري اجتماعاً جديداً يوم السبت دارت فيـــه مباحثات تناولت موضوعين :

١ً – الفائدة المرجوة من مثول رؤساء الوفود العربية امام اللجنة المختلطة الانكليزية –الاميركية المكلفة بالتحقيق في قضية فلسطين وأداء الشهادة لمصلحة عرب فلسطين .

لقد تقرر مبدأ المثول امام اللجنة مع الاحتفاظ بأخذ رأي سائر الوفود العربية .

٢ً – تحسباً للطوارىء، تقديم مذكرة الى مجلس الأمن تتناول سحب القوات الفرنسية والبريطانية المرابطة في لبنان وسورية .

كلفت وضع هذه المذكرة مستعيناً بالنصوص التي أعدها الوفد السوري .

وتناول يوم الثلاثاء ٢٩ ك ٢ السر الكسندر واللادي كادوغان والسيد حميد فرنجيه وزير الخارجية طعام الغداء على مائدة المفوضية . استعرضنا بكل دقة الحالة بكاملها .

ان وزارة الخارجية البريطانية لا تعترض على اقامتنا الدعوى امام مجلس الأمن ، اذا كانت تلك رغبتنا المقررة . لكنها تتمنى الاطلاع على التفاصيل ، عند الاقتضاء ، حتى نحد ، أقل ما يمكن ، من موقف الخصومة من بريطانيا العظمى التي أكدت تكراراً عزمها على سحب جيوشها من الأراضي اللبنانية والسورية .

وأقمنا يوم الخميس حفلة عشاء في الكلاريدج على شرف أعضاء الوفد اللبناني الى الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة . كان عدد المدعوين حوالي المئة بينهم

اللورد « شانسلر » ، وهو اللورد « جوبت » الذي شاء ، رداً على كلمتي الترحيبية القصيرة ، ان يؤكد لي ان ضيوف لندن القادمين من البلاد العربية سيصادفون دائماً ، بين نزلاء العاصمة المتمازين ، اجمل الترحيب .

ثم اجتمعت الوفود العربية بعد العشاء وناقشت قضية فلسطين . وبالرغم من ان موعد المثول أمام لجنة التحقيق المختلطة يصادف غداً ، فقد تبين لي ، وأذهلني ، ان أحداً من الموفدين العرب المكلفين بالمثول أمامها لم يهيىء نص تصريحاته ولا تسلح بأية وثيقة . ان الارتجال خطير جداً في مثل هذا الظرف الحرج ، فضلاً عن انه يحمل على الاعتقاد ان التنظيم مفقود تماماً في الأوساط العربية السياسية العليا. وهذا ضعف استفاد اليهود منه دائماً على حساب مصلحة فلسطين .

وقدمثل رؤساءالوفود العربية يوم الجمعة اول شباط أمام لجنةالتحقيق المختلطة فانجلت خطوتهم عن اخفاق تام ، كما كان متوقعاً . لقد كانت الواقعية تنقص تصريحاتهم جميعاً و كذلك عمق التفكير ، والتناسق ، بل المنطق أحياناً .

وعند الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين القيت محاضرة في « شاتم هوس » عقبتها كالمعتاد مناقشة عامة. وكان موضوع المحاضرة الاتفاق البريطاني–الفرنسي المعقود في ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ وشرعيته بالنسبة الى ميثاق الامم المتحدة وتأثيره على مجموع البلدان العربية .

وقد هاجمني المستمعون بأسئلتهم بشكل تجاوز في سرعته كل سابقة واجهتها في السنتين الاخيرتين . واصابني رشاش من الانتقادات وتقبلت بعض التهاني .

وبوجه عام كان الشعور طيباً ملائماً .

وبعدما شاع ان الوفدين اللبناني والسوري قررا رفـــع القضية الى مجلس الامن اجرى الفرنسيون أول اتصالاتهم بالوفد اللبناني .

فاعرب السيد جورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية ، بواسطة المسيو هنري بونسو المفوض السامي سابقاً في لبنان وسورية ، عن رغبته في التعرف الى السيد حميد فرنجيه وزير الخارجية اللبنانية .

وجرى بين الرجلين الحديث التالي :

السيد بيدو : قد يكون في وسعنا ان نعالج حل مشاكلنـــا بمفاوضات مباشرة .

السيد فرنجيه : اننا من ناحيتنا لا نجد أي مانع شرط ان تسير المفاوضات بسرعة .

السيد بيدو : انا عارف انكم مستعجلون ، ولهذا طلبت من الكونت استروروغ الموجود حالياً في باريس ان يحضر حالاً الى لندن ، وسيقابلكم فور وصوله .

واجتمع الوفدان اللبناني والسوري يوم السبت للتدقيق في مشروع عريضة الشكوى التي يجب ان تقدم الى مجلس الامن .

اما الاتصالات بين السيد حميد فرنجيه والفرنسيين فقد بـــدأت . كانت

الاحاديث عامة فلم تعالج نقاطاً معينة . يميل الفرنسيون الى التوسع لكي تشمل المحادثات مواضيع أخرى يُزعم انها معلقة .

واعتقد انهم يرغبون في الاتفاق على المعاهد العلمية وبعض القضـــايا الاقتصادية ... ولم يؤتَ على ذكر « النقاط الستراتيجية » .

ويوم الاحد ٣ شباط استقبل السر الكسندر كادوغان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية في مكتبه السيد حميد فرنجيه . وشكا السر الكسندر من ان عريضة الشكوى الى مجلس الأمن التي أقرها الوفدان اللبناني والسوري تتضمن عبارات يرى ان قسوتها تتجاوز كل ما يفرضه الاتفاق الفرنسي- البريطاني المؤرخ في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٤٥ . وفي هذه الحالة فان موقف الحكومة البريطانية لا يمكن ان يكون الا سلبياً . ستكون بريطانيا مستعدة دائمـاً لسحب جيوشها لكنها ستمتنع عن التصويت داخل مجلس الأمن .

واضاف السر الكسندر انه تحدث الى المسيو ماسيغلي سفير فرنسا في لندن، واتضح له انه ليس في مقدور فرنسا تعيين موعد لسحب قواتها . واذا كان لا بد من تعيين موعد فسيجده اللبنانيون بعيداً الى حد انهم لن يقبلوا به .

لقد ابلغنا السيد حميد فرنجيه حديثه هذا مع السر الكسندر كادوغـان ، وهو الحديث الذي جرى اليوم عند الساعة الخامسة ، والذي تبعته محـادثات بين السيد فرنجيه نفسه والكونت استروروغ الوزير الفرنسي المفوض .

استخلص من حديث فرنجيه — كادوغان ما يلي :

١ – ان الوفد البريطاني لن يقترع ضد فرنسا أياً كانت العبارات المستعملة في تحرير العريضة الى مجلس الامن . ولست أجد ، في الواقع ، أي مبرر لتذمر وزارة الخارجية البريطانية . فالعبارات التي تؤاخذنا عليها هي العبارات نفسها التي تستعمل عادة في كل عريضة من هذا النوع .

٢ – ان وزارة الخارجية البريطانية تحاول أن تضغط علينا مرة أخيرة على أمل أن يسهل هذا الضغط المفاوضات وتزول ضرورة اللجوء الى مجلس الامن .

أما المحادثات بين فرنجية واستروروغ ، فقد انتهت الى أخفاق كامل . لقد ظهر من الكونت استروروغ أنه يوافق على فصل قضية جلاء القوات عن قضية « المواضيع المعلقة » ، ووافق كذلك على النظر في تحديد مهلة قصوى للجلاء . لكنه الح على ضرورة الاحتفاظ ، في الاتفاق الذي يعقد ، ببند يتعلق بواجب فرنسا في المحافظة على الامن في الشرق وببند آخر يتعلق بتنظيم السلامة الاجماعية في هذه المنطقة .

لكن الوفدين اللبناني والسوري اتفقا يوم الاثنين ، على نص العريضة التي ينبغي أن ترفع الى مجلس الامن . وبعدما وقعها رئيسا الوفدين سلمت الى الامين العام لمنظمة الأمم المتحدة .

كل هذه الاجراءات أنجزت في جو من التأثر العاطفي العميق الذي يرافق القرارات التاريخية الخطيرة .

وعملت طيلة يوم الثلاثاء على وضع المذكرة التي يجب أن تر ـــ ع الى مجلس

الامن في الجلسة . تبدو المهمة صعبة جداً ليس فقط لأن كل عبارة يجب أن توزن بدقة ، بل لأنه يجب التقيد باعتبارات سياسية عديدة ، كتحاشي ذكر أية عبارة يكون من شأنها أطراء دول الغرب أو الاستنجاد بعدلها ، حتى لا نتعرض لفقدان المساندة السوفياتية .

ويوم الاربعاء ٦ شباط فرغت من وضـــع النص الأول للمذكرة ، فناقشه الوفدان اللبناني والسوري في اجتماع عقداه في الريتز .

وبدلاً من أن يعمد الوفد السوري الى وضع مذكرة مقابلة فقد أعد ثلاثاً ، كل منها تخالف الاخريين ولا تكملها ، مما عقّد المناقشة التي استمرت ساعتين دون جدوى .

وجدد الفرنسيون يوم الخميس المحاولات الرامية الى استئناف المفاوضات .

وتحدثت يوم الجمعة طويلاً الى المستر ستيفنس ، وهو محامٍ مشهور في شيكاغو ، وعضو الوفد الاميركي ، فطلب أن يطلع على أساس الخلاف الناشب بيننا وبين الفرنسيين .

قدمت له عرضاً كاملاً للقضية ، واثبت له أن نوايا فرنسا الكامنة وراء ابقاء جيشها اطول مدة ممكنة في لبنان تستهدف الضغط على الحكومة اللبنانية لحملها على منح فرنسا امتيازات استراتيجية واقتصادية . ان المذكرة ، المؤرخة في ١٨ أيار سنة ١٩٤٥ التي سلمها الجنرال بينه للحكومة اللبنانية والتي تتضمن المطالب الفرنسية ، أثرت عليه تأثيراً عظيماً .

سألني ستيفنسن عما اذا كنا نرتاح الى قرار يصدر عن مجلس الامن يوصي بجلاء القوات الفرنسية والبريطانية في مهلة ينبغي أن يتفق عليها الفريقان ، فأجبته أن اقتراحه يكون مقبولاً اذا وافق مجلس الامن على ابقاء القضية على جدول أعماله ريثما يتم الاتفاق النهائي بين الفرقاء ويصدق عليه مجلس الامن نفسه .

واخذ وضع الوفد اللبناني في اتصالاته بالفرنسيين يتقلقل يوم السبت . وقد اظهرت المفاوضات ، مع الأسف ، أن اللبنانيين مصابون بشيء من الضعف لن يقود ، مطلقاً ، الى شاطيء الامان .

جاء السيد حميد فرنجيه هذا الصباح الى المفوضية ، وفي يده ورقة ناولني اياها تتضمن وجهة النظر الفرنسية التالية :

« فيما يتعلق بسورية ولبنان ، فان فرنسا ، بالاتفاق التام مع بريطانيا العظمى ، أعطت الدليل على حسن ارادتها بالمبادرة الى عقد اتفاق يتناول الجلاء عن أراضي هذين البلدين . اما الحل فلم يوضع له بعد تعريف واضح . لكننا نتمنى ان يتيسر وضع هذا التعريف في مستقبل قريب ، اذ أنه معلّق على القرارات التي يجب ان تتخذ بشأن الأمن الاجماعي. الا ان اتفاق ١٣ كانون الاول لا يفسر من قبل موقعيه بأنه يفرض نية الاحتفاظ ، دون تحديد الزمن ، بقوات في الشرق ، اذا لم يتخذ مجلس الأمن قراراً بهذا الخصوص . انني (أي المسيو بيدو) سعيد بأن أضيف ان حكومتي تكون مستعدة لدرس القضية مع حكومتي لبنان وسوريا ، وللبحث عن حل مرضٍ » .

وأضاف السيد حميد فرنجيه ، وهو يسلمني هذه الورقة وهي مشروع لتصريح يذيعه المسيو بيدو فنقبل به نحن ، ان المفاوض الفرنسي مستعد ، كما

يبدو ، ان يحذف منه العبارة الآتية : « انه معلّق على المقررات التي يجب ان تتخذ بشأن الأمن الاجماعي . »

فأجبت : يجب رفض هذا الاقتراح حالاً . انه لا يحتوي إلا على ما يعتبر التعبير الأكيد عن اتفاق ١٣ كانون الاول . ويلوح لي ان غموضه يؤلف خطراً على المستقبل .

حميد فرنجيه : لكن رياض الصلح قبل به كما قبلت انا به .

انا : انك ورياض الصلح حران بأن تقبلاه ، أما فيما يعنيني فاني لا استطيع الموافقة عليه . وأنا متأكد من اننا اذا وافقنا عليه فسنعود الى نقطة الانطلاق التي تحركنا منها في مثل هذا الفصل من السنة الفائتة .

ترك السيد حميد فرنجيه المفوضية بعدما مكث فيها مدة صامتاً .

اجتمع بعد ظهر اليوم الوفدان اللبناني والسوري وأجريا مناقشة حول نص الاقتراح الفرنسي استغرقت ساعتين ، وسيطر عليها جو من ضعف وخوف لا يصدّقان . فاضطررت لان اترك الاجتماع بعدما حمّلت الوفدين مسؤولية قبول المقترحات الفرنسية .

وبينما كنت في مجلس الأمن صباح الثلاثاء ١٢ شباط استمع الى مناقشة قضية أندونيسيا جاء السيد حميد فرنجيه وسلمني الاقتراح الفرنسي المعدل . وأضاف ان المفاوضات الجارية منذ أمس افضت الى وضع النص التالي :

« فيما يتعلق بسورية ولبنان فان فرنسا ، متفقة في ذلك مع بريطانيا العظمى ، قد أعطت الدليل على حسن ارادتها بالمبادرة الى عقد اتفاق يتناول

الجلاء عن اراضي هذين البلدين . أما الحل فلم توضع له بعد خطة جلية . لكننا نتمنى ان يصير الوصول الى هذا الحل مستطاعاً في مستقبل قريب . ان اتفاق الثالث عشر من كانون الاول لا يفسر من قبل موقعيه بأنه يفرض نية الاحتفاظ، دون تحديد الزمن ، بقوات في الشرق ، اذا لم يتخذ مجلس الأمن قراراً بهذا الخصوص . ان القضية معلقة على صعوبات فنية . انني – السيد بيدو – سعيد بأن اضيف ان حكومتي مستعدة لدرس القضية مع حكومتي سورية ولبنان ، والبحث بالاتفاق معهما عن حل مرضٍ » .

لم يتبدل موقفي ، وهو رفض النص الجديد الذي لا يختلف في الأساس عن النص الاول . أما السيد حميد فرنجيه فقد أضاف ان هذا منتهى ما يستطيع الفرنسيون اعطاءه .

انا : ليس في ذلك ما يوجب علينا قبوله . فاما ان تكون نيات الحكومة الفرنسية واضحة ويجب ان تعبّر عنها بجلاء ووضوح ، واما ان لا تكون واضحة وعند ذاك تنتفي كل فائدة من عقد اتفاق مشبوه معها .

حميد فرنجيه : يقول الفرنسيون انهم يريدون مداراة الرأي العام عندهم بتلافيهم التعابير الجلية التي نطالبهم بها ، قدر المستطاع .

انا : لا نستطيع تعريض مصالحنا الحيوية للخطر مراعاة للرأي العام الفرنسي . لذلك أراني مصراً على الرفض .

وبعد الظهر عقد الوفد اللبناني اجتماعاً مع الوفد السوري في اوتيل «ميفير» .

الآراء متضاربة على الرغم من الميل الى حل حبي يستند الى الاقتراحات الفرنسية الحاضرة . السادة فرنجيه والصلح ويوسف سالم يؤيدون نهائياً هذا الموقف . الوفد السوري متردد . لقد ظل ناظم قدسي وحده متشبثاً بموقفه . وموقفي لم يتبدل . الا ان الالحاح العام ، ولئلا أبدو بمظهر من يحاول عرقلة الامور ، لمجرد عرقلتها ، حملني على عرض الاقتراح الآتي :

اني اقبل بالدخول في المفاوضات على اساس الاقتراح الفرنسي شرط : ١ – الا يعني هذا القبول تنازلاً عن الموقف الذي اتخذناه في عريضتنا الى مجلس الأمن . ٢ – ان يصرح رئيسا الوفدين اللبناني والسوري باسم بلديهما بما يأتي ، وذلك ، أثر التصريح الذي يدلي به رئيس الوفد الفرنسي :

« ان الحكومتين اللبنانية والسورية مستعدتان للموافقة على الاقتراحات التي يشتمل عليها تصريح وزير الخارجية الفرنسية اذا كان رأي الحكومة الفرنسية يعني :

١ – ان مبدأ الجلاء عن الاراضي اللبنانية والسورية قد تقرر نهائياً .

٢ – ان هذا الجلاء غير مرتبط باي قرار تصدره الامم المتحدة بشأن تنظيم الامن المشترك في الشرق أو باي شرط آخر .

٣ – ان الحكومة الفرنسية بقولها « ان القضية معلقة على صعوبات فنية » لا تقصد غير عمليات الجلاء المادية فقط .

٤ – تبدأ ، فوراً ، المفاوضات بين الحكومة الفرنسية وحكومتي لبنان

وسورية لتحديد شكل الجلاء التام ومدته » .

فقبل اقتراحي بجمله .

واقام الوفد السوري في المساء حفلة عشاء في « الدورشستر » . كان المستر بيفن حاضراً . فجرى له ، فور وصوله ، حديث خاص مع السيد فارس الخوري رئيس الوفد السوري الذي ابلغنا ، بعد العشاء ، ان المستر بيفن يبدو قلقاً جداً من جراء تطور مناقشة القضية الاندونيسية امام مجلس الامن . فقد هاجم ممثل الاتحاد السوفياتي بريطانيا العظمى بعنف . والمستر بيفن يخشى ان تتيح قضية لبنان وسورية الفرصة لهجوم جديد . وألح على وجوب التوصل الى حل حبي مع فرنسا خارج نطاق مجلس الأمن .

وكان السيد فارس الخوري ، وهو يطلعنا على هذه المحادثة ، متأثراً جداً ، وسرعان ما سرت عدوى هذا التأثر الى أعضاء الوفدين .

فقررت ، عندئذٍ ، أن أتحدث شخصياً الى المستر بيفن . فتأبطت ذراعه وقلت له أن عندي اقتراحاً أود أن أعرضه عليه . قلت: لسنا نريد أن نخلق مشاكل لبريطانيا العظمى ، ولا أن نتيح لأي كان أن يهاجم سياستها . وان خير وسيلة لتلافي هذه المشاكل هي دعوة أصحاب العلاقة الى اجتماع رباعي ، ومحاولة حل النزاع في أقرب وقت ممكن ، تفادياً للمناقشة العلنية . فأما أن يلبي الفرنسيون الدعوة ويقبلوا ، نهائياً ، بمبدإ الجلاء فتزول أسباب تقديم الشكوى الى مجلس الامن ، واما أن تفشل مساعي التسوية الجديدة فنضطر للجوء الى مجلس الامن . ولسنا نعتقد ان بريطانيا تريد حرماننا من هذا الحق .

قبل المستر بيفن بمبدإ اقتراحي ووعد بالاتصال بالوفدين السوري واللبناني بعدما يستمزج رأي الوفد الفرنسي .

وصباح الاربعاء تلقيت مخابرة من وزارة الخارجية تطلب مني أن اجتمع والسيد حميد فرنجيه بالمستر بيفن في مكتبه عند الظهر . وبعدما تعذر عليّ الاتصال بالسيد حميد فرنجيه اضطررت لأن أذهب وحدي . كان السيد فارس الخوري هناك مع وزير سورية المفوض في لندن . وبعدما عرض السيد فارس الخوري القضية باسهاب لخصتها أنا بما يأتي :

«لا نريد أن نكون مصدر ازعاج لأحد . اننا نريد حقنا، ونريد التعبير عنه بصراحة ووضوح وليس بجمل مبهمة ومشبوهة كالتي ينطوي عليها مشروع التصريح الفرنسي » .

« ان موضوع النزاع محصور في قضية واحدة هي قضية الجلاء . وترتبط بهذه القضية الاساسية قضيتان فرعيتان ناتجتان عن اتفاق ١٣ كانون الاول . أولى هاتين القضيتين تختص بالمحافظة على الامن في لبنان وسورية التي تقع على عاتق الحكومتين اللبنانية والسورية دون سواهما . وثانيتهما تتعلق بتنظيم الامن المشترك في منطقة الشرق كشرط للجلاء . اننا نرفض القبول بهذا الشرط الذي يتعارض مع شرعة الامم المتحدة » .

سألني المستر بيفن عما اذا كانت وجهة النظر اللبنانية والسورية هي التي تنطوي عليها الوثيقة التي كنت قد سلمتها الى القسم الشرقي في وزارة الخارجية البريطانية ، فأجبت بالايجاب .

ثم عاد المستر بيفن يقول : هل استطيع ، في هذه الحالة ، اعتبار موافقة الفرنسيين على وجهة النظر هذه كأساس صالح لمفاوضات مقبلة ؟

فأجبنا أنا والسيد فارس الخوري بالايجاب .

أما الوثيقة المشار اليها ، فليست سوى اقتراحي الذي وافق عليه الوفدان اللبناني والسوري في اجتماعها في ١٢ كانون الاول .

ورفعت الجلسة بعدما قطع المستر بيفن لنا وعداً بأن يطلعنا على نتائج اتصالاته بالمسيو بيدو .

وتلقيت ، بعد الظهر ، برقية صادرة عن بيروت تعلن عدم موافقة الحكومة اللبنانية على الاقتراح الفرنسي. هذه البرقية طمأنتني،لا لأنها تعزز وجهة نظري بل لأنها قد خلصتني ، على الاخص، من المخاوف الرهيبة التي كانت تراودني من جراء احتمال موافقة وفدنا على هذا الاقتراح .

وابلغنا صباح الخميس الباكر ان المستر بيفن مستعد لاستقبال الوفود اللبنانية والسورية والفرنسية عند الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين في مكتبه .

كان موعد انعقاد جلسة مجلس الامن عند الساعة الحادية عشرة . وقد أراد المستر بيفن أن يبذل محاولة أخيرة للتوفيق بين وجهات النظر المتضاربة. فحضر عن الجهة الفرنسية المسيو بيدو والمسيو ماسيغلي والكونت استروروغ . ولقد بدأ ، فوراً ، الحديث على النحو التالي :

سأل المستر بيفن ما اذا كان التوصل الى اتفاق بين الوفد الفرنسي من جهة والوفدين اللبناني والسوري من جهة ثانية ممكناً .

فأجاب المسيو بيدو انه لا يمكن الموافقة على تعديل نص تصريحه الذي قدمه للوفد اللبناني دون ان يستشير الحكومة الفرنسية من جديد . وهو مستعد للقبول بتفسير الاتفاق الفرنسي — الانكليزي الموقع بتاريخ ١٣ كانون الأول بشكل يطابق نص التصريح المسلم الى الوفد اللبناني ، والذي يوضح انه ليس في نية الحكومة الفرنسية ان تحتفظ بقواتها في الشرق مدة غير محدودة . ولقد وضعت لهذا التصريح عدة نصوص قبل السيد حميد فرنجيه بالنص الاخير منها باسم الوفد اللبناني وذلك بانتظار موافقة الوفد السوري . وهو يعتبر انه قد عمل كل ما في وسعه وانه لا يستطيع الذهاب الى أبعد من ذلك .

سأل المستر بيفن ما اذا كان الوفد اللبناني قد قبل بنص التصريح المذكور .

فأجاب السيد فرنجيه انه شخصياً قد قبل به أساساً للبحث ، لكنه تلقى بعد ذلك مخابرة من حكومته ترفض الاقتراحات الفرنسية .

فأشار الكونت استروروغ الى ان النص المذكور ليس نص اتفاق بل نص تصريح يدلي به أمام مجلس الأمن . إلا ان السيد بيدو قال ان القضية ترتكز على تصريح يعبّر عن نيات الحكومة الفرنسية ويفسر الاتفاق الفرنسي—البريطاني المؤرخ في ١٣ كانون الاول ، ويكون هدفه تسهيل المفاوضات التي تجري بعد ذلك في باريس .

أما فارس بك الخوري فقد رأى ان الصعوبة ناتجة عن ان اتفاق ١٣ كانون الاول لا يعين موعداً للجلاء . فقد جاءت عبارته هكذا : « الى ان تنظم الأمم المتحدة الامن المشترك في منطقة الشرق » . وهذا يعلق الجلاء عن الاراضي السورية واللبنانية على قرار ليس في مقدور احد ان يتنبأ به . وأضاف :

ان نص التصريح الفرنسي المقترح الادلاء به أمام مجلس الأمن غامض لانه لا يعين تاريخ الجلاء . اني اريد ان أكون على ثقة من ان المفاوضات التي ستجري في ما بعد ستهدف الى تعيين هذا التاريخ . لقد وضع السيد شمعون وثيقة مؤلفة من أربع مواد تعالج هذه النقاط الهامة . وأنا مستعد ان افاوض على أساس هذه الوثيقة شرط ان تظل قضيتنا مقيدة على جدول أعمال مجلس الأمن الى ان يتم الجلاء .

فأجاب المسيو بيدو بشيء من الحدة انه قد يكون ارتكب ، شخصياً ، خطأ بادلائه بتفسير من جانب واحد لاتفاق ١٣ كانون الاول . وقد كان ينبغي الا يقدم على ذلك . فاذا كان هذا التفسير لا يحظى بقبول الوفدين اللبناني والسوري فانه يكون سعيداً بأن يسحبه وبأن يكتفي بنص الاتفاق ذاته .

فارس بك الخوري : ان مشروع التصريح ليس تفسيراً بسيطاً لكنه يتخطى نصوص الاتفاق .

السيد بيفن : ان تفسير السيد بيدو يعني ان فرنسا ستسحب يوماً ما قواتها من لبنان وسورية .

الكونت استروروغ : اذا لم تتخذ الأمم المتحدة أي قرار فان فرنسا لا ترمي الى ابقاء قواتها في الشرق الى ما لا نهاية له . ان المسيو بيدو لا يستطيع ان يقول اكثر مما قال .

انا : أمامنا مسائل ينبغي الاجابة عنها بصراحة . اولاً ، مبدأ الجلاء . فهل تقرر نهائياً ؟ اذا كان الجواب بالايجاب طرحت على البحث قضية أخرى ، وهي انه ينبغي الا ترتبط قضية الجلاء بمسألة المحافظة على الأمن ، او بتنظيمه من قبل الأمم المتحدة . وينبغي الا يعلق الجواب على هذين السؤالين الاولين على المفاوضات . ان المفاوضات يجب ان تنحصر في تعيين موعد الجلاء وشكله .

المسيو بيدو : الخلاف بين وجهتي النظر ناشيء عن ان اللبنانيين لا يعتقدون ان الاقتراح الفرنسي يسجل مبدأ الجلاء . بيد ان العكس هو الصحيح . ان المفاوضات لتعيين موعد الجلاء ممكنة أيضاً ، ولكنني لا أستطيع في الوقت الحاضر الا ان أكتفي باقتراحي .

انا : ما دام المسيو بيدو يعترف بان وجهتي النظر متماثلتان فلماذا لا يثبت ذلك في نص صريح ودقيق ؟

المستر بيفن : المهم هو ما سيقال في مجلس الامن . اذا كان مبدأ جلاء القوات البريطانية والفرنسية مقبولاً فأنا اعتبر ان كلا من السيد شمعون والسيد بيدو يقول الشيء نفسه . قد لا يكون في وسعنا الآن وضع نص لكننا نستطيع الاتفاق على ما سنفعله .

انا : نستطيع الاتفاق ، فوراً ، على التصريحات التي سندلي بها امام مجلس الأمن . وفي أية حال ، فان نص التصريح الفرنسي لا يوضح ، بالدقة الواجبة ، النيات التي عبّر عنها المسيو بيد الآن .

واستمرت المناقشات على هذا النحو دون جدوى . ولاحظ السيد بيفن ان الساعة قاربت الحادية عشرة فرفع الجلسة . ومضى كل في طريقه الى شورش هوس حيث تعقد جلسات مجلس الأمن .

افتتحت جلسة مجلس الأمن في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة وكرست لمعالجة قضايا شكلية ، كان أهمها القضية التي أثارها ممثل مصر : هل تعد القضية الحاضرة بموجب نص الشرعة حالة ً ام نزاعاً ؟

ان الفرق بين الامرين حاسم . فاذا اعتبر ان هناك « حالة » فان الدول الاعضاء في المجلس التي تعنيها هذه القضية تستطيع ممارسة حق التصويت . لكنها يجب ان تمتنع عن التصويت اذا اعتبر أن هناك نزاعاً .

وبعد مناقشة استمرت ساعتين أرجئت الجلسة لتعقد في الساعة الحادية عشرة من صباح غد .

وعند الساعة السابعة بعد الظهر تلقيت مخابرة هاتفية من وزارة الخارجية البريطانية . فالسر الكسندر كادوغان يريد الاجتماع الى الوفدين اللبناني والسوري عند الساعة التاسعة والدقيقة ٤٥ من هذا المساء في السنترال هال ، قاعة الاجتماع الرئيسية ، قبل انعقاد جلسة الجمعية العمومية .

وفي الموعد المعين أطلعنا السر الكسندر كادوغان على رسالة هاتفية وردت من الوفد الفرنسي تقول انه مفوض بأن يؤكد لنا ، اذا كنا نوافق على عرض المسيو بيدو ، ان الحكومة الفرنسية مستعدة لان تبحث معنا ، في أقرب وقت ممكن ، حلاً للقضية .

والح السيد الكسندر كادوغان ، وهو يلفتنا الى ان هذا العرض يشكل آخر محاولة للتفاهم ، على الصفة السرية التي يتصف بها . ثم أجاب عن الاسئلة التي طرحتها عليه بما يأتي : ١ — ان هذه التأكيدات ليست الا شفوية . ٢ — ان الغموض الذي تتصف به الرسالة يمكن ان يعني ايضاً ان الفرنسيين يحاولون توسيع نطاق المفاوضات بحيث تتناول اموراً اخرى غير الجلاء .

ان هذا العرض ، بالنتيجة ، لا يضيف شيئاً الى العروض التي سبق ان رفضناها ، ولا ينطوي على أية صفة جدية لكونه عرضاً شفوياً . وبالرغم من ذلك فقد بذلت جهوداً كثيرة لاقناع بعض اعضاء وفدنا بعدم القبول به .

وقد تمت مساء السبت ١٦ شباط تسوية قضية جلاء الجيوش الفرنسية والبريطانية عن الاراضي اللبنانية والسورية ، بعد مناقشة استمرت يومين ، بقرار أيده سبعة أعضاء من أعضاء مجلس الامن. امتنع الفرنسيون والبريطانيون في البدء ، عن التصويت ، ثم عادوا ووافقوا على القرار . ولولا هذه الموافقة لما كان للقرار أية قيمة بالنظر الى « الفيتو » السوفياتي الذي لم يكن منتظراً .

اجتازت المناقشة مراحل مختلفة ، وتخللتها نواقص عديدة بعدما عرض المندوبان اللبناني والسوري الدعوى ، كما اغفلت ، عمداً ، بعض الاستشهادات والحجج

الضرورية . ولولا هذا التناسي ، لوفر الوفد السوفياتي على نفسه أن يقوم مقامنا بمهمة المحامي عن قضيتنا .

ومع ذلك فالمناقشات التي دارت أمام مجلس الامن كانت بوجه عام انتصاراً أدبياً للقضية اللبنانية ـ السورية . ان الوفود السوفياتية والاميركيـة والبولونية والصينية والبرازيلية والمصرية والهولندية أيدت وجهة نظرنا واكدت ان الاتفاق الفرنسي ـ البريطاني ونص شرعة الامم المتحدة لا يجيزان الاحتفاظ بقوات عسكرية في البلدان المستقلة .

وجاءت الاقتراحات الاميركية التي قرها المجلس ، في النهاية ، كتسوية لا فيما يتعلق بمبدإ الجلاء نفسه بل بتفاصيله التي ينبغي ان تعين في مفاوضات تجري بين أصحاب العلاقة .

أما موافقة وفدي فرنسا وبريطانيا على هذا القرار ، بالرغم مـن الفيتو السوفياتي ، فجاءت نتيجة للاجماع التقريبي الذي تجلى عند أعضاء مجلس الامن وما كان لهذا الاجماع من قيمة أدبية .

تلقيت يوم الثلاثاء مخابرة تلفونية من وزارة الخارجيه البريطانيـة تفيد بان المستر بيفن يستقبل الموفدين اللبنانيين والسوريين في الساعة الثالثـة والدقيقة ٤٥ .

بعدما شرح المستر بيفن موقف الحكومة البريطانية في مجلس الامن ضاف أن خطة العمل في المستقبل حسب رأيه هي الآتية :

تحدد لجنة من الخبراء الفرنسيين والبريطانيين خطوط الجـلاء الكبرى .

وعندما تنجز اللجنة أعمالها يعقدمؤتمر بين ممثلي لبنان وسورية وفرنسا وبريطانيا العظمى لتحديد مهلة الجلاء وتفاصيله .

أما فيما يتعلق بمكان المؤتمر فالمستر بيفن يعتقـد ان الفرنسيين يتمنون ، لاعتبارات تمس بمكانتهم ، ان تكون باريس مقراً له . وهو لا يجـد في ذلك مانعاً .

ونشرت الصحف صباح الاحد ٢٤ شباط بلاغاً صادراً عن الحكومة اللبنانية يفيد انها قبلت الدعوة التي وجهتها اليها الحكومة الفرنسية لارسال ممثلين عنها الى باريس للتفاوض على جلاء القوات الفرنسية .

وتشاطر الحكومة السورية الحكومة اللبنانية وجهة نظرها لكنها لن ترسل ممثلين عنها الى باريس .

ووصلت من بيروت برقية موجهة الى الوفد اللبناني تفوضـه الانتقال الى العاصمة الفرنسية .

وسلم الوزير المفوض البريطاني في بيروت يوم الاثنين الحكومـة اللبنانية مذكرة تتضمن الخطة التي رسمتها الحكومة البريطانية للمستقبل .

بعد الاشارة الى قرار مجلس الامن الذي وافقت عليه الحكومة البريطانيـة توضح المذكرة بدقة ان السياسة التي ستتبعها بريطانيا ستكون مستوحـاة من هذا القرار .

أما التأكيدات التي قطعتها بريطانيا بتاريخ ١٥ كانون الاول سنـة ١٩٤٥

والتي تعهدت بموجبها بان تحتفظ بقوات بريطانية في لبنان وسورية ما دامت فرنسا محتفظة بقواتها ، تعتبر بالتالي ملغاة . وبما ان لبنان وسورية صرحا أمام مجلس الامن بأن وجود قوات اجنبية في أراضيها يمس سيادتها ، فأن الحكومة البريطانية تريد ، كما جاء في المذكرة ، ان تتجنب مثل هذه التهم في المستقبل وهي تأمل الا تعترض المفاوضات التي ستباشر في باريس اية عقبة ، لانها مصممة على سحب قواتها حتى لو حدث ما يؤخر جلاء القوات الفرنسية عن البلدين .

فأرسل نص هذه المذكرة الكامل برقياً الى الوفد . وعند الساعة الخامسة قمت بزيارة للمستر « هاو » وكيل الوزارة في وزارة الخارجية البريطانية في مكتبه لاسأله عما اذا كانت هناك صعوبات اعترضت تنفيذ قرار مجلس الامن واوجبت ارسال هذه المذكرة . فأجاب ان الحكومة البريطانية ارادت ، بكل بساطة ، ان تحدد موقفها بعد قرار مجلس الامن . وهذا لا يعني البتة ، ان وزارة الخارجية البريطانية تعلم بوجود صعوبات قد تعرقل سير المفاوضات .

وابلغتني وزارة الخارجية البريطانية يوم الاربعاء الرسالة الشفهية التالية :

١ً – كل ما يناقض قرار مجلس الامن من نصوص اتفاق ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ يجب ان يعتبره موقعو الاتفاق المذكور باطلاً وملغى .

٢ً – عند وقوع خلاف بين التزامات أعضاء الامم المتحدة المبينة في شرعة المنظمة ، وبين التزاماتهم الناتجة عن تعاقدات دولية ، تكون الغلبة للالتزامات الاولى ، وذلك وفقاً لنصوص المادة ١٠٣ من الشرعة .

٣ً – ما يتبقى من اتفاق ١٣ كانون الاول ، بعد تطبيق المبدأين المتقدمين ، يناقشه موقعو الاتفاق ، فيما بعد ، لتعديله أو ابطاله .

ويوم الخميس ٢٨ شباط استقل الوفد اللبناني المؤلف من السادة حميد فرنجيه ورياض الصلح ويوسف سالم الطائرة الى باريس لاجراء المفاوضات التي تُقرر برنامج جلاء القوات الفرنسية .

كما ان قرار مجلس الامن الذي صدر يوم الجمعة ١ آذار وقبول الحكومتين الفرنسية والبريطانية به ، بعد ممارسة الوفد السوفياتي حق الفيتو ، يشكلان المرحلة النهائية في طريق الاستقلال اللبناني .

وبهذا تكون مهمتي في لندن قد بلغت في الواقع نهايتها . فإذا استثنينا الاشتراك في المؤتمرات الدولية ولا سيما المؤتمر المنوي عقده بشأن قضية فلسطين، فان عملي سيكون محصوراً باعمال المفوضية العادية .

اما في لبنان ، فالمستقبل يتوقف علينا دون سوانا ، وعلى كيفية ممارستنا حرياتنا ، وعلى الحكمة التي تسيّر اعمالنا وتوجه سياستنا الدولية .

فهرست